

القسم الأول

بدوى الفيلسوف الشامل

obeikandi.com

الفيلسوف الشامل :

مسار حياة وبنية عمل

عبد الرحمن بدوي في عيد ميلاده الثمانين

د. حسن حنفي

obeikandi.com

أولاً : من جيل إلى جيل

ليس الفلاسفة دوائر منعزلة فى كل جيل، أو أجيالا منفصلة جيلا وراء جيل، بل هى رسالة حضارية واحدة يقوم بها الفلاسفة - عن وعى أو عن لا وعى - بإرادتهم الإبداعية الحرة أو بتجلي روح الحضارة فيهم، باعتبارهم مظاهر لعقل جمعى كلى واحد. وبالرغم من إحساس بعض الفلاسفة - فى الشرق والغرب على حد سواء - بأنهم وخيدو عصرهم، وأن كلا منهم نسيج وحده، فلا يوجد إلا ذاته، منذ عبر ماكس شترنر عن ذلك فى «الواحد وما يملكه»، إلا أن هذا التفرد لا يلغى المياه الجوفية التى ينبثق منها هذا النبع الفياض حتى لو بلغ عنان السماء. إن كيركجارد هو الفرد ولكنه ثورة على العصر ونقل الفكر الأوروبى - كله - من الفلسفة الحديثة إلى الفلسفة المعاصرة، وإن نيتشه هو وحيد عصره. وهو - مع ذلك - يمثل عصراً بأكمله، نهاية قرن (القرن التاسع عشر) وبداية آخر (القرن العشرين). النبع مرئى وما فى باطن الأرض غير مرئى.

والجيل اللاحق هو الذى يطور الجيل السابق، فعلاقة الأجيال ليست علاقة تفخيم وتعظيم وتبجيل، مما قد يصل إلى حد التقديس والتأليه. التعظيم موت للمعظم والمعظم على حد سواء، نفخ للبالون حتى ينفجر، نوبان للسكر فى أكبر قدر ممكن من الماء حتى يذهب طعمه، مد للحبل السرى حتى ينقطع. وقد جرت العادة فى الاحتفالات بذكرى الراحلين أو بالتحيات فى أعياد ميلادهم الفضية أو الماسية أو الذهبية باتباع هذا النهج، مع الظن أن ذلك من مظاهر التكريم، علاقة الشيخ بالمريد، والأستاذ بالتلميذ، والسيد بالعبد. وغالباً ما يتم ذلك عن نفاق وزلفى ومطلب حتى يرفع الأستاذ التلميذ إلى مصافه، وحتى يعيش الصغار على موائد الكبار، وحتى يمتلئ الفكر بالصراخ الإعلامى فيضيع الفكر ويذهب العلم ويتوقف التاريخ.

إن خير تحية من جيل للاحق لجيل سابق هى النقد والتطوير، بل والقلب رأساً على عقب، من النقيض إلى النقيض، من أجل بيان جدل السلب والإيجاب، والوجه الآخر للحقيقة. فالفيلسوف - بطبيعته - أحادى النظرة، صاحب رأى، ومؤسس اتجاه،

ورائد مدرسة، يضحى بجانب من أجل إبراز جانب آخر. فيأتي فيلسوف بعده ويذكره بما أغفل، ويبرز الجانب الآخر حتى تكتمل الصورة. لقد طور أفلاطون معانى سقراط فى (نظرية المثل) ثم نقد أرسطو نظرية المثل وقلبها رأساً على عقب. كما طور الهيجليون اليساريون هيجل، ثم جاء ماركس فقلب هيجل رأساً على عقب واضعاً رأسه على الأرض وجاعلاً قدميه إلى السماء، فعاشت الفلسفة اليونانية وتعددت رؤاها، كما عاشت الفلسفة الحديثة وتعددت مدارسها. وقد نقد المسيح اليهودية، وهو يهودى، ونقد الإسلام المسيحية واليهودية، وهما فى الأصل وحيان من الله، والكل وحي واحد: دين إبراهيم.

ليس الهدف من النقد بيان العيوب والمثالب، وهو المعنى الدارج الشائع فى الثقافة الشعبية، بل وضع المفكر وعمله فى مرحلته التاريخية من أجل تطوير الجيل اللاحق للجيل السابق. وهذا أكبر دليل على الوفاء، استمرار عمل الأجيال فى إعادة صياغة المشروع الفلسفى الجماعى لمرحلة تاريخية بأكملها، هو عصر النهضة العربى منذ القرن الماضى. أما النكران والجحود فهو فى الإهمال عن غير قصد، والاستبعاد عن قصد، وبالتالي قطع الشرايين عن القلب، وتجفيف النهر حتى لا تصب فى النهر الكبير.

ويتطلب ذلك منهج القراءة والتأويل، وإعادة البناء والتركيب، ونقل عمل الجيل السابق لعمل الجيل اللاحق، فالمشروع الحضارى للوعى الجمعى يستغرق عدة أجيال. وفى حالة العالم العربى يمتد مشروع النهضة منذ القرن الماضى ومازال مستمراً حتى نهاية هذا القرن، ولم يكتمل بعد، وربما ظل قائماً لعدة أجيال قادمة، جيل يؤسس، وجيل يمهد، وجيل يرسى القواعد، وجيل يحكم الصياغة، وجيل يحقق. وربما تستغرق كل مرحلة عدة أجيال، فإذا كان الطهطاوى أسس مشروع النهضة، ومهد له جيل تال له: أحمد لطفى السيد وطه حسين والعقاد، فإن الفيلسوف الشامل هو الذى أرسى القواعد بفضل توجيه مصطفى عبد الرازق. ثم يأتى الجيل الحالى ليحكم الصياغة، جيل المشاريع العربية المعاصرة بعد ١٩٦٧، مثل مشروع «التراث

والتجديد» و«نقد العقل العربي»، و«التراث والثورة» - كنماذج ممثلة من مصر والمغرب والشام - ويسلمه لجيل قادم يحقق مشروع النهضة على نحو علمي دقيق، جيل تكون وتجراً وقرأً بين السطور وتجاوز، مثل جيل نصر حامد أبو زيد، ثم جيل على مبروك.

ولا يوجد خطأ وصواب في منهج القراءة وإعادة البناء، صواب الجيل السابق وخطأ الجيل اللاحق أو خطأ الجيل السابق وصواب الجيل اللاحق. بل هي أدوار متعاقبة وأطوار متتالية لنفس المشروع النهضوي، كل جيل في مرحلته وبناء على ظروف عصره. فالزمن يتغير، وتتغير الرؤى وتتبدل المناهج بالرغم من وحدة المشروع الحضاري واستمراريته عبر الأجيال، فالمسئولية جماعية، والعمل مشترك، والبناء متعدد الطوابق، ومتفاوت الأعماق، ومتغير السعة، ودون الأساس لا يقوم البناء، ودون التمهيد والإعداد لا يحدث حفر في الأرض ولا تشييد للطوابق.

وهذه محاولة لإعادة بناء الفيلسوف الشامل، وتطويره، ولم الشتات المتناثر الذي يزيد على المائة وعشرين كتاباً في منظومة واحدة غائية تصورية، في إحالة متبادلة بين العمل والحياة والواقع، وهي وحدة واحدة، فقد رأى الفيلسوف الشامل نفسه في حنين بن إسحق ودار الحكمة بمفرده، ولكن هذه المرة مع الغرب وليس مع اليونان. مع توحد معه، ونشر الترجمات العربية القديمة. قدم المترجمون القدماء الفلسفة اليونانية كما قدم بدوى وحده - من المحدثين - الفلسفة الغربية. وكما كان المترجمون القدماء أيضاً فلاسفة، فإن المترجم الحديث - أيضاً - فيلسوف، يترجم ويؤلف. وكما أراد القدماء نهضة الثقافة العربية الإسلامية وتأصيلها، كذلك أراد الفيلسوف الشامل نهضة الثقافة العربية في مرحلتها التاريخية الثانية. إنما الفرق الوحيد أن القدماء عملوا كفريق بتدعيم من الخلفاء، والفيلسوف الشامل يعمل وحده في الوطن. أولاً، ثم بعيداً عنه، ثانياً، حتى تقلص المشروع الفلسفي النهضوي إلى مجرد مشروع فلسفي تاريخي، لم يكن الفيلسوف الشامل في حاجة إلى تأسيس جمعية فلسفية مصرية كما طرحت عليه في منتصف الستينيات - لأنه كان يعتبر نفسه جمعية

فلسفية - بمفرده - دونما حاجة إلى الآخرين، وما زال متوحداً في غربته كالله في علاه. يتوحد مع عمله كما يتوحد الله مع خلقه، يرى ذاته في موضوعه كما يرى الله ذاته في خلقه.

وفي «موسوعة الفلسفة» (جزءان) لا يذكر في الجزء الأول مع ابن باجه (٩ ص) وابن رشد (٢١ ص) وابن سينا (٢٧ ص) وابن طفيل (٨ ص) وأبي البركات البغدادي (نصف صفحة) فأبى سليمان المنطقي (١ ص) وحنين بن إسحاق (١ ص) إلا عبد الرحمن بدوي (٢٥ ص)^(١). وفي الجزء الثاني لا يذكر من أقرانه إلا أستاذه مصطفى عبد الرزاق (٣ ص) مع الغزالي (٦ ص) والفارابي (٢٦ ص) والكندي (١٥ ص). ولا يضع ضمن المراجع إلا الأجنبية، وكأن العرب المعاصرين لم يضيفوا إلى الدراسات الفلسفية شيئاً. وإن ذكر فإنه لا يذكر إلا مؤلفاته العربية ضمن المراجع الأجنبية مثل «شوبنهاور» و«نيتشه» و«اشبنجلر» و«شلنج».

ولا يحيل إلى أحد من أقرانه في مؤلفاته عن الفلسفة وتاريخها، وكأنه أول من كتب في الميدان، خاصة المؤلفات المتأخرة منذ الستينيات وحتى الآن، حيث تعددت الدراسات حول كانط وهيغل. ولا يحيل إلى الترجمات العربية للنصوص كما يحيل إلى ترجمته الخاصة لكتاب «الوجود والعدم» لجان بول سارتر. كما تعددت الكتابات حول الفلسفة اليونانية تأليفاً وترجمةً لنصوصها داخل مصر وخارجها، وهو الذي ينشر بعد مصر في لبنان والكويت، ولكنه لا يشير إليها لأمدها ولا ذمماً، بل يعتمد كلية - على المراجع والمصادر الأجنبية وكأنه يؤول في لندن أو باريس أو برلين أو روما أو مدريد. وما أسهل نقلها - تصويراً - من أي مؤلف أجنبي في الموضوع، كما يفعل بعض الباحثين المبتدئين دون الاطلاع عليها بل إيهاماً بها في مجتمع يعز فيه الحصول على المراجع، ويندر وجودها في المكتبات العامة أو الخاصة.

وإذا عرف الفيلسوف على الاتساع الشيء فإنه يوجد، وإن لم لم يعرفه فإنه لا وجود له. فكتاب «علم الجمال» لهيغل لم يعرفه المؤلف لذلك لم يعرضه، ولم يعرضه إلا بعد أن عرفه، مما يدل على التوحيد - لاشعورياً - لديه بين وجود الشيء والمعرفة

به، كما فعل الوعي الأوروبي مع العالم الجديد، وكأنه لم يكن موجوداً قبل اكتشاف الأوروبيين له فيما يسمى بالاستكشافات الجغرافية.

وأحياناً يكتب اسمه على الغلاف اللاتيني بينط أكبر من اسم الكتاب وكأن المحقق هو الأساس وعنوان الكتاب هو الفرع، وكأن عين القارئ لا بد أن تقع -أولاً- على الشخص قبل أن ترى الموضوع^(٣).

وبترتيب بمؤلفات الفيلسوف الشامل في أول صفحات الكتاب من الجهة اليمنى حتى يصاب القارئ بالدوار ويشعر بعظمة صاحبه، ونادراً ما يوجد في آخره من الجهة اليسرى وكما جرت العادة عند الفانين من البشر^(٤). وفي كل أعماله - تالياً وتحقيقاً وترجمة وإعداداً- في الجبهات الثلاث لا يميل الفيلسوف الشامل إلى أحد من أقرانه في الهوامش، وكأن الفلسفة ابتدأت فيه، وانتهت به، ولا يحيل إلا إلى أعماله، فهو المؤلف وهو المرجع، هو الشاهد وهو المشهود له، هو المقاس والمقيس، هو التصور وهو التصديق^(٥)، وفي الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، يشكر الفيلسوف الشامل مدرسة الآداب العليا «بيروت» ومديرتها «جيريل برنونور» على التعاون الثقافي الحر بين (بلدان البحر المتوسط) دون تسميته العالم العربي، وفي تيار تسميات طه حسين ورنبيه حبشى^(٥). وربما هو الاستثناء الوحيد كما تقتضى بذلك آداب الشكر للضيافة العربية.

لم يشر ابن الثمانين ربيعاً إلى أحد من أقرانه الذين ساهموا معه في نفس المشروع النهضوى الجماعى، مثل إبراهيم بيومى مذكور فى محاولته إعادة دراسة الفلسفة الإسلامية، وعثمان أمين فى محاولته تحديد بؤرة للإصلاح سماها «الجوانية» فى التصوف، خاصة الغزالي، والفلسفة - خاصة الفارابى - فى التراث القديم، وفى المثالية الفرنسية عندديكارت والألمانية عن كانط و فشته، وفى يومياته فى باريس، ورسالته فى الجامعة، وهى نفس رسالة توفيق الطويل فى دراسة التصوف فى مصر، والإمام الشعرانى ودراسة الأخلاق العربية ومحاولته تأسيس مثالية معتدلة. وهى نفس رسالة زكى نجيب محمود عن طريق فهم التحليل

والوضعية المنطقية وتجديد الفكر العربي. بل لقد ساهم آخرون من جيله، وربما من تلامذته في تأسيس الوجودية مثل زكريا إبراهيم، أو الاعتماد على نيته مثل فؤاد زكريا إضافة عليه، ولكن الأب لا يعترف بأحد، حتى ولو كانوا من أبنائه الشرعيين بل إنه لا يذكر أحداً من العرب، سواء في المغرب العربي مثل محمد عزيز لحبابي، أو في الجزائر مثل شيخ بو عمران، أو في تونس مثل محبوب بن ميلاد، أو في الشام مثل جميل صليبا وسليمان دنيا، فمصر وحدها في العالم العربي، وهو وحده في مصر، مع أن الأقران العرب كثيرون الذكر له، والإشادة بفضله، والاعتراف بدوره. والسؤال عنه بعد أن غاب عن الوطن، فالوطن الكبير مازال يذكر أبنائه، كما يذكر أحفاده.

بل لا يذكر مشروع النهضة منذ بدايته في القرن الماضي، ولا يربط نفسه بإحدى التيارات الثلاثة فيه، الليبرالية السياسية عند الطهطاوي وخير الدين التونسي، أو الحركة الإصلاحية عند الأفغاني ومحمد عبده في مصر، أو عبد الحميد بن باديس في الجزائر، أو الطاهر بن عاشور من علماء الزيتونية، أو علال الفاسي في المغرب، أو الكواكبي في الشام، أو الألوسيان في العراق، أو الشوكاني في اليمن. كما لا يأخذ موقفاً بالنسبة للتيار العلمي العثماني في مصر والشام عند شبلي شميل وفرح أنطون وسلامة موسى وإسماعيل مظهر وغيرهم. وقف الطود الشامخ بمفرده مثل دون كيخوته يحارب وحده، ورافضا فروسية الآخرين. لذلك كان من ترجماته واختياراته ضمن الروائع المائة، وتوحد مع أبطاله الأسطوريين، فالواقع أسطورة، والأسطورة واقع، ملانكة كانوا أو شياطين، ولا يحيل إلى أحد من أقرانه الذين درسوا قبله أو معه الفكر الأوربي في بناييعه، أو في مساره. وإذا كان لا يذكر النصوص المترجمة إلى اللغة العربية عن أعلام الفلسفة الأوروبية ولو تنويعاً بها، فالأولى ألا يذكر كل الدراسات التي تمت قبله ومعه عن الفلسفة الأوروبية. عهد وحيد عصره، لم يكتب أحد قبله ولا معه. وربما لن يكتب أحد بعده، لا فيلسوف في الغرب ولا باحث في الشرق.

يريد إقامة مشروعه المتعدد الجوانب وحده، ببطولة فردية، كما يبدو أحياناً من عدة عبارات مثل: «لكل فكر ممتاز حياة حافلة في الضمير الواعي المتطور للإنسانية»^(٦). ويهاجم (أبو العلا عفيفي)، لأنه تجرأ و نشر بعضاً من الترجمات العربية القديمة، ويعتمد هو على مشروعات الآخرين دون أن يذكرهم. ومشروع أفلاطون عند العرب هو مشروع بول كراوس، تحوّل عند المحقق إلى «أفلاطون في الإسلام».

وكل الترجمات العربية القديمة هي مشاريع، بل من المستشرقين مثل «اشتينيشتيدر» و«جراف» من مستشرقى القرن الماضى، نشروا فى المجلات العلمية المتخصصة. وربما فضل الفيلسوف المحقق هو جمع هذه النشرات السابقة فى كتب، وجعلها ميسورة لأكبر قدر ممكن من الدارسين والقراء، وربما يظل «بدوى» مُحققاً أكثر منه مؤلفاً. والحالتان الوحيدتان اللتان عمل فيهما مع أحد أقرانه، هما ترجمته لكتاب «فلسفة الحضارة» لألبرت اشفيتسر، ومراجعة «زكى نجيب محمود».. وهى حادثة فريدة، أن يقبل الفيلسوف، وحيد عصره، أن يراجع عليه أحد.. وواضح أن الترجمة من الإنجليزية، لأن المراجع لا يعرف الألمانية أو الفرنسية، وربما كانت مراجعة صورية، نظراً لما تتطلبه دور النشر الحكومية من مراجعة، فقد نشر الكتاب فى المؤسسة المصرية التابعة لوزارة الإرشاد القومى عام ١٩٦٣. والثانى ترجمته لكتاب «بنروبي» مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا (جزءان)، ومراجعة د. ثابت الفندى، لأنه ضمن مشروع (الألف كتاب) بوزارة التعليم العالى، ومن إصدارات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، وتستلزم الدولة المراجعة مع الترجمة.

ولم يذكر الفيلسوف الشامل من أقرانه الفلاسفة بالمديح والثناء إلا أستاذه: طه حسين، الذى أشرف على رسالته للدكتوراه فى عام ١٩٤٣ عن الزمان الوجودى، وأستاذه مصطفى عبد الرازق.

فقد أعد الفيلسوف الشامل كتاباً تذكاريّاً عن طه حسين فى عيد ميلاده السبعين،

يتضمن دراسات مهداة من أصدقائه وتلاميذه، مع إهداء خطابى رنان إلى العلم الشامخ فى الأدب المعاصر، ورائد النزعة الإنسانية فى الفكر العربى الحديث، والأديب الذى فتح للأدب العربى آفاقاً عالمية، والمفكر الحر، والقلب الكبير، والعقل المحيط والناقد، والساحر بفصاحة اللسان، من أدخل مناهج النقد الأدبى الحديث، وصاحب أجمل ترجمة ذاتية، وأسهم فى القصة العربية، وأضاء تاريخ صدر الإسلام، ونشر التراث الكلاسيكى، فأصبح الموقظ الأكبر للعقل العربى^(٧).

فقرأ التلميذ نفسه فى الأستاذ، ورأى صورته فى مرآته، وهو ما لا يسمح به تلميذ أمس إلى تلاميذ اليوم، كما أهدى من دراساته الإسلامية «الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى»، إلى روح أستاذه الأكبر مصطفى عبد الرزاق، الذى انبهر بقوة إيمانه وهو فى مرحلة تمرد الشباب، ورأى فيه نموذج الإنسانية فى بيئة ضاعت فيها قيمة الإنسان، فهو الذى هداه من العصيان إلى الطاعة، ومن الثورة إلى الإذعان، يهديه كتابه روحاً بروح، بعد أن عز إهداؤه إليه يداً بيداً^(٨). وهو ما يشارك فيه كل الأقران من تلاميذ الأستاذ اعترافاً بفضله^(٩).

وقد كتب الفيلسوف الشامل سيرته الذاتية بنفسه فى مادة «بدوى» فى «موسوعة الفلسفة»، حياته وأعماله وفكره^(١٠). دون أن ينتظر أن يخلد أحد ذكره. فهذا شرف لا يستطيع أحد من أقرانه وتلاميذه وأصدقائه ومحبيه الوصول إليه. فهو الذى يحيا، وهو الذى يحيى نفسه، وهو الذى يموت، وهو الذى يُعزى نفسه، لا يحتاج الممثل إلى جمهور، ففى فنه يتحقق الفنان والناقد، المبدع والمتلقى، ولا حتى شكر المنعم واجب عليه، كما قال المعتزلة قديماً فى الواجبات العقلية الثلاثة: الخلق، والتكليف، وشكر المنعم، فالعبرى يولد ويحيا ويموت كقدر تاريخى، وكجزء منه فى إحدى مراحلها.

ثانياً: الفلسفة على الاتساع

وأول ما يبدو هو هذا الكم الهائل من المؤلفات للفيلسوف الشامل لدرجة استحالة الاستيعاب والقراءة والاحتواء، فقد جاوزت المائة كتاب، أمكن حصرها وتحليلها، وفي رأيه المائة وعشرين كتاباً، وفي رأى ناشريه المائة وخمسين كتاباً^(١١). ولاتساعها بوبها صاحب الثمانين ربيعاً فى أبواب: مبتكرات، دراسات، وخلصه الفكر الأوربى، ودراسات إسلامية، وترجمات (الراونع المائة) بل وفى سلاسل مثل سلسلة الينابيع، وبلغات متعددة، العربية، وهى الأكثر، والفرنسية وهى الأقل. وتتنوع الأعمال بين التأليف والتحقيق والترجمة والإعداد، والإبداع الشعرى والقصصى، مما يستلزم تصنيفاً جديداً، من أجل تلمس جوانب المشروع الفلسفى للفيلسوف الشامل، فهو - من هذه الناحية - فيلسوف عصر وسيط مسيحي مثل توما الاكوينى، يكتب «الخلصه اللاهوتية» فى عشرات الأجزاء. وهو أيضاً فيلسوف إسلامى يجمع ويؤلف ويعرض وينتقى ويقتبس، كما فعل ابن سينا فى فى موسوعاته. هو فيلسوف موسوعى، يؤلف فى كل ميدان، ويكتب فى كل علم، لا تحد معارفه حدود، يسبح فى فضاء لا نهائى للمعارف البشرية مثل القدماء، لا فرق بين النقل والإبداع، بين المعرفة والعلم، بين التراث والتجديد^(١٢).

وهناك فلاسفة آخرون مقلون فى التأليف، عظماء فى الأثر، مثل «برجسون» الذى لا تتجاوز مؤلفاته الثمانية ولكنه شق طريقاً جديداً للفلسفة مازالت قائمة، بل أرسى قواعد تيار بأكمله «البرجسونية»، بالرغم من أنه كان لا يريد أن يؤسس مذهباً. فالمذهب مغلق، وهو صاحب فلسفة التفتح. ولقد كان الفيلسوف على الاتساع على إعجاب شديد ببرجسون، وأعلن عن صدور مؤلف عنه، ولكن الإعجاب شىء، والسلوك شىء آخر.

وهناك شعور حاد بالفلسفة على الاتساع، وبملاحم المشروع العامة فى الأفق، فى ذكر مؤلفات الفيلسوف الشامل. وتصنيفها فى أربع مجموعات:

أ- «مبتكرات» أى الإبداع. وهو الأصغر حجماً والأهم كيفاً، وتجمع بين الفلسفة

والشعر واليوميات^(١٣).

ب- «دراسات» وتضم خلاصة الفكر الأدبي، وتشمل الدراسات الفلسفية والمنطق والشعر ومناهج البحث. بل وتضم الترجمة وكأنها دراسات، مثل «النقد التاريخي» وهو ليس تأليفاً أو دراسة، بل ترجمة كتاب لأنجلو دسينويوس بنفس العنوان. أما خلاصة الفكر الأوربي، فتشمل دراسة أعلام الفلسفة الحديثة، مثل نيتشه واشبنجلر وشوينهور وشلنج، أو الفلسفة اليونانية مثل أفلاطون وأرسطو (باعتبارهما صيف الفكر اليوناني أي الذروة)، مع ربيع الفكر اليوناني (البداية)، وخريف الفكر اليوناني مع شقائه (النهاية) وفلسفة العصور الوسطى قبل الانتقال إلى العصور الحديثة. وباعتبار أن اليونان مصدر الغرب الحديث^(١٤).

ج - «دراسات إسلامية» وتشمل التحقيق والتأليف والترجمة والإعداد، والإعلان عنها دون ترتيب زماني أو موضوعي، وتشمل الترجمات العربية القديمة لأرسطو وأفلاطون وأفلوطين، الصحيح فيها والمنحول، وتحقيق النصوص العربية لابن سينا وابن رشد، والغزالي، وأبي يزيد البسطامي، والتوحيدي، ومسكويه، والمبشر بن فاتك، وابن سبعين، وأبي سليمان المنطقي. والترجمة لنقل التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ودراسات المستشرقين عن الإنسان الكامل، وعن الخوارج والشيعة، وعن ابن عربي وروح الحضارة العربية، أما التأليف فيشمل تاريخ الإلحاد، والإنسانية والوجودية في الفكر العربي، وهو أكثر المؤلفات إبداعاً وربطاً بين التراثين الإسلامي والغربي، وخازم القرطاجني وأرسطو ربطا بين التراثين الإسلامي واليوناني، ورابعة العدوية شهيدة العشق الإلهي، ودور العرب في تكوين الفكر الأوربي، ربطا بين التراث العربي والتراث الغربي^(١٥).

أما الترجمات فتشمل الروائع المائة، ومعظمها ترجمات عن الأدب الرومانسي الألماني شعراً ونثراً وأقلها عن الأسبانية والفرنسية^(١٦). وتأتي ترجمات أخرى خارج الروائع المائة ودون ترقيم، إضافات عامة، حتمتها ربما الظروف والمناسبات، تجمع بين الحضارة والفلسفة والفن^(١٧).

وقد كتب الفيلسوف الشامل موسوعتين بمفرده صدرتا في نفس العام: «موسوعة المستشرقين» في جزء واحد و«موسوعة الفلسفة» في جزأين، اعترافاً بفضيلتهم وإقراراً بمصادر علمه، وتتبع الموسوعة الأولى الترتيب الأبجدي العربي لأعلام الاستشراق، وللموضوعات على حد سواء، ويبدأ المقال بعرض حياة المستشرق ومؤلفاته، وينتهي بمراجع عنه، ويمتد الاستشراق عبر العصر الوسيط والعصر الحديث. ويذكر كل من تعرض للإسلام من الغربيين، وهو عمل تجميعي خالص، معظمه منقول من مراجع أجنبية دون الإعلان عنها، وقد وضعت موضوعات مع الأسماء مثل القرآن طبعاته في أوروبا وفهارسه وترجماته الأولى، دون الحديث. ويذكر المعجم اللاتيني العربي الأول، والمعجم اللاتيني العربي الثاني، وأولوية المطبعة العربية في أوروبا، مادامت المادة والمعلومات متوافرة. يغلب عليها المدح، ويغيب منها النقد. وتخلو الموسوعة من تصدير أو استهلال أو مقدمة، تحدد إطارها وتبين هدفها، أسوة بباقي المؤلفات والتحقيقات والترجمات والإعدادات^(١٨).

والثانية «موسوعة الفلسفة» (جزءان)، تضم أعلام الفلسفة ومدارسها، وأهم مفاهيمها وموضوعاتها وتاريخها، بترتيب أبجدي عربي، وفي آخر كل مقال بعض المصادر والمراجع المنتقاة، والفلسفة بالمعنى الواسع، إذ تضم بعض علماء النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد. والكتاب لا يتضمن قائمة بأسماء الفلاسفة في آخره، بل بعض صور الفلاسفة. ويجمع بين الفلسفتين العربية الإسلامية والغربية على نحو غير متوازن.

فبينما يضم الجزء الأول تسعة فلاسفة عرب منهم المؤلف نفسه، يضم مائة وثلاثة فلاسفة أوروبيين. وبينما يضم الجزء الثاني أربعة فلاسفة عرب، يضم مائة وثلاثة وعشرين فيلسوفا غربيا، وكأن العرب والمسلمين لا دور لهم في الفلسفة^(١٩).

والهدف من موسوعة الفلسفة تلبية حاجة القارئ العربي المتخصص وغير المتخصص بما يحتاجان إليه، للأول المعلومات الأولية عن الفيلسوف والمذهب، وللثاني حرية الفكر واتساع الأفق وروح النقد، وتمكينه من تكوين نظرة فلسفية للكون

والإنسان والحياة، والهدف - فى الحاليتين - السمو بالفكر الإنسانى الرفيع (٢٠).

وتعتمد بطبيعة الحال على بعض ما أصدره من كتب سابقة. كما أفاد من الموسوعات الفلسفية الأوربية والأمريكية فى العقدين الآخرين، ومن السلاسل الفرنسية والألمانية والإيطالية المتخصصة لأعلام الفلسفة ومذاهبهم، ومن معاجم المصطلحات الفلسفية التى يستغرق سردها عدة صفحات، كما يتجلى نموذج الفلسفة على الاتساع فى ترجمته لكتاب بنروبي «مصادر» وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا (جزءان). والذى يستعرض حوالى اثنين وستين فيلسوفاً حياة ومؤلفات ومذاهب فى ثلاثة تيارات رئيسية: الوضعية التجريبية، والوضعية الوطنية، والكاثوليكية باتجاهيها النفسى والاجتماعى، والمثالية النقدية والمعرفية، والوضعية الميتافيزيقية والروحية، وكلها تدور حول الأنا والتجربة الفردية، لذلك عشقها الفيلسوف الموسوعى.

وقد تتغير العناوين المعلن عنها مثل الإعلان عن المثالية الألمانية فى ثلاثة أجزاء (فشته، هيجل، شلنج) ثم صدر تحت عنوان «شلنج» مع فصلين تمهيديين عن «فشته وشلنج»، وقبل أن يستأثر هيجل بجزأين آخرين عن فلسفة القانون والسياسة، وفلسفة الجمال والفن.

وقد يعلن عن كتب ولا تصدر، مثل الإعلان عن «برجسون» فى خلاصة الفكر الأوربى، وعن رسائل الإسكندر الأفروديسى فى كتاب مستقل، وقد صدرت فى كتاب آخر شروح على أرسطو مفقودة فى اليونانية ورسائل أخرى، و«إيرقلس عند العرب» وقد صدر فى «الأفلاطونية المحدثه عند العرب»، و«الآراء الطبيعية لفلوطرخس»، وقد صدر فى كتاب آخر، والتشويق إلى الحياة الدائمة للتوحيدى، ولم يصدر، وربما حنين ابن إسحق: آداب الفلاسفة. والإعلان عن الترجمات من الروائع المائة، ولم يصدر منها إلا ما يتجاوز العشرين، وكأن العمر يتسع مع ما يتسع إلى ترجمة روائع مائة من الأدب الأوربى، بالإضافة إلى ما يزيد عن المائة من الدراسات الأخرى فى التراثين العربى والأوربى، تاليفاً وتحقيقاً وترجمة وإعداداً، فرد واحد يقوم بنور جيل

كامل أو مؤسسة بحثية بأسرها. وأحيانا يعلن عن عدد مختلف من الأجزاء. مثل الإعلان عن منطوق أرسطو مرة في أجزاء خمسة وهو الأقل، ومرة في ثلاثة أجزاء، وهو الأكثر والأصح، ودون كيخوته «لثربنتس»، الإعلان عنها في أربعة أجزاء وصدرت في جزأين.

ومرة يعلن عن كتاب في الدراسات، وهو مترجم دون اسم المترجم، مثل «روح الحضارة العربية» وهو لكارل هنرش شيدر، ومرة مع ذكر المؤلف مثل فلهوزن «الخوارج والشيعة»، و«التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية»، و«شخصيات قلقة في الإسلام»، و«شطحات الصوفية»، و«الإنسان الكامل»، وكلها مترجمات، دون الإعلان عن مؤلفيها، وكأن لا فرق بين التأليف والترجمة، فالتأليف ترجمة حرة، والترجمة تأليف غير مباشر، والتعبير عن النفس عن طريق أفكار الآخرين.

ومرة يعلن عن الترجمة بأكثر من عنوان، مثل ترجمة «برن»، مرة أنتشيلد هارولد، ومرة أسفار أنتشيلد هارولد، وترجمة جيته، «الديوان الشرقي»، اختصاراً للديوان الشرقي للمؤلف الغربي، والأصح «الديوان الشرقي للشاعر الغربي»، وحرفياً «الديوان الغربي الشرقي»، وترجمة رينيه ويج «الفن والنور واللوحات» وهو الأغلب، وأحياناً «الفن والنور وقراءة اللوحات» وهو الأقل.

وقد يعلن عن عدة أجزاء تكون سلسلة متصلة، ولا يصدر إلا جزء واحد، مثل الإعلان عن «شطحات الصوفية» ولم يصدر إلا الجزء الأول عن أبي يزيد البسطامي، والإعلان عن الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام»، ولم يصدر إلا الجزء الأول.

ويدل ذلك على أن المشروع البحثي للفيلسوف الشامل في بدايته كان متشعب الاتجاهات بين التأليف والترجمة والتحقيق والإعداد، أو بينها جميعاً، وكان مازال متحركاً في كل هذه الاتجاهات، طموحاً للغاية أكثر مما تتسع له حياة فرد واحد، ولكن هذه هي طبيعة المشاريع الفكرية الكبرى، مسار حياة، يتكشف عن بنية عمل، قصد كلي يتحقق في مقاصد جزئية.

وتتوزع الأعمال على رحلة العمر كلها منذ أكثر من نصف قرن، لا تفرز قبل

الأستاذية، ثم تضحل أو تكاد تختفى بعدها. أول كتبه فى أواخر الثلاثينات، ومازال يعطى حتى أواخر التسعينات، وإن اختلف اتجاه العطاء طبقاً لمراحل العمر ومكان العطاء، وأغلبية هدف على هدف فى جدل خصب بين الفرد والتاريخ.

والسؤال: كيف استطاع عمر واحد أن ينجز أكثر من مائة كتاب، بمعدل كتاب واحد كل أربعة أشهر، وفى موضوعات متفرقة، تضم أكثر من حضارة، على الأقل فى حضارتين مختلفتين، الإسلامية والغربية، وفى ثقافات متعددة داخل كل حضارة، العربية والفارسية والتركية والهندية داخل الحضارة الإسلامية، والألمانية والفرنسية والإسبانية والإيطالية داخل الحضارة الأوربية؟

وفى نفس الوقت كيف استطاع الجمع بين الفكر والسياسة، بين النظر والعمل، بين البحث العلمى والنشاط الحزبى، خاصة وهو فى مرحلة الشباب بعد أن قدمه فتحن رضوان لشباب الحزب الوطنى ومصر الفتاة، مفكراً مرموقاً؟ فأعمال الفيلسوف الشامل هى أكبر سباحة عرفها الفكر العربى المعاصر فى فكر البشر. ولا يوجد فيلسوف خدم الفكر الفلسفى فى مصر قدر ما خدمه الفيلسوف الشامل، فهو النافذة التى فتحنها على الدراسات الإسلامية والفلسفة الغربية، بعد أن توارت هموم الوطن من هموم الشباب. ظل العالم الباحث الأستاذ عازفاً عن المناصب الرسمية غير متطلع لها. وكان المنصب الوحيد الذى أخذه فى الجامعة، وخارجها هو منصب المستشار الثقافى لمصر فى برن بسويسرا ١٩٥٦-١٩٥٩، منذ التأميم حتى الوحدة، وهو منصب لا يتقلده إلا مفكر، استعمله فى البحث والاطلاع على المكتبات، أكثر من استعماله فى جمع الأموال واستثمارها فى الأعمال الحرة.

وهو مشروع فكرى واحد بالرغم من تقلباته ونبذاته، وغلبة جانب على آخر، طبقاً لمراحل العمر وقربه أو بعده عن الوطن، ومازالت الوحدة تجمع بين الشتات، وإن كان أثره بدأ فى الانحسار لتغيير الواقع، والفيلسوف الشامل لم يتغير.

ويغلب منهج العرض، عرض المادة العلمية دون تدخل من المؤاف بالنقد أو التطوير أو القراءة، كما هو الحال فى التأليف المدرسى، وكأن المادة العلمية هى العلم، والمعلومات المتوافرة هى العلم الجديد المضاف إلى العلم القديم فى بيئة تفتقر إلى كل

شئ، المعلومات والعلم على حد سواء، وفي عصر كان المفكر أو الأديب أو العالم كالنجم الزاهر يسطع في السماء ويضيء في كل اتجاه. فهو بمفرده مكتبة حية متنقلة تحتوى على تاريخ الفكر البشرى كله، باستثناء الشرق القديم وأفريقيا وأمريكا، وكأنه لم يهتم إلا بالإسلام والغرب، فقد انتقلت الحضارة من اليونان إلى العرب، ثم من العرب إلى الغرب، وربما تنتقل إلى العرب من جديد.



مشروعه فيما يبدو التمهيد لأجيال قادمة من دارسى الفلسفة، وإعداد الخريطة العامة للفكر البشرى لهم، بانوراما عريضة، يرون فيها الروح البشرى وهو يعنى ذاته بالفكر، يؤسس الميادين، ويفتح المجالات، ويضع الأسس. ويطرق المجهول، ويسهل الصعب، ويجلب النادر، ويفتح الأبواب لأجيال قادمة للدخول والفيلسوف الشامل نقطة التقاء بين الشرق والغرب، كما هو الحال عند كل مفكرى النهضة العربية، يقرأ (الأنا) فى مرآة (الآخر)، ويرى (الآخر) فى مرآة (الأنا) فالواقع له عينان، عين على الماضى وعين على المستقبل، وله رنتان، رنة تتنفس بتراث القدماء، ورنة تتنفس بتراث المحدثين، وهى أبعاد الزمن الثلاثة، فالواقع هو الحاضر، وتراث القدماء هو الماضى، وتراث المحدثين هو المستقبل. ويمكن التعرف على عدة دوافع لهذا التأليف على الاتساع، منها ما يتعلق بالحالة الراهنة للفلسفة فى الجيل الماضى، ومنها ما يتعلق بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والمهنية العامة فى مصر.

حاول الجيل الماضى منذ نشأة الجامعات المصرية تأسيس كل شئ، وإعطاء أساس عام للفكر الفلسفى فى مصر، لا فرق بين دراسات إسلامية ودراسات غربية. تأليفاً أو تحقيقاً أو ترجمة، فلسفة أو أدباً، جامعياً أو أزهرياً، مصرياً أو عربياً أو

أجنبياً^(٣١). بل إن الذى أشرف على الفيلسوف الشامل فى رسالته للدكتوراه «الزمان الوجودى» عام ١٩٤٣ هو عميد الأدب العربى طه حسين.

كان الفراغ كبيراً يحتاج إلى ملء أولى فى كل الميادين. ودون هذا الحد الأدنى من الثقافة الفلسفية على الاتساع لا يمكن لأجيال قادمة البناء والتشييد فى العمق -أولاً- وفى الارتفاع - ثانياً- فهو ينتمى إلى جيل إرساء القواعد ووضع الأسس مثل طه حسين، وأمين الخولى، ومصطفى عبد الرازق، وعثمان أمين، وتوفيق الطويل، وزكى نجيب محمود، وأبو ريان، وأبو العلا عفيفى، وعلى سامى النشار، وأحمد فؤاد الأهوانى، ومصطفى حلمى. فلولا الجيل الأول ووضع الأساس لما أمكن للأجيال القادمة التحول من الاتساع إلى العمق، ومن الأساس إلى البناء، ومن القواعد إلى البيت، ومن العام إلى الخاص.

وقد يكون السبب جامعياً، فابن الثمانين أستاذ جامعى يدرس كل شىء، تاريخ الفلسفة اليونانية والوسطى والحديثة، والإسلامية بكل أنواعها، الفلسفة والكلام والتصوف، والعلوم الفلسفية، المنطق ومناهج البحث، والأخلاق، والسياسة، وفلسفة التاريخ، وكان هو مؤسس القسم الأول، والأستاذ الأول، والمؤلف الأول، فكتب فى كل المقررات لإفادة الطالب. فكان صاحب صنعة ورائد حرفة، التأليف الجامعى، والكتاب المقرر، والتوزيع على الطلاب. وهو تقليد مازال قائماً فى جامعة عين شمس من الجيل المتوسط والجيل الحالى، حتى طغى توزيع الكتب على العلم، على الأستاذ والطالب والساعى على حد سواء.

وربما دخل العامل الاقتصادى فى ذلك مع الفيلسوف الشامل فى بحبوحة من العيش، ومن أسرة ميسورة صاحبة أراضٍ فى الريف. وكما يتندر الأدباء ببخل توفيق الحكيم، يتندر أساتذة الفلسفة أيضاً ببخل الفيلسوف الشامل فى حياته الخاصة والعامّة، دون تغيير للهدام، ودون عربة لتسهيل الانتقال، ودون تمتع بما أعطيه من سعة فى العيش، ولا فرق هنا بين التقدير والزهد إلا فى الباعث، والنتيجة واحدة.

وقد يكون السبب وجود ناشر معروف ومشهود له بالكفاءة فى النشر والتوزيع، فيسهل للباحث هم النشر والبحث عن ناشر والصراع معه على حقوق المؤلفين، التى

- فى الغالب - ما تضيع لحساب الناشر، أو بتزوير كتبه، أو بإصدار طبعات خاصة لا يعلمها المؤلف، أو بزيادة عدد الكتب فى الطبعة الواحدة على غير علم المؤلف. كان الناشر يتغير بتغير المكان، فالعالم يجذب ناشره فى أى مكان حل^(٢٢). وقد يكون الدافع إمكانية البحث العلمى الواسعة، الاتصال بالمستشرقين، والاطلاع على أبحاثهم، المعرفة بعدد من اللغات الأجنبية الحية، كالفرنسية والألمانية والإسبانية والإيطالية والإنجليزية فى الغرب، والفارسية والتركية فى الشرق، أو القديمة كاليونانية واللاتينية. هذا بالإضافة إلى كثرة الأسفار، والاطلاع على مكتبات العالم الشهيرة، الوطنية فى باريس، والأسكوريال بالغرب فى مدريد، وأحمد الثالث باستانبول، ومكتبة جامعة طهران.

كما ساعده وجوده مستشاراً ثقافياً فى برن على مدى ثلاث سنوات، فى الخمسينيات، بعد الثورة المصرية، على سهولة الاطلاع على أمهات المراجع الأوربية، بما توافر لديه من وقت، وإمكانات مادية وحماس للعلم، ونقل دراسات المستشرقين والتعريف بأعمالهم، فى فراغ فلسفى شديد يحتاج إلى من يملؤه علماً وشهرة وبزوغاً.

وقد يساعد على ذلك التفرغ الكامل للبحث العلمى لدرجة الرهينة، والعزوف عن الزوج والأهل والأولاد والأقارب والأصدقاء والخلان، أسوة بالجاحظ وابن رشد من القدماء. فالجاحظ وقعت مكتبته عليه. وابن رشد لم يترك الكتابة والتأليف إلا ليلتين، ليلة وفاة أبيه، وليله بنائه على أهله كما تقول الروايات.

يضاف إلى ذلك الرغبة فى العزلة والمزاج الحاد، والطبع الجاد، والعبوس الدائم، والجدية الصارمة، حتى أصبح البحث العلمى جزءاً من المزاج النفسى والتكوين البدنى، بالرغم من «هموم الشباب»، و«اعترافات ساقطة»، و«يوميات إحدى بنات الهوى»، خشى الزملاء والتلاميذ والأصدقاء والمريدون الاقتراب منه خشية أن يصيبهم منه الأذى والامتهان. رفض جوائز الدولة التقديرية من الجامعات المصرية والأجنبية. ومازال يرفض كل مظاهر التكريم له، متشككا فى كل شىء، أو متعاليا على كل شىء، كالقائد الذى لا يضع نياشينه على صدره، حتى لو انتصر فى كل الحروب. فماذا تزيده النياشين. من يضعها يستمد وجوده منها، ويشعر بأنه أقل منها، ومن يعزف عنها، تستمد هى وجودها منه ويتعالى هو عليها^(٢٣).

ثالثاً: الجبهات الثلاث

ويمكن إعادة تصنيف أعمال الفيلسوف الشامل فى ثلاث جبهات، مازالت تكون مشروع النهضة العربى منذ «مناهج الألباب» فى القرن الماضى حتى مشروع «التراث والتجديد»: الموقف من التراث القديم، الموقف من التراث الغربى، الموقف من الواقع المعاصر. وهو مشروع متصل منذ فجر النهضة العربية عند الطهطاوى حتى هذا الجيل، يساهم فيه كل مفكر فى إحدى صياغاته وأشكاله. فالكتابة عن الآخر، هى كتابة عن الأنا فى مرآة الآخر، وتتفاوت الجبهتان الأولى والثانية من حيث غزارة الإنتاج، حوالى خمسين مؤلفاً فى كل جبهة. ثم تنكمش الجبهة الثالثة التى يسميها (المبتكرات) فى عشرة أعمال تقريبا. وهذا يدل على أن معظم التأليف فى النصوص يقرأ النصوص، ولا ينظر إلى الواقع إلا من خلال النصوص، القديم منها والحديث. فأصبح الإنتاج تراثى الطابع، مكتبى الاتجاه، نُصِّىَّ القراءة، ويغلب عليه النقل أكثر من الإبداع، والقراءة والتأويل أكثر من التنظير المباشر للواقع.

ولا يهتم المؤلف بترتيب زمانى للأعمال فلهذا هناك تطورا فكريا يمكن رصده، ولا يهتم بالطبعات الأولى أو المتأخرة بمزيد من الدقة والإحكام، كما تفعل مكتبة مصر فى أعمال نجيب محفوظ، ومكتبة الشروق فى أعمال سيد قطب، فقد تحدد المشروع من قبل مرة واحدة، وإنما المراحل هى لبنات وطوابق لإتمام البناء، وهناك مسافة زمنية تطول أو تقصر، بين سنة النشر وسنة إعداد الكتاب، قد تصل إلى أكثر من عشر سنوات، مما يدل على أن المؤلف كان يعد أكثر من كتاب - بصرف النظر عن النشر- ويتنهنز فرصة وجوده فى الخارج فى إحدى المكتبات العامة ليجمع مواد أكثر من كتاب، فكان التأليف أسرع إيقاعاً من النشر، وكان لا يحلّ مكانا للعمل فيه فى التدريس إلا ويصاحبه التأليف، فالعالم كله مكان للتأليف والنشر، بل تتعدد الفصول، بين الشتاء والخريف والصيف والربيع، بالإضافة إلى أسماء الشهور الميلادية، وتتعدد الأماكن التى كتبت فيها مقدمات الكتب بين عواصم الغرب والشرق لندن وباريس ومدريد وبرن وليدن ومنشن وفيينا وروما والفاتيكان فى الغرب، والقاهرة والكويت

وطهران ودمشق وبيروت وعمان وبنغازى فى الشرق^(٢٤).

وقد يكون السبب للتباعد بين سنوات النشر وسنوات التأليف عدم وضع تواريخ الطبعات الأولى التى يمكن معرفتها عن طريق الترتيب الزمانى، وقد تكون المسافة الزمنية عشر سنوات أو أقل^(٢٥). وقد تكون عاما واحداً^(٢٦).

وقد حصر الفيلسوف الشامل - نفسه - مؤلفاته فى موسوعة الفلسفة فى المادة التى كتبها عن نفسه، لعله يكشف عن تطور فكرى أو مسار روحى أو انعطافات أو تشعبات فى مشروع فلسفى متعدد الجبهات، أغفل منها الترجمات فى سلسلة «الروائع المائة»، مع أنها جزء من الأعمال، أو لأنه لا يعتبر الترجمة عملاً علمياً يضاف إليه، والمبتكرات لأنه رأى نفسه مؤرخاً للفلسفة أولاً وفيلسوفاً ثانياً. كما يغفل هو - نفسه - بعض أعماله ربما سهواً مثل، «السماء والعالم والآثار العلوية» لأرسطوطاليس، و«تلخيص البرهان» لابن رشد «وتلخيص القياس»، وقد يتكرر عمل واحد مرتين، طبقاً للطبعة، مثل كتاب «الخطابة» لأرسطو^(٢٧).

وتختلف السنوات فيما بينها من حيث غزارة الإنتاج^(٢٨) ومعظم السنوات بعد ذلك حصاها كتابان، وأقل القليل كتاب واحد كل عام، ويندر أن توجد سنوات قاحلة، وكلها تقريبية^(٢٩).

وتتراوح الجبهة الأولى بين التأليف والتحقيق والترجمة والإعداد، والتصنيف من حيث الأهمية وليس من حيث العدد، أى من حيث الكيف وليس من حيث الكم^(٣٠).

وهذه الأنواع ليست منفصلة عن بعضها البعض، فقد يحتوى التأليف على نصوص محققة وبعض الترجمات، وقد يحتوى التحقيق على دراسة مفصلة للنص المحقق. وقد تضم الترجمة مقدمةً وشروحاً على النص المترجم، والفيصل هو الكم. فلو كانت الدراسة أكثر من النص المحقق أو المترجم تكون أقرب إلى التأليف، ولو كان التحقيق أو الترجمة أكبر من المقدمة والشرح، يكون أقرب إلى التحقيق أو الترجمة منه إلى التأليف، والتحقيق نوعان: تحقيق لنصوص إسلامية، وتحقيق للترجمات العربية للنصوص اليونانية الصحيحة أو المنحولة.

فواضح أن الفيلسوف الشامل في الجبهة الأولى محقق أكثر منه مؤلف، فهو محقق، أولاً (٣٣) ومترجم، ثانياً (٦) ومعد، ثالثاً (٦) ومؤلف، رابعاً (٤)، ومجموع الأعمال ٤٩ عملاً في الجبهة الأولى، بالإضافة إلى خمسة أعمال بالفرنسية، فيكون المجموع ٥٤ عملاً، أى حوالى نصف الأعمال كلها.

وتشمل الجبهة الأولى عدة مؤلفات باللغة الفرنسية، مثل «مشكلة الموت» القايرة ١٩٦٥ «انتقال الفلسفة اليونانية إلى العالم العربي» باريس ١٩٦٨، وتاريخ الفلسفة العربية (جزءان) باريس ١٩٧٢. وأخيراً صدر له كتابان «الدفاع عن القرآن ضد منتقديه» باريس ١٩٨٩، «الدفاع عن حياة النبي محمد ضد مشوهيها»، باريس ١٩٩٠، «موضوعات وأعلام الفلسفة الإسلامية» باريس ١٩٧٩، «الإسلام كما يراه فولتير، هرذر، جيبون، هيجل» (الإعلان عنه)^(٣١).

وبلاحظ على الجبهة الأولى:

- ١- غلبة التحقيق (٣٣) والترجمة (٦) والإعداد (٦) على التأليف (٤)، مما يدل على غلبة النقل على الإبداع، والمعلومات على العلم، والمعارف على الاجتهاد.
- ٢- وضع الترجمات العربية القديمة عن اليونان والرومان وفارس مع الدراسات الإسلامية، وهى بين اليونانية والإسلامية تربط بين الجبهتين الأولى والثانية.
- ٣- غياب الترجمات الهندية والتراث الهندي عن الاهتمامات بالرغم من توافره. بعكس حضور تراث فارس النسبى، خاصة وأن المحقق مولع بالاكشافات الجديدة متجاوزاً البيرونى.
- ٤- الدراسات الإسلامية تدور حول الفلسفة والتصوف والكلام، ويغيب (علم أصول الفقه) وهو موطن الإبداع فى التراث القديم ولم تخنقه روح اليونان، ويشرب نحو الحداثة بتحليل الوعى التاريخى واللغة والفعل.
- ٥- بالرغم من حضور العلوم العقلية الخالصة فى دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب، فإنه تغيب العلوم النقلية كلها باستثناء كتابه بالفرنسية «الدفاع عن القرآن ضد منتقديه»، فهو فى علوم القرآن و«الدفاع عن النبي محمد (ﷺ) ضد مهاجميه» وهو فى علم السيرة، فإن المحقق المدقق لم يتطرق لباقي العلوم النقلية مثل

التفسير والحديث والفقه.

٦- غياب العلوم الإنسانية كاللغة والأدب والجغرافيا والتاريخ، خاصة وأن الفيلسوف الوجودى مولع بالأدب إبداعاً وترجمة، وبالتاريخ ترجمة، أما الجغرافيا فإنها تستلزم المكان والمهاجر لا مكان له.

وتتراوح الجبهة الثانية عن التراث الغربى الذى يشمل الفلسفة والأدب والعلوم الفلسفية: بين التأليف (٢٧) والترجمة (٢٢) ومجموعهما (٤٩)، يعادل الجبهة الأولى من حيث الكم. وهى جبهة تضم الفكر اليونانى، أى مصادر الفكر الأوروبى وفلسفة العصور الوسطى، وكذلك دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى، وهو ربط بين الجبهتين الأولى والثانية.

وتتم دراسة الفكر الأوروبى إما عن طريق الموضوعات أو عن طريق الشخصيات. كما تتم دراسة الفكر عن طريق تاريخه منذ أصوله عند اليونان، حتى تطوره فى العصر الوسيط واكتماله فى العصور الحديثة.

وقد صنف هو هذه الدراسات تحت عنوانين: دراسات فى الفكر الأوروبى (خلاصة الفكر الأوروبى)، وترجمات الروائع المائة^(٣٢).

ويغلب على الترجمات الأدب، خاصة الشعر، وليس الفلسفة، ولكنه أدب فلسفى يجد فيه المؤلف نفسه، الجمع بين الشرق والغرب، مثل جوته فى الديوان الشرقى للشاعر الغربى، وارتداد روحه لأفاق العالم كما وضع فى «هموم الشباب» مثل جوته فى «فاوست»، ومحاربة أوهاام العصر مثل سربنتيس فى «دون كيخوته». فاختيار الأعمال المترجمة فى ذاتها، دليل على شخصية المترجم وتوحده مع أبطال الأعمال الأدبية. لذلك قد يكون اختيار الروائع المائة - التى لم يتم تحقيق إلا حوالى عشرين منها- تأليفاً غير مباشر، ذا دلالة خاصة، وهدف محدد. كلها من الأدب الرومانسى الذى يمجّد البطولة والفداء والفروسية وعظمة الإنسان. وكما عبرت عن ذلك فلسفة نيتشه فى إرادة القوة والإنسان الأعلى. ومازالت العادة متبعة عند كل الأقران والأجيال اللاحقة، ترجمة لديكارت أو كانط أو برجسون^(٣٣). إذ تعبر الأنا عن ذاتها من خلال الآخر، حماية للأنا وتسترا بالآخر.

وقد يكون لولع الفيلسوف الشامل بالفلسفة الرومانسية والأدب الرومانسى، علاقة بانتمائه إلى (مصر الفتاة)، وهى نظرة رومانسية لمصر الوطن وعلاقتها بالإسلام، وليس بالضرورة ممثلاً فى دولة الخلافة. وهى نفس الفترة التى ظهرت فيها جماعة أبولو للشعر. وقد يكون ولعه بالفلسفة الألمانية، بوجه خاص، هو التعاطف مع ألمانيا صديقة العرب فى صراعها ضد الاستعمار البريطانى، وهو ما كان سائداً فى صفوف الجيوش العربية، وثورة رشيد على الكيلانى فى العراق فى صف المحور ضد الحلفاء، وتعاطف عزيز المصرى والمجموعة الأولى من الضباط الأحرار مع ألمانيا. والاعتماد على الخبراء الألمان فى الصناعة العسكرية والمدنية فى تركيا ومصر حتى أوائل الثورة المصرية وقبل التحول إلى الخبراء السوفييت^(٢٤).

وما قام به الفيلسوف الشامل مع الغرب، تحقيقاً وترجمة وتأييلاً وعرضاً، كما قام به حنين بن اسحق مع اليونان، وما قام به مع ألمانيا مثل ما قام به آخرون مع فرنسا أو أسبانيا أو إيطاليا، كل حسب هواه وثقافته.

ويلاحظ على الجبهة الثانية:

١- الإعجاب الشديد بالغرب عامة، وبألمانيا خاصة، واعتباره مركز العالم، وبؤرة إبداعه، تجاوز اليونان، واكتشف عالم الذاتية، فى حين لم يأخذ العرب من اليونان إلا الشكل وبَقْواً فيه، فماتت الروح، باستثناء صرخات الصوفية، فهو يعطى الآخر أكثر مما يستحق، ويعطى الأنا أقل مما تستحق. وما يريده الفيلسوف الشامل لمصر (المثالية الألمانية) من الغرب و(التصوف الإسلامى) من الشرق.

الغرب المثالى والشرق الصوفى، وليس الغرب العالم والشرق الفنّان كما طالب - بعد ذلك - زكى نجيب محمود. والحقيقة أن المماثلة مستحيلة، فلكل حضارة خصوصيتها ومسارها ونمط تطورها، ولا يوجد مقياس ومقيس، ولا معيار ومعار.

٢- لم تستطع الدراسات الإسلامية - وهى فى نفس الحجم كالدراسات الغربية - أن تقلل من المركزية الأوروبية لديه. أو إيجاد التفاعل الضرورى بين الجبهتين، بل اعتبر الغرب هو الأصل والعرب الفرع، اليونان هم المركز والعرب هم المحيط، بالرغم من انتساب الفيلسوف الشامل إلى (مصر الفتاة) فى شبابه، أى أولوية الأنا على

الأخر، والواقع على الفكر، والوطن على العلم، بل إن الدراسات الإسلامية استشرافية، أي من وضع الغرب أكثر مما هي من وضع العرب. بل إن التفاعل الوحيد بين الجبهتين «الإنسانية والوجودية في الفكر العربي»، جعل الآخر هو المقياس، وأنا المقيس، الآخر هو الأصل، وأنا هو الفرع، تركيز لثنائية المركز والأطراف.

أ- ابتسار الغرب في إحدى لحظاته وأماكنه مما أدى إلى إغفال بداية الفلسفة الحديثة خاصة عند مؤسسها، وهو ديكارت، وإغفال المدرسة الديكارتية كلها، مالبرانش، إسبينوزا، وليبنتز، ربما لتصدي عثمان أمين ونجيب بلدي لها، والفيلسوف الأوحى يريد أن يفتح عصوراً جديدة في الفلسفة، لا يشاركه فيها أحد.

ب- إغفال بسكال وهو من مؤسسي العقلانية الإيمانية والاتجاه العلمي في القرن التاسع عشر، وقبل حلول الرومانسية السعيد، بالرغم من اهتمام الفيلسوف، أولاً، العاقل، ثانياً، بموضوع العقل والإيمان، وبالرغم من اهتمامه بتاريخ العلوم عند العرب كما وضع في «دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب».

ج- اقتصاره على العقلانية الألمانية وفلسفة التنوير في القرن الثامن عشر في ألمانيا، رباعيته عن كانط وثلاثيته عن هيجل.

د - إغفال عصر النهضة في القرن السادس عشر وهو البداية السلبية للعصر الحديث عن طريق نقد الفلسفة المدنية.

هـ - إغفال عصر الإصلاح الديني في القرن الخامس عشر خاصة مارتن لوثر، وقد كانت البروتستانتية أحد مصادر فلسفة التنوير في حرية الفكر، والمسئولية الفردية، والثورة على الكنيسة، في القرن الثامن عشر في ألمانيا، وأحد مصادر الرومانسية بتغليبها الباطن والحياة الروحية على المظاهر الشعائرية والمؤسسية، خاصة وقد صدر كتاب كانط «الدين في حدود العقل وحده»، وأن كيركجارد مؤسس الوجودية الفعلي في العصور الحديثة، والذي خصص له الفيلسوف الشامل جزءاً من «دراسات في الفلسفة الوجودية»، يعتبر نفسه (لوثر الثاني).

و - إغفال الفلسفة البريطانية والأمريكية والروسية والإيطالية، نظراً لإعجابه

المبكر بالمثالية الألمانية ولكنها مدارس كانت في تفاعل إيجابي أو سلبي مع الفلسفة الألمانية مثل «إمرسون» و «رويس» في أمريكا، وماك تاجرت في إنجلترا، وروزمبني وكورتشه في إيطاليا.

ز - إغفال كل فكر آخر يكون بعداً لمصر، مثل الفكر الشرقي القديم في الصين والهند، وما بين النهرين في بابل وأشور، والجزيرة العربية شمالاً وجنوباً وكنعان وفي مصر القديمة، وكان الشرق قد انضوى تحت الغرب وضاع لحسابه.

وكما غاب شرق مصر في آسيا، غاب أيضاً جنوبها في أفريقيا، والحضارة المصرية القديمة في أحد جوانبها حضارة أفريقية، عاصمتها القديمة «منف» في صعيد مصر، والنوبة وبلاد بنط تربط بين الجزء في الشمال والكل في الجنوب. وبطبيعة الحال غابت أمريكا اللاتينية التي كانت في الستينيات جزءاً من وجداننا الفكري والسياسي. وقد حضر «جيفارا» إلى مصر في الستينيات بعد انتصار الثورة الكوبية. وألهب خيال الفنانين والشعراء، والسياسيين.

أما الجبهة الثالثة، وهي الواقع المباشر، فهي التي يغلب عليها الإبداع، ويسميتها «مبتكرات»^(٣٥). وهي أقرب إلى الأدب منها إلى الفلسفة، باستثناء رسالته للدكتوراه «الزمان الوجودي» وقبلها رسالته للماجستير (بالفرنسية) عن «مشكلة الموت»، ومقالة (هل يمكن قيام أخلاق وجودية؟) اعترافاً منه بأن كل الدراسات الأدبية السابقة وترجماتها ليست مبتكرات بل نقلاً وعرضاً. فالمبتكرات تدور حول الإبداع الأدبي الشعر والقصة واليوميات، والدراسات الفلسفية. ولكنها لم تستمر طويلاً في المرحلتين المتوسطة والأخيرة من حياته، فلا الشعر استمر ولا القصة استمرت. بالرغم من إعلانه عن ثلاثة منها مؤخراً وهو بالكويت، ولا اليوميات استمرت، وما أكثر ما مر به من حوادث شخصية، بصرف النظر عن حوادث الوطن، هزائمه وانتصاراته، قوميته واشتراكيته ثم انقلابه عليها إلى قطريته وانفتاحه، فلا توجد ملاحظات على الجبهة الثالثة إلا قصرها، وصغرها، وتجمدها، بالرغم من بدايتها الخصبة في الزمان الوجودي، ولا يفسر بنية العمل إلا مسار الحياة.

لذلك كان الربط بين هذه الجبهات الثلاث قليلاً باستثناء «الإنسانية والوجودية في

الفكر العربى» وهى أربع محاضرات عامة ألقاها فى بيروت عام ١٩٤٧، وليست مولعا له بنية وسنهج وهدف. تضخمت الجبهتان الأولى والثانية على حساب الجبهة الثالثة، فتحول المثلث الحضارى من متساوى الأضلاع إلى متساوى الساقين، ويبلغ طول كل ساق قاعدته خمس مرات على الأقل، ولما كانت الجبهة الثالثة هى الأتون الذى تنصهر فيه الجبهتان الأوليان، فإذا ما تحجرت فى مرحلة معينة، هى مرحلة الشباب، وغابت بعد ذلك فى المراحل الوسطى والأخيرة، تحول المشروع كله إلى جبهتين الأولى تحقيق وترجمة، والثانية تاريخ فلسفة وعرض مذاهب، دون تفاعل ثلاثى بين الجبهات الثلاث، لقد توحد مع مصر فى البداية وأسقطها من الحساب فى النهاية، فتوقف المشروع عن الحركة والتغيير بناء على تغير مصر وحركتها على مدى نصف قرن (٣٦).

ويلاحظ على الجبهة الثالثة - وهى علاقة الفكر بالواقع، والعلم بالوطن - ما يلي:

١ - كان الفيلسوف الشامل أحد أقطاب الحياة الفكرية السياسية فى مصر قبل الثورة المصرية. أصبح رئيس قسم الفلسفة بجامعة عين شمس لأكثر من عشرين عاما، عمر الثورة المصرية فى الجمهورية الأولى. ثم غادر إلى الكويت فى أواخر السبعينيات، عام الهزيمة وظل بها على مدى عشرين عاما، يكتب ويؤلف ويحقق ويترجم، ولكنه لا يمارس المواطنة، ولا يتحقق بدور العالم والمواطن، كما كان فى مصر قبل الثورة وبعدها، ومكث بجامعة الكويت أربعة أضعاف الوقت المسموح به فى نظام الجامعات المصرية، مما انتهى إلى فصله بعدها، لتحول الوسيلة إلى غاية، وانفصل العلم عن الوطن، وأصبح العلم بديلاً عن الوطن، فى عصر كانت صورة الخليج فيه أنه مصدر الثروة، فهل هى خصومة مع الوطن منذ ٢٣ يوليو، مع أنها كانت - فى أحد جوانبها - تحقيقاً لبداى مصر الفتاة، وكان عبد الناصر فى علاقة معها. وأفرج عن أحمد حسين زعيمها. هل هى خصومة مع قوانين الإصلاح الزراعى التى طبقت على أسرته، بالرغم من أن ما بقى منها كان يكفى لبحبوحة العيش، وبالرغم من أن أخاه كان من الضباط الأحرار المرموقين والصحفيين النابهين (٣٧).

٢ - وقد ظل بجامعة الكويت متجاوزاً أيضاً ضعفى المدة المقررة، تقديراً لشخصه وعلمه ومركزه حتى الحد الأقصى لهذا التقدير، غادر بعد ذلك إلى باريس مقيماً فيها بجوار المكتبة الوطنية، مدافعاً عن الإسلام ضد منتقديه، وعن القرار ضد ناقيه، ومؤلفاً فى تاريخ الفلسفة الغربية، وفى الوقت الذى تتحول فيه المكتبة الوطنية فى باريس من نظام الفهرسة القديم إلى النظام الآلى الجديد، مع تغيير المكان والمبنى. ونهاية عصر الذكريات الأولى، تأزم الفيلسوف الشامل، فالتغير فى عادات البشر فى البحث العلمى، أصعب بكثير من تغيير أدواته وآلياته.

٣ - وبعد أن غادر الرمز إلى الخليج تابع المرموز، وبعد أن استقر المثل فى بلاد الثروة اقتفى أثره الممثل، وبدأت أكبر تصفية لقسم الفلسفة فى جامعة عين شمس، بالإعارة أولاً، وبلاستقالة ثانياً، وبالفصل ثالثاً، وتم نقل جزء من الوطن، فالعلم لا وطن له. وكل بلاد العرب أوطان، هدم فى مكان وبناء فى مكان آخر، نزع للخضرة من الوادى، وزرعها فى الصحراء، فلا الوادى نما، ولا الصحراء أخصبت، وإلى الآن لم تقم لقسم الفلسفة بجامعة عين شمس قائمة لاستمرار النموذج، نموذج هجرة العقول، لجيل لاحق، إنشاء جيل جديد بلا أساتذته^(٣٨).

٤ - وكان يمكن اللحاق بما فات وقضاء ما تبقى من عمر بالعودة إلى الوطن، ورحب الوطن، فالوطن رجب الصدر، حتى وإن ضاق العلماء به، ولكن من تعود على الغياب عن الوطن والقسوة عليه لا يحن إلا إلى الغربية عنه، ويضمم الوطن فى القلب. ويعيش على تسقط الأخبار عن بعد، ويشرع للغربة عن طريق نقد ما آلت إليه الأوضاع، وما انتهى إليه مستوى الجامعات، يعيب النتيجة وهو السبب، ويتساءل عن العلول وهو العلة.

٥ - ولم يبخل الوطن فى التقدير، وأراد أن يعبر عن كل مظاهر الاحترام والتقدير للعالم الجليل من الجامعات المصرية والأجنبية فيه، بتقديم جوائز الدولة أو الشهادات الفخرية، فاتحاً ذراعيه للطيور المهاجرة، فالوطن لا يلفظ أبناءه حتى لو لفظه الأبناء، وما زالت رحمة الله واسعة تأبى اليأس والقنوط. وإن هذه التحية فى عيد الميلاد الثمانين، لأحد مظاهر الوفاء والتكريم.

٦- وبالغ ابن الثمانين فى القسوة على الوطن، وعلى الزملاء وعلى التلاميذ، وعاب جحود الأبناء لفضل الآباء، بالرغم من حرص الأبناء على صلة الرحم فى السر والعلن. وكثيراً ما يعبر عن حزنه لعدم الوفاء والتقدير له، من أجل إضفاء الشرعية على البعد عن الوطن والعزلة عن جماعة الفلسفة فى مصر، والعمل الجماعى، وإعادة النماء إلى الوادى الخصيب، بعد أن اقتطفت منه الثمار، وإن بقت الجذور.

٧- وتهامس الناس: استعلاء وغرور يقارب النرجسية، وكراهية للآخرين واحتقار للزملاء، مما يتنافى مع تواضع العلماء والعمل الوطنى المشترك. ومع ذلك فالحبل لا ينقطع بين الوطن وعلمائه، بين الأم وأبنائها، بين الله والعباد ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً، إن الله غفور رحيم﴾.

رابعاً: المشروع الفلسفى العلمى:

استمر التأليف على وتيرة واحدة قبل الثورة وبعدها، ومع الثورة (١٩٥٢-١٩٧٠) والثورة المضادة (١٩٧٠- حتى الآن)، قبل الهزيمة فى ١٩٦٧ وبعد أكتوبر ١٩٧٢. فى مصر الليبرالية قبل ١٩٥٢، وفى مصر القومية الاشتراكية بعد ١٩٥٢، وفى مصر الرأسمالية ١٩٧١. فى مصر الوطنية قبل ١٩٥٢، وفى مصر المستقلة بعد ١٩٥٢، وفى مصر التابعة ١٩٧١، فى مصر أثناء عصر الاستقطاب قبل ١٩٩١. وفى مصر فى عالم ندى قطب واحد بعد ١٩٩١، فى مصر أثناء الرعب النووى وأثناء الحرب الباردة، فى النظام العلمى القديم والنظام العلمى الجديد، فى مصر المحتلة ومصر المستقلة، ولم يحدث أى تغيير فى المشروع الفلسفى العلمى، بل استمر على وتيرة واحدة بين التأليف والتحقيق والترجمة والإعداد، فى التراثين الإسلامى والغربى وربما قل الابتكار بعودة الروح إلى باطنها مع مزيد من العزلة، وتحت أثر البعد عن الوطن، والإحجام عن التعاطف الوجدانى وحب الآخرين وعشق الحياة.

كان الهدف من النشر العلمى للترجمات العربية القديمة للتراث اليونانى والرومانى والفارسى هدفاً علمياً خالصاً كما هو الحال عند المستشرقين وكما يتجلى فى معظم المقدمات والتصديرات والاستهلالات لها، عن طريق الحديث عن المؤلف ومكانة النص فى مجموع أعماله، والحديث عن المترجم وأسلوبه ومدرسه، والترجمات المختلفة للنص، والتاريخية بينها وتواريخها، وتقطيع النص إلى فقرات، ووضع عناوين رئيسية وفرعية لها بين معقوفتين، أسوة بالترجمات الأوروبية الحديثة وبالاعتماد عليها، ووصف المخطوط، وسبب اختيار المخطوط الأم، ومقارنته بباقى المخطوطات وأماكنها وتواريخها، وأثر النص فى العالم العربى ومساهمته فى الحياة العقلية فيها، حتى أصبح جزءاً منها، كما هو الحال فى منطق أرسطو، حتى لقبه العرب بصاحب المنطق. وملء الهوامش بالاختلافات بين المخطوطات فى النصوص أو فى القراءات، وهو ما يسمى بالجهاز النقدى، وتضاف - فى النهاية - فهراس

لأسماء الأعلام والأماكن والمصطلحات الرئيسية اليونانية واللاتينية والفرنسية والألمانية وما يقابلها بالعربية.

كان الهدف من تحقيق أرسطوطاليس: «فى السماء والآثار العلوية»^(٣٩) علمياً محضاً، فالتصدير استشرافى خالص مرقم بحروف هجائية، مثل معظم التصديرات، وكأنه خارج الموضوع الرئيسى. يعرض للموضوع، ويحلل نص أرسطو، ويرصد ما ورد عن هذه الترجمة فى المصادر العربية القديمة، ويحدد النوع الأدبى، ترجمة أو تلخيصاً، ويصف المخطوط وشروحه المتأخرة، وترجماته إلى اللاتينية والعبرية. ويضيف جهازاً نقدياً وافياً عن اختلافات المخطوطات مع وضع عناوين لل فقرات بين معقوفتين. وتغيب أى رؤية عن المنطق الحضارى عندما تلتقى حضارة بأخرى باستثناء التصور الاستشرافى للمركز والأطراف، اليونان هم الأصل والعرب هم الفرع، قديماً وحديثاً، من اليونان إلى الغرب، وهو ما تفعله أيضاً الليبرالية المصرية كما مثلها أحمد لطفى السيد بتأصيله لليبرالية المصرية فى كتاب السياسة لأرسطو. والهدف أيضاً تحقيق أرسطوطاليس: (فى النفس والآراء الطبيعية) المنسوبة إلى فلوطرخس (والحاس والمحسوس) لابن رشد، (والنبات) المنسوب إلى أرسطوطاليس^(٤٠) علمى خالص، ويكتفى التصدير العام بعرض (نظرية العقل الفعال) عند اليونان والمسلمين واللاتين كما فعل جيلسون من قبل، مع أن الموقفين الحضاريين مختلفان، إذ إننا نتمثل اليونان ونعيد بناء فكرهم، واللاتين يعيدون بناء اليونان من خلالنا. وكان المسلمون قد نقلوا التراث اليونانى عبر المسيحيين، فكان نصف معد لإعادة البناء الإسلامى، أو عبر الشراح اليونان الذين عاشوا قبل الإسلام مثل «الأسكندر الأفروديسى» و«ثامسطيوس»، و«سمليقيوس ويحى النحوى». لم يصف المحقق العمليات الحضارية التى تحدث من خلال الترجمة الحرفية أولاً والمعنوية ثانياً. فليس من المعقول أن ورود عبارة لأرسطو هو السبب فى الترجمة بل السبب هو عملية التمثل والاحتواء من الحضارة الجديدة الناشئة للحضارة القديمة المتهاوية حفظاً لروحها وإكمالاً له، وإعادة الاتزان لتصورها للعالم، جمعاً بين أفلاطون وأرسطو، أو نسبة جزء من تاسوعيات أفلوطين لأرسطو حتى يكتمل النموذج، وفتح

عقل من أعلى هو (العقل الفعال) وليس من أدنى لظهور البعد الروحي الجديد، بعد أن أسس الكندي الفلسفة العقلية الطبيعية، بناء على روح الوحي واستناده إلى العقل والطبيعة. وقد صاغ ابن سينا مصطلحات جديدة مثل (العقل القدسي) كي يعبر عن الإبداع الجديد نتيجة لاجتماع الوافد والموروث، وتضاف فهارس الموضوعات والأعلام كما هو الحال في نشرات المستشرقين. بل يوضح في العنوان «راجعها على أصولها اليونانية وشرحها وحققها وقدم لها».

والهدف من تحقيق الترجمة العربية القديمة لكتاب الخطابة لأرسطو هدف علمي خالص دون إدراك دلالتها الحضارية. فإذا كانت الترجمة صغيرة الحجم كانت تلخيصاً، هدفها المعنى وليس اللفظ، كمقدمة للتأليف المستقل في الموضوع قبل الإبداع فيه والاستقلال عنه. ليست الغاية الحفاظ على النص اليوناني، بل إعادة كتابة الموضوع في نص عربي، انتقالاً من اللفظ إلى المعنى، في فهم النص اليوناني، وانتقالاً من المعنى إلى اللفظ تعبيراً عن النص العربي. وبالتالي تنتهي وظيفة الترجمات الحديثة عن اليونانية القديمة إلى العربية الحديثة، إلا من أجل مقارنة العمليات الحضارية القديمة. التمثل والاحتواء، مع العمليات الحضارية الجديدة، المطابقة الأماطية والمعنوية. ولا يجوز إعادة بناء النص العربي من الترجمة اللاتينية، لأن اللاتين تمثله واحتموه ولم يعد مطابقاً للنص اليوناني. كما أن العمليات الحضارية تختلف. من حضارة إلى حضارة. فالترجمة تقوم على تصورات عامة للحياة والكون والوجود، سواء في النص المترجم أو النص المترجم إليه، ولا يجوز إكمال فقرة ضاعت لأن الموقف الحضاري مختلف بين المترجم القديم والمترجم الحديث. لم يكن المترجمون القدماء مجرد نقلة نص من لغة إلى لغة بل كانوا مؤلفين وفلاسفة، على عكس المترجمين المحدثين. وفي لا وعى المترجم الحديث، هناك إحساس بعظمة النص المترجم منه، وبونية النص المترجم إليه. ويستند النص إلى هوامش علمية، وتضاف في النهاية - فهارس لأسماء الأعلام والمصطلحات اليونانية الرئيسية وترجماتها إلى العربية في مرحلة نشأة المصطلح الفلسفي^(٤١).

والهدف من تحقيق «أفلاطون في الإسلام» - أيضاً - هدف علمي خالص، مع

تصدير قصير لا يتجاوز صفحتين، يعلن أن هذه النصوص قد تم نشرها من قبل في «الحكمة الخالدة»، وفي «مختار الحكم ومجاسن الكلم»، والبعض الآخر نشره بعض الباحثين، مما احتاج إلى إعادة نشره من جديد لمزيد من التصحيحات، واعتماداً على مخطوطات جديدة وزيادة في التعليقات، وهو جزء من مشروع أفلاطون في العالم الإسلامي، الذي أُلّفه من قبل في «انتقال الفلسفة اليونانية إلى العالم الإسلامي» الذي صدر بالفرنسية (باريس ١٩٦٨)، ويعد المحقق بدراسة أخرى عن دور أفلاطون في تكوين الفلسفة الإسلامية، ويضاف في النهاية فهرست للأعلام والكتب المذكورة في النص^(٤٢).

وهو نفس هدف «الأفلاطونية المحدثة عند العرب» ويشمل لايرقلس «الخير المحض» وفي «قدم العالم» و«في المسائل الطبيعية» و«معاد النفس» لهرمس و«الروايع» لأفلاطون، وهو تصوير للطبعة المصرية الأولى، وتترك الدلالة الحضارية للنصوص، مثل التشكيل الكاذب وعدم تفصيله، بالرغم من إدراكه له في روح الحضارة العربية، وفي تأليفه عن «اشبنجر»، وهي ظاهرة التعبير عن المعنى الموروث بلفظ الوافد. كما تغفل الدلالة الحضارية للتأليف الحضارى الجماعى تحت تأثير الملكة الفردية للأعمال، كما هو الحال في العصر الحديث، واتهام القدماء بالسرقة من بعضهم البعض. ولم يلاحظ الجو الدينى للانتجال أى الإبداع الفلسفى الحضارى بعد نقل تراث الغير. ويغلب على الباقي المادة الاستشراقية الخالصة مثل فهارس الأشباه والنظائر بين الخير المحض وبين عناصر الثاولوجيا لايرقلس، بالإضافة إلى معجم عربى لاتينى للألفاظ الواردة فى النص العربى لكتاب «الخير المحض»، ومعجم آخر للمصطلحات العربية واليونانية واللاتينية الواردة فى حجج ايرقلس «فى قدم العالم» وتكثر المراجع الألمانية، والمحقق يعلم أن أحداً لن يراجع عليه، وكما يفعل المستشرقون، والحكم على الحضارة الإسلامية بالنقل، حتى المؤلف منها مثل رسائل الفارابى^(٤٣).

وتخلو بعض الأعمال - تحقيقات أو ترجمات أو مؤلفات - من تحديد الهدف منها، ووضعها فى الإطار الكلى للمشروع الفلسفى العلمى أو النهضوى، وإن كان يمكن أن

يستنبط من الروح العامة للكتاب والمشروع معاً، وذلك مثل تحقيق «تلخيص القياس» لابن رشد، أو قياساً على «تلخيص البرهان». ففي «تلخيص القياس»، يكتفى المحقق بموضوعات استشراقية عامة في التصدير العام، بالتعريف بالموضوع، القياس، خصائصه وعيوبه، وإرجاع كل أشكال البرهنة إليه، وتسميته التحليلات الأولى، وترجمته إلى العربية وشروحه.

كذلك يخلو تحقيق «طبائع الحيوان»، ترجمة يوحنا البطريرقي، من تصدير في إطار المشروع الفلسفي العلمي.

بل يبدأ برموز المخطوطات، ثم يتلوها تعالماً استشراقياً خالصاً، واعتذار عن عدم تيسير وضع النبرات على الحروف اليونانية لعدم وجودها في المطبعة. ولا توجد ترجمة باللاتينية أو الفرنسية على الغلاف الأيسر للكتاب نظراً لأنه يصدر بالكويت، ويلحق به فهرس بأسماء الحيوان باللغات اليونانية والفرنسية واللاتينية والعربية وهو فهرس مصور من طبعة أوروبية. والأسماء العربية مكتوبة بخط اليد العربي لعدم وجود مطبعة عربية في الخارج أو استحالة إضافته في الداخل. كذلك يخلو تحقيق «صوان الحكمة وثلاث رسائل»، لأبي سليمان المنطقي السجستاني من وضع التحقيق في إطار المشروع النهضوي العام. ويكتفى التصدير العام بالمقارنة بينه وبين ابيلاز في العصر الوسيط الأوروبي. واختصار السأوى للنص مع ذكر أسماء الرسائل، وتوجد هوامش نقدية وفهارس أعلام وأسماء مؤلفات المحقق وخاتمة في شكر المؤسسة الثقافية الإيرانية^(٤٤).

ويخلو تحقيق «الإشارات الإلهية» للتوحيدى من تحديد لهدف علمي أو نهضوي خاص. بل يحتوى التصدير العام على معلومات استشراقية خالصة، ووصف المخطوط، ما نشر منه من قبل، مراحل حياة المؤلف، وأسلوب المناجاة والكتابة الذاتية، مع وضعه في إطار الأدب الوجودي في القرن الرابع الهجري، ومقارنته مع كافكا، بالإضافة إلى فهرس تصويبات في النهاية^(٤٥).

كما تخلو أجزاء الحيوان لأرسطوطاليس من تحديد للهدف العلمي أو الحضاري. ويحتوى التصدير العام على مادة استشراقية خالصة مثل موضوع الكتاب وعنوانه،

وتاريخ تأليفه وتحليل مضمونه ومخطوطاته اليونانية وشروحه العربية ومخطوطاتها القديمة^(٤٦).

وقد ظهر تحقيق كتاب الشعر من منطق «الشفاء»، بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس. وفي التصدير العام الذي يهدف إلى الحديث عن التحقيق والمخطوط. ينتقد المحقق ابن سينا حاكما عليه بالنقل دون الإبداع، بسوء النقل دون أمانته، فقد أعلن ابن سينا في مقدمة «منطق المشرقيين» أنه سيصوغ منطقاً جديداً خاصاً بالمشرقيين، ولكن الكتاب نفسه أتى تقليداً خالصاً مكرراً المنطق الصوري الأرسطي. فقد وعد ولم يف. كما يعيب عليه أنه لم يلاحظ (التطهير) (وحدة الموضوع والزمان والمكان)، و(الموازنة بين الملحمة والمأساة) أو (بين المأساة والمهابة)، لأن ذلك يتطلب العلم بالمسرح، وهو ما لم يتحقق لابن سينا ولا للمترجمين، لاهتمامهم بالفلسفة والطب والعلم، والحقيقة أن الموقف الحضاري مختلف بين الفلاسفة القدماء وبين فلاسفة الغرب الحديث. كان الهدف قديماً هو قراءة الواقد من خلال الموروث وليس معرفة الواقد على ما هو عليه. كما يفعل الاستشراق تحت تأثير النزعة التاريخية والوصفية. ويصعب الأمر أكثر بتحديد خصائص عامة للشعر القومي على التقابل، الشعر اليوناني والشعر العربي، الإرادي في مقابل العاطفي، الموضوعي ضد الذاتي، الفعل في مقابل الانفصال، والعمل في مواجهة اللذة مما يوحى بشيء من العنصرية^(٤٧).

و«شطحات الصوفية» ليس له هدف علمي خاص، وكان من المزمع إصداره في عدة أجزاء ولم يصدر إلا الأول «أبو اليزيد البسطامي»، ويضم دراسة قبل التحقيق. وتتساءل الدراسة عن أسباب الشطح: الوجودية، الغرابة، غير المؤلف، شد الانتباه، حياة المؤلف، مع إضافة نص من (اللمع) للسراج الطوسي. والتحقيق يخلو من أي تصدير أو استهلال أو مقدمة تبين الهدف منه ووضعه في إطار المشروع الكلي. ربما الغرابة والشهرة وربما النزعة الوجودية^(٤٨).

وقد تكون الغاية علمية بحتة للتعريف بالتراث العربي اليوناني للباحثين العرب والأوروبيين ويعلن عن ذلك - صراحة - في التصدير، وإذا فقد أصلها اليوناني، فإنه

يمكن ترجمتها إلى اللغات الأوربية الحديثة كالفرنسية، لاستفادة الباحثين الأوربيين منها، فالعلم لا يفرق بين وطن ووطن^(٤٩). ثم يتضمن التصدير العام معلومات استشرافية خالصة حول صحة المخطوط المنشور السابق مع ملحق بالنصوص اليونانية لرسالتى الإسكندر الأفروديسى «فى العقل» وفى «أن الهوى غير الجنس، وفيما يشتركان ويفترقان» ومنقولة من نشرة ج.أ. برونز مع فهارس مستفيضة للأعلام الواردة فى النص مع فهرس الكتب ومعجم يونانى عربى بأسماء الحيوان، وبعض المعانى الواردة فى جوامع كتاب أرسطو فى معرفة طبائع الحيوان لثامسطيوس.

وهو نفس هدف تحقيق النصوص الإسلامية من أجل معرفة مذاهب الفلاسفة من مظانها الرئيسية وهو الهدف من نشر «التعليقات»^(٥٠). ثم يتضمن التصدير تحديد النوع الأدبى وهو الإملاء على تلميذه بهمنيار مع ترجمة لحياته وثبت بأعماله ووصف لنسخ المخطوط، وهو نفس الهدف من تحقيق «عيون الحكمة» لابن سينا، فهو يعطى صورة موجزة لفلسفة ابن سينا. والتصدير العام قصير عن شرح الرازى له، مع بعض المعلومات الاستشرافية والمقدمة بالفرنسية^(٥١).

ولا فرق بين معرفة مذاهب المسلمين ومذاهب اليونان للباحثين العرب أو للأوربيين. فإن الهدف من نشر كتاب «البرهان» من الشفاء لابن سينا هو أن اللاتين لم يعرفوه، مع أنه يعبر عن أصفى مذهب لأرسطو فى البرهان، لذلك يتم تحقيقه فى ذكرى ابن سينا الألفية^(٥٢). ثم يتضمن التصدير العام الذى لا يوجد فى الفهرس نظراً لعدم أهميته عند المحقق، معلومات استشرافية خالصة عن الكتاب فى مصدره الأسمى عند أرسطو، ثم فى إعادة عرضه عند ابن سينا، مع بيان أسمائه ومخطوطاته وترجماته، ووصف مخطوط هذا التحقيق دون اكتشاف بعض الدلالات، مثل صمت ابن سينا عن مصادره لأنه تأليف، وتمثل القديم خطوة على إبداع الجديد، ومثل الإعلان عن نية وضع منطق للمشرقيين خاص بهم، ثم جاء تحقيق النية تقليدياً خالصاً، ويضاف - فى النهاية - فهرس المصطلحات الرئيسية وما يقابلها باليونانية.

وهناك تحقيقات أخرى تعلن عن الهدف منها صراحة وبوضوح في التصدير، فالهدف من التحقيق الحفاظ على النص الأصلي دون التجنى عليه والترخص فيه على نحو إجرامى بتغيير النص بدعوى تصحيحة، وبناء على جهل وضيق الثقافة، وهو ترخص شاع فى البلاد العربية والشرقية فى السنوات الأخيرة، دون معرفة بالمناهج الفيلولوجية أو نتائج الدراسات الكلاسيكية على عدة أجيال، ولا عجب فالشرق مصدر الطغيان والاستبداد الحضارى بالنصوص والمؤلفين الأقدمين، وربما امتد إلى الأقوام والشعوب إعجاب بالغرب، ونفور من الشرق، مثل أستاذه طه حسين فى «مستقبل الثقافة فى مصر»^(٥٢). ثم يتضمن التصدير العام دراسة مستفيضة عن الأمثال، وتقديس الكلمة، وروح الشرق، ومقارنة هذا النوع الأدبى من الأمثال فى الغرب ونفور دون كيخوته منها عن قصد أو عن غير قصد. وهما نوعان: أمثال السلطة، وأمثال المعارضة، عند الصوفية مثل أبى حازم، وأبى سليمان الدارانى. ومعظم أمثال اليونان وحكمهم منحولة، تعبر عن روح الشرق كما مثلتها روح الهلينية المتأخرة وهى ألد أعداء الروح اليونانية.

ويضم التصدير العام لكتاب «فن الشعر»، لأرسطوطاليس - مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابى وابن سينا وابن رشد - مادة استشراقية للتعالم مثل فن الشعر لأرسطو فى النقد الأدبى الأوروبى وهو خارج الموضوع، النقد الفيلولوجى وكتاب فن الشعر. وكثير من العناوين الفرعية لا دلالة لها، مع الإكثار من الشواهد باللغات الأجنبية وذكر المراجع ومكان إقامته بسويسرا، مما لا يحق للباحث والعالم الزاهد فى مطالب الدنيا. وتحليل كتاب «الشعر» مجرد عرض لا قراءة فيه بعد اكتشاف مرجوليوت للترجمة العربية القديمة، بالإضافة إلى فهارس الأعلام والمواد والمصطلحات الواردة فى نص كتاب الشعر لأرسطو. ويزداد التعامل بإعطاء ترجمة حديثة بدلاً من الترجمة القديمة. وبالرغم من اختلاف الموقف الحضارى للترجمتين، فالترجمة القديمة تمثل واستيعاب، والترجمة الحديثة نقل ومطابقة، لبيان أن المترجم الحديث أكثر دقة وموضوعية من المترجم القديم، مزيدة فى العلم ونقصاً فى الوعى الحضارى التاريخى، ويأخذ المترجم الحديث العناوين الفرعية لتقسيم الفقرات من

الترجمات الغربية الحديثة.

ويزداد الأمر صعوبة عندما يتهم المترجم الحديث المترجم أو الشارح القديم بالبعد عن النص الأصلي والتحريف فيه زيادة مرة ونقصاناً مرة أخرى، متهماً «تلخيص ابن رشد» بأنه «فاسد»^(٥٤)، لا يفيد مطلقاً في إيضاح فكر أرسطو، بل يبتعد عنه كل الابتعاد» وكان قصد ابن رشد حذو أرسطو الفقرة بالفقرة، كما يفعل المترجم الحديث، وليس قراءته وتأويله من أجل تمثله والإبداع فيه. ويتعجب من إعادة قراءة العرب كتاب الشعر كما يتفق مع الجانب الإلهي، وهو صب الوافد في الموروث كعملية حضارية طبيعية. ويعتبر العرب شارحين مع أنهم مؤلفون في نفس الموضوع الذي ألف فيه أرسطو، ومكملون له في ثقافات أخرى، لذلك يستبدلون بالشعر اليوناني الشعر العربي. أما المحقق فإنه يرى أن ابن رشد حاول تطبيق قواعد أرسطو على الشعر العربي، وأضلعت الترجمة، فترجم التراجيديا بالمديح، والكوميديا بالهجاء، وظن أن الأمر كذلك في الشعر العربي. فأكثر الشواهد فيه وهي فاسدة، لأنها تقوم على أصل فاسد، وكان يعتذر كلما عصت عليه. والحقيقة أن العرب لا يشرحون أرسطو لفظاً بلفظ، وعبارة بعبارة، ولكنهم يقرأون ويؤولون ويعيدون بناء الشعر، ابتداء من الشعر العربي، من أجل توسيع نطاق الشعر وتطبيقه على أكثر من شعر قومي. فليس في هذا الاستبدال للشواهد الشعرية أي تعسف أو تزييف لأرسطو. فأرسطو هو الوسيطة والشعر العربي هو الغاية، أرسطو هو الفرع وابن رشد هو الأصل. والترجمة هي وضع معاني الوافد في لغة الموروث. فالتراجيديا مديح والكوميديا هجاء. ومن الطبيعي ألا يساير التلخيص الأصل. ولكن لا يعنى عدم التطابق هذا أنه غير مفيد لمعرفة معاني أرسطو لأن التلخيص تعميق وإكمال. ويقسو المترجم على الشراح العرب إلى حد إصابته بالآلم وخيبة الأمل منهم، لأنهم لم يفيدوا من أرسطو كما أفاد الأوروبيون منه في عصر النهضة، وكما أفاد العرب أنفسهم من سائر مؤلفات أرسطو خارج كتاب الشعر. والحقيقة أن العرب أفادوا من كل مؤلفات أرسطو، بما في ذلك كتاب الشعر، مما ساعد على نشأة النقد الأدبي وتنظيره. كما يتمنى المحقق ويتحسر على عدم استطاعة الشراح العرب الاستفادة من كتاب الشعر

لأرسطو، لذلك لم تنشأ لديهم المناسبة والمهارة في عصر ازدهاره في القرن الثالث والاربعين لتغيير وجه الأدب العربي كله^(٥٥).

وقد تكمن أهمية الكتاب في أنه أول نص في موضوعه مثل كتاب «مختار الحكم ومحاسن الكلم» للمبشرين فاتك فهو، أول كتاب عربي في تاريخ الفلسفة. ويتلو نشر النص العربي أو الرجوع إليه مخطوطاً، ومن ثم تصحيح نشرة أسبانية سابقة لم ترجع إلى الأصل العربي لأنه لم يكن محققاً من قبل. ونشر النص العربي وترجمته الأسبانية يعتبر مساهمة في إحياء التبادل الثقافي العربي الأسباني في القرن الثالث عشر. وبفضل (المعهد المصري للدراسات الإسلامية) في مدريد الذي حمل الشعلة المقدسة من جديد^(٥٦). ثم يتضمن التصدير العام معلومات استشرافية خالصة عن التعريف بالمؤلف والكتاب ومخطوطاته وترجماته ومصادره في «نوادير الفلاسفة والحكماء وأدب المعلمين القدماء» لحنين بن إسحق و«تاريخ فرفوروريوس» و«كتاب تراسلوس» لثاؤون الأفلاطوني و«تاريخ النحوى وحياة الفلاسفة» لديوجانس والكلمة الروحانية، لابن هندر، بالإضافة إلى فهرس أعلام للأسماء والأماكن.

وقد يكون الهدف من التحقيق هو رد الاعتبار لصاحب النص بعد أن هضمه قومُه حقُّه، كما هو الحال في (تلخيص البرهان) لابن رشد^(٥٧). وهو نفس الهدف من تحقيق (تلخيص الخطابة) وبنفس العبارة النمطية. وبعد ذلك يقدم تلخيص البرهان معلومات استشرافية خالصة، وذكر نصوص مترجمة إلى اللاتينية كما يفعل المستشرقون، وكان اللاتينية هي الأصل، وإضافة هوامش نقدية مستفيضة، ووضع عناوين فرعية لفقرات النص بين معقوفين، أسوة بالنشرات الأوزبية الحديثة. ويحيل إلى شرح كتاب القياس للفارابي، وإلى تعليقاته على أنا لا طيقا الأولى، ويغفل بعض الدلالات، مثل حذف الترجمة اللاتينية للعبارات الدينية مثل (الحمد لله) و(البسملة)، أى الجانب القيمي فى النص، مما أدى - بعد ذلك - إلى أزمة العلم فى الغرب، بتفرقة بين حكم الواقع وحكم القيمة. كما يغفل دلالة ذكر الإمام مالك فى الشرح.

أى استعمال الفقه كمادة محلية. وقراءة الوافد من خلال الموروث، ويكتفى المحقق فقط بالتعريف به.

وكان الهدف من نشر «فضائح الباطنية» للغزالي التعرف على المذهب من مصادره والرد عليه. فلقد لعب المذهب دوراً خطيراً فى التاريخين السياسى والروحى للإسلام، منذ القرن الثالث الهجرى، ولا يزال حياً حتى اليوم^(٥٨). ونظراً لأهمية المذهب فقد عقد المؤلف العزم على الكتابة عنه، وهو - بالفعل - ما صدر فى الجزء الثانى من «مذاهب الإسلاميين» عن الإسماعيلية والقرامطة والنصرية والدروز^(٥٩). وبين ارتباط فرق الشيعة بالتيارات والأهداف السياسية والاجتماعية، مع التركيز على عقائد الإسماعيلية وأرائهم فى الواجبات نحو الأئمة والتوحيد والمبدع الأول وعالم الدين والأخرويات، وعقائد النصيرية والدروز، والحاكم بأمر الله. ويعتمد اعتماداً على المنهج التاريخى الفيلولوجى، والتصدير أقرب إلى تاريخ الأفكار دون موقف أيديولوجى، وبدعوى الأمانة والموضوعية.

والهدف من إعداد مؤلف عن «مؤلفات الغزالي» هدف علمى خالص، وهو تقديم الأداة الضرورية الأولية لحصر مؤلفات الغزالي والتحقق من صحة نسبها إليه، ومن أجل نشر ما لم ينشر منها، وإعادة نشر ما نشر منها غير محقق، ثم تأتى الدراسات بعد ذلك على هذا المفكر العظيم^(٦٠). فقد أعد الكتاب فى الذكرى المئوية التاسعة لميلاده. ويخصص المحقق تصديراً عاماً عن مؤلفاته الصحيحة، حسب تاريخ التأليف، والشكوك فيها، والمنحول، شكا أو يقيناً، وبعض كتبه التى لها عناوين مغايرة، والمجهولة، والمخطوطات المنسوبة إليه والملاحق، ومقارنة بينه وبين أرسطو فى الحضور الفلسفى فى التاريخ، على مر العصور. كما يذكر التصدير تاريخ الدراسات الاستشراقية عن الغزالي، وفترات حياته، ووضع مؤلفاته فيها، مع الرموز والاختصارات العربية والأجنبية، والفهارس، وفهرس عناوين المخطوطات والكتب ذات العناوين اللاتينية والعبرية.

وإعداد دراسة عن مخطوطات أرسطو فى العربية من نفس النوع الاستشراقى

كأداة للبحث، وهو أصغر أبحاثه، ويعتمد على أبحاث جوردان، وفستنفلد، واشتيتشنيدر، وفنرش، وميلر، مما يدل على خطة بحث المحقق^(٦١).

وهو نفس الهدف من «مؤلفات ابن خلدون»، بدلاً من الدراسات المقتضبة المتكلفة التي تعقد مقارنات بينه وبين غيره، مثل ماركس وكومت، مما يباه التطور التاريخي للفكر الإنساني، ولا تزيد في قيمة ابن خلدون شيئاً. أما تحقيق النص والتعرف على مصادره ووضع معجم لألفاظه ومصطلحاته فإنه يقدم الأداة الضرورية لدراسة فيلسوف اجتماعي عظيم، اعتبر تونبي مقدمته أعظم كتاب ألفه العقل الإنساني^(٦٢). ويذكر المعدُّ الدراسات عنه وصحة نسبة كتبه ومؤلفات الشباب الضائعة. إنما الإشكال في المقدمة التي كتبها عدة مرات، إضافة وزيادة، على مدى ثمانية وعشرين عاماً. واحتياج معرفة مصادره إلى دراسة خاصة، اعتماداً على الاكتشافات الحديثة مثل كتاب أورسيوس عن تاريخ العالم. فقد اعتمد ابن خلدون على مصادر مكتوبة عن تاريخ البربر، وليس فقط على روايات شفاهية.

ومن مظاهر النشر العلمي كتابة ظهر الغلاف الثاني من اليسار باللغات اللاتينية في الترجمات العربية القديمة، أو بالفرنسية في الدراسات الحديثة، والقليل منها بالأسبانية. ويظهر العنوان اللاتيني في القاهرة وليس في الكويت أو لبنان^(٦٣).

خامساً: المشروع الفلسفى النهضوى (الآنا):

وربما أن الفيلسوف الشامل صاحب مشروع نهضوى كبير استثنافاً لمشروع النهضة الأول الذى لا ينكره ولا يرتبط به ولا يطرده. ومع ذلك هو حاضر فيه مسار حياته بنية عمله. وكلاهما مشروع. فهناك صلة بين حياته وعمله وعصره - كما هو الحال عند جميع الفلاسفة - وإن لم تبد بوضوح عند الفيلسوف الشامل الذى يعرض عمله ويطوى حياته، يعلن إنتاجه ويسر بحياته إلى نفسه فى مفارقة بين الخارج والداخل، بين الحديث إلى الناس والحديث إلى النفس.

ويتجلى هذا المشروع الفلسفى الكامل فى ثلاثة ميادين للبحث:

أولاً: البحث فى التراث العربى القديم عن طريق تأسيسه - أولاً - ومعرفة مكوناته - ثانياً - عوداً إلى الجذور والمصادر التاريخية، وربما تاركاً المجال لجيل آخر لتطويره واستمراره، طبقاً لظروف عصر آخر، وبناء على متطلبات مرحلة تاريخية أخرى، وهذه هى الجبهة الأولى، ثقافة الآنا فى زمنها الماضى، وهى التى تظهر المشروع الفلسفى النهضوى للآنا.

ثانياً: الاستفادة من تجربة الغرب والتعريف بتياراته ومؤلفيه فى الفكر والأدب تدعيماً للمشروع، المثالية الألمانية، والرومانسية الشعرية. فنهضة مصر والعرب فى حاجة إلى هاتين النزعتين: الإنسانية كما تجلت فى المثالية، والوجودية كما ظهرت فى الرومانسية، فقد كان الآنا فى مساره التاريخى منفتحاً على الآخر منذ اليونان القديم حتى الغرب الحديث، متمثلاً له، ناقداً لحدوده ومكملاً له ومعيداً إليه الاتزان، من أجل خلق أنا جديد متجدد، يعبر عن نفسه بلغة العصر، وهذه هى الجبهة الثانية: ثقافة الآخر فى زمنها المستقبلى، وهى التى تبرز المشروع الفلسفى التاريخى للآخر.

ثالثاً: العمل على نهضة مصر، بالإبداع الفلسفى مثل (الزمان الوجودى)، والأدبى فى الشعر والقصة واليوميات، وإن غاب التحليل السياسى والرؤيا السياسية والعمل

السياسى. هذه هى القاعدة التى تتفاعل عليها الجبهتان الأولى والثانية، ثقافة الأنا فى زمنها الحاضر. وهى التى تبرز المشروع الفلسفى الإبداعى لتفاعل الأنا والآخر. ويبرز المشروع الفلسفى النهضوى تدريجياً فى تصدير الأعمال ومقدمتها واستهلالاتها التى تضع العمل فى إطاره، وتبين الهدف منه الذى يصب فى المشروع الكبير، فىكون الهدف - أولاً- مجرد إحياء تراث القدماء، هؤلاء الأفاضل المغفورين. للاعتراف بفضلهم وجيل أعمالهم. وكأن القدماء فى حاجة إلى شهرة عند المحدثين^(٦٤). ومع ذلك فإنه علمى، لأن إنكار جهود القدماء يؤدى إلى إلغاء التراكم العلمى الضرورى للإبداع العلمى، كما أنه حضارى لأن الاعتراف بجهود القدماء يشبذ الهمة من أجل إبداع المحدثين. ويقتصر التصدير العام فى الجزء الأول على شرح لفظ السماع: أى المحاضرات، تشرح النص أكثر مما تشرح الترجمة، ضمن رؤيا كلية لأرسطو تبين الإحاطة والتعاليم، واقتراح أنه من عمل جماعة وليس من عمل فرد، كما تركز على قضية النسبة، وهى مشكلة أوروبية ناتجة عن صحة الأناجيل والشك فيها. كما يذكر الترجمات العربية والشروح والتعليقات، ما عُرف منها وما لم يعرف، فالشهرة لها قانونها الخاص، مع ذكر البلد والتاريخ واسم الناسخ والمنسوخ. كما هو معروف فى وجوه النقل، وكأن الهدف إشهار المغفور وليس العلم، مثل ابن السمع وابن عبرى ومتى بن يونس وأبى الفرج بن القرب.

وقد يكون الهدف إبراز حكمة اليونانيين، أحد كنوز حكمة الأمم، فما يتم للتراث العربى يتم أيضاً للتراث اليونانى، فكلاهما تراث إنسانى واحد، وهو هدف الليبرالية المصرية فى عصر أحمد لطفى السيد أستاذ طه حسين أستاذ الفيلسوف، وتأصيلها فى مصادر الليبرالية الغربية عند اليونان مباشرة كما فعل الغرب الحديث. لذلك ترجم أحمد لطفى السيد كتاب السياسة لأرسطو من الترجمة الفرنسية الحديثة لبارتلمى سانت هيلير، دون قراعتها وتأويلها وإعادة بنائها وتركيبها، كما كان يفعل القدماء فى ترجماتهم للنصوص اليونانية^(٦٥).

وعندما يكون الهدف علمياً خالصاً دون ربطه بالمشروع الفلسفى النهضوى

الكبير، أو بالوطن، على نحو مباشر. ويكون العلم - في حد ذاته وبطريق غير مباشر- فيه تأسيس لأحد جوانب المشروع النهضوى وتأسيس للوطن.

قالهدف - كما يبدو من نشر الترجمة العربية القديمة لمنطق أرسطو - هو بعث التراث اليونانى عند العرب وبيان ما به من دقة وعناية. فقد ترجم عدة مرات، وهو أيضاً الاستعانة بها فى دراسة التراث اليونانى حالياً، خاصة من حيث دقة المصطلح الفنى ومراجعته على الأصول اليونانية والترجمات الحديثة. فنشر الترجمة العربية القديمة له هدفان: هدف أسمى لمعرفة قدرة القدماء على نحت المصطلح الفنى، وهدف فعلى للاستفادة منها فى إحكام نثرنا الفنى، متجاوزين النثر الأدبى إلى النثر الفلسفى، ولا يعنى ذلك العود إلى الماضى والوقوع فى السلفية بل الاستفادة من الماضى وتجاوزه إلى المستقبل فلا خوف على التجديد من الماضى^(٦٦).

ولما كان العلم أحد الجهات الرئيسية فى النهضة العربية المعاصرة فقد حقق المؤلف «دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب» ضمن تقويم عام لتحقيق التراث اليونانى المترجم إلى اللغة العربية. فبعد أن أتم نشر الترجمات العربية القديمة يمكن بعد ذلك دراسته لاستخلاص النتائج الخاصة بالثقافة العربية فى الماضى والمستقبل^(٦٧). فدراسة الماضى من أجل الوعى بالمستقبل من أجل الانتقال من التراث اليونانى إلى التراث الأوروبى الحديث والمعاصر. فكما نقل القدماء أمهات الفكر اليونانى ينقل المحدثون أمهات الفكر الغربى الحديث والمعاصر، ثم شرحه وتحليله وعرضه مواكباً للفكر العالمى. يقوم المحقق هنا بدور المترجمين العرب القدماء، بمفرده ودون حاجة إلى ديوان الحكمة، وهو رئيس نفسه دون حاجة إلى رئاسة حنين بن اسحق^(٦٨). وفى كلتا الحالتين تهتم الحضارة العربية بأعلى ما وصل إليه الفكر الإنسانى، تستوعبه لتتجاوزه. وما أسهل استيعابه لقيامه على العقل والتجربة، وهما أساس الوعى، وفى نفس الوقت تجاوزه بالحياة الروحية، وليست - بالضرورة - الروح الغيبية المناهضة للعقل فى الفكر الشرقى. أما إعادة الكرة مع اليونان قديماً من أجل إعادة الترجمة، كما فعل الأوربيون المحدثون، فهو عمل لا

طائل منه ولا فائدة. فالعصر لم يعد عصر اليونان والثقافة لم تعد ثقافتهم. وقد قام الأوروبيون بذلك لأن الثقافة اليونانية إحدى مصادر الفكر الغربى. فليس الأمر مجرد تقليد لما يقوم به الغربيون لنقوم بمثله^(٦٩). ومن الطبيعى أن يتم ذلك بحرية تامة، بعيداً عن توجه السلطات السياسية، ومن متخصصين يتقنون اللغتين اليونانية والعربية ويحيطون بدقائق الفلسفة، ولكن هذه المرة مع الفلسفة الغربية فى العصور الحديثة. فالعصر عصرها^(٧٠). وينقد المحقق مجموعة من العلماء المزيفين فى تاريخ العلوم عند العرب الذين يهرولون إلى المؤتمرات ببعض الوريقات الضئيلة بجوار العلماء الأفاضل ندا لندا^(٧١). والهدف من «أفلوطين عند العرب» بيان مأساته فى العالم العربى وحظه التعيس فى الخلط بينه وبين أرسطو، دون تجاوز هذا الحكم التاريخى طبقاً للزعة التاريخية التى سادت فى الاستشراق الغربى فى القرن الماضى، بناءً على سيادة المدرسة التاريخية الألمانية والفرنسية عليه^(٧٢). فقد أراد الوعى الجمعى الحضارى إكمال أرسطو بأفلوطين حتى يصبح كاملاً جامعاً بين العقل والقلب، بين الدنيا والآخرة، وكما حاول الفارابى فى «الجمع بين رأى الحكيمين: أفلاطون الإلهى وأرسطوطاليس الحكيم». لذلك تمت نسبة «أثولوجيا» وهى أجزاء من «التاسوعات» إلى أرسطو، وأسس عليها الفلاسفة علم الربوبية، وكتب فيها الفارابى «رسالة فى العلم الإلهى». وليس غريباً أن يعطى أفلوطين لقب الشيخ اليونانى. وهنا حضر المستشرق وغاب الفيلسوف. ويتضمن باقى التصدير معلومات مكتبية، والمقارنة مع النقل المسيحى كما يفعل المستشرقون مع حضارتهم الخاصة، ودراسة متقابلة بين النصين اللاتينى والعربى دون تحليل دلالى لمنطق الزيادة والنقصان مثل دلالات العبارات الخاصة بالبيئة الدينية الإسلامية كالبسمة والحمدلة. وتعبّر الترجمات اللاتينية عن موقف حضارى مختلف، الرؤية المسيحية للنص الأفلوطينى. ويرجع فقدان الدلالة إلى فقدان الوطن والخصوصية الحضارية والعمل مع الاستشراق خارج حدود الثقافات وهو - فى حقيقته - سيطرة مفاهيم الثقافة الغربية ومناهجها وأهدافها على باقى الثقافات. كما يغلب على هذا التصور علاقة المركز بالمحيط.

فاليونان المركز ومصر المحيط، وأخذ المحيط ثقافة المركز العقلية وردّها - بفضل روح الشرق - روحية إلى المركز من جديد. وإسراف في إظهار المعرفة باللغات - القديمة والحديثة - فيه إحساس بالتفوق على الآخرين في وسائل البحث العلمي، عن وعى أو لا وعى. صدقاً كان أم افتخاراً. والهدف من «المثل العقلية الأفلاطونية» هو إثبات أن الروح الأرسطية كانت بعيدة عن روح الحضارة العربية لأنه كان يونانياً خالصاً. أما أفلاطون فقد سرى فيه الروح الشرقي، فكان أقرب إلى روح الحضارة العربية من أرسطو الذي لم يستطع العرب تقبله إلا بعد أن طعم بعناصر من الأفلاطونية المحدثة^(٧٣). هذا هو التكامل من أجل بناء نموذج الحكمة الخالدة التي تجمع بين أرسطو وأفلاطون. وقد روج الصوفية لأفلاطون وليس الحكماء، باستثناء أبي بكر الرازي، مما يدل على أن النزعة العامة في الفلسفة الإسلامية ظلت أرسطية. إنما المسيحية في بدايتها في عصر آباء الكنيسة هي التي اختارت أفلاطون قبل التحول إلى أرسطو بعد بونينيوس في القرن السادس الميلادي. هذا كله من منظور إشراقى يرجع الداخل إلى الخارج وإبداعات الحضارة الإسلامية إلى حضارات سابقة عليها ومجاورة لها، التصوف إلى الفرس، والفلسفة إلى اليونان، والفرق إلى الفرق غير الإسلامية، والأصول - ممثلة في القياس الشرعي - إلى منطق أرسطو. والحقيقة أن هذا تصور مسيحي للدين بوجه عام، ولروح الإسلام بوجه خاص، راج في الاستشراق وفلسفات التاريخ العنصرية الغربية التي تجعل الإسلام تعبيراً عن روح الشرق السحرية، في مقابل عقلانية اليونان، مع أن تمثل أرسطو في التراث الإسلامي قد تم لاتفاق المذهبيين الذين يقومان معاً على العقل والطبيعة والإنسان والتوازن والوسطية. كما أن نظرة عنصرية مازالت تقوم على التفرقة بين العقلية السامية والعقلية الآرية ولا يخنو التصدير - في النهاية - من فهارس استشراقية للأعلام وأسماء الكتب الواردة في النص.

وقد يكون الهدف الفلسفي النهضوى صريحاً وواضحاً ومروياً، بحيث يتوارى الهدف الفلسفي العلمي، فلا يزعم المؤلف أنه قادر على توخي الدقة المطلوبة، بل

مجرد الاقتراب منها والسعى بها نحو مزيد من التدقيق والعناية، مما يوحى بتواضع شديد يفارق ما عرف عن صاحبه بالاعتزاز العلمى الذى يصل - أحياناً - إلى درجة الغرور. والهدف الأسمى هو المشروع الفلسفى النهضوى لتأسيس النزعة الإنسانية ذات الأصول العربية القديمة، من أجل بعث حضارة جديدة مرجوة. وهو ما حاوله فى التأليف فى تأصيلها أيضاً فى «الإنسان والوجودية فى الفكر العربى» بالرغم من تصوّره للإنسانية على النمط الغربى وقراءة الآخر فى مرآة الأنا وليس تحديد مفهوم جديد نابع من تراث الأنا، وقراءة الأنا فى مرآة الآخر^(٧٤). والتصدير العام يركز على قضية الانتحال طبقاً للنزعة التاريخية فى القرن الماضى. والانتحال هو قمة الإبداع الجماعى التاريخى. فلا تهم الصحة التاريخية للنص بل إكمال النص الأول الصحيح تاريخياً بنص إبداعى حتى يكتمل النموذج المثالى للفكر. فالماهية تخلق الواقعة. فلا يهم أرسطو التاريخ بل أرسطو الحضارة، لا يهم أرسطو الفرد بل أرسطو الوعى الجمعى. فانتحال كتاب التفاحة ونسبته إلى سقراط أو أرسطو إنما هو إبداع على نموذج فيدون. فأرسطو هو المتأثر والشراح العرب هم المؤثرون، أرسطو هو المعلول والحضارة الإسلامية هى العلة. ولا فرق فى ذلك بين تراث يونانى وتراث لاتينى، فقد جمعت النزعة الإنسانية العربية بين تراث أثينا وتراث روما^(٧٥). ثم يتضمن التصدير مادة استشراقية عن الترجمة العربية القديمة التى تمت فى منتصف القرن الرابع الهجرى، وهى النشرة الوحيدة لكتاب لاتينى. فقد ترجم التاريخ أيضاً، وليس فقط الحكمة مثل الطب والجغرافيا.

كانت الترجمة عن اللاتينية وليس فقط عن اليونانية، وفى المغرب وليس فقط فى المشرق، وحتى فترة متأخرة وليس فقط فى القرن الثانى. وهو من مصادر ابن خلدون فى كتابه «تاريخ اليونان والرومان»، وأفاد منه كثير من المؤرخين العرب، لذلك أورد المحقق ملحقاتاً للنصوص التى اعتمد عليها ابن خلدون. وكان النص اللاتينى هو الأصل والترجمة العربية هى الفرع، والأهم هو أن النص العربى تأليف بالنسبة للنص الأسمى لما فيه من زيادة. فلما كانت الترجمة من أجل خليفة المسلمين فى

قرطبة وموجهة إلى جمهور إسلامي أدخل المترجم تاريخ اليهود والنصارى. ومن ثم ليس الأصل هو النص اللاتيني والفرع هو الترجمة العربية، لأن الترجمة تأليف جديد في بيئة حضارية في لغة تصنع موضوعات تناسبها وتزيد معرفتها. ولا يخلو التصدير من بعض التعالم مع أن الهوامش مأخوذة من الاستشراق. كانت مشكلة الاستشراق تحريف الكتب المقدسة، وليست قراءة المسلمين لهذا النص التاريخي والإضافة عليه.

وتكشف الترجمة العربية عن البيئة الدينية المحلية وتعبيراتها، مثل الجاهلية وأدعيته، مثل: رحمة الله، مما يدل على أن الترجمة تأليف غير مباشر، وهي نفس النزعة الإنسانية العالمية التي سادت التصوف الإسلامي عند السلاج وابن عربي وابن سبعين، وهي نتيجة طبيعية لوحدة الوجود، فلا يوجد إلا الله، ومن ثم لا يوجد فرق بين إنسان وإنسان أو بين قوم وقوم أو بين بشر وبشر. فحب الصوفية شامل للإنسانية كلها. وللوجود كله، لا فرق بين الأفراد ولا بين مستويات الوجود^(٧٦). ويشمل التصدير العام مادة تقليدية عن التحقيق، وحياة المؤلف ومذهبه، ومقارنته مع هيجل، وقائمة بأسماء الكتب المنسوبة إليه دون فهرس أو ثبت بمؤلفات المحقق، ربما لأنها في مطبعة الدولة.

وقد يكون الهدف من الاشتغال بالتصوف - تأليفاً وتحقيقاً وترجمة وإعداداً - هو بعث الحياة الروحية، والنفاذ إلى صميمها، والدفاع عنها ضد الهجوم عليها. بل إن المؤلف يدعو إلى قيامها كرد فعل على النزعات التأويلية المغالية التي استنفدت قواها في مرحلة تطور الدين وتأسيسه عقلياً والبرهنة عليه منطقياً. فالتياران ضروريان العقلي والقلبي، النظري والنوقي، والحياة الدينية هي هذا التوتر القائم بينهما. ولا غنى لأحدهما عن الآخر، وإلا تحجر العقل ووقع القلب في الخرافة والسحر. والتناقض جوهر الإبداع الفكري والحضاري^(٧٧). ويضم الكتاب دراسات خمساً ثلاثاً لماسنيون، وواحدة لكوربان، والثالثة نص للسهر وردي^(٧٨). ويركز المترجم في التصدير على أهمية الدين الحي ضد التحجر والقوانين والنزعات السننية والسلفية

ويحظى ماسنيون بمقدمة طويلة عن حياته، وأبحاثه، ومنهجه الاستنباطي، بعيداً عن النزعة التاريخية وتخصصه في التصوف، والحلاج، وفريد الدين العطار. وله محاضراته في الجامعة المصرية ١٩١٢ - ١٩١٣ ويأمل في نشرها، وقد نشرت بالفعل، ولا يرى المترجم غضاضة في التحاق ماسنيون بالجيش الفرنسي في سوريا وفلسطين وقليلية ودخول القدس مع النبي ١٩١٧، وقد عين عضواً بمجمع اللغة العربية في مصر ١٩٢٢-١٩٥٦، ثم مراسلاً حتى وفاته. وينتهي الكتاب بفهرس أعلام وكتب أسوة بالكتب الأجنبية، باستثناء التصويريات. واقتفى المترجم أثر المؤلف حتى في هوامشه دون زيادة أو نقصان.

وتأسس النزعة الإنسانية في الحضارة العربية في الحياة الروحية في الإسلام، ولكن المؤلف يجعلها الحياة الشرقية، خاصة الحياة الإيرانية، معتمداً على شخصية السهروردي، التي تنبته إلى أصولها العنصرية، فاتصلت بالينابيع الإيرانية لتستمد منها المضمون الروحي للعقيدة، اعتماداً على المصدر العنصري الأجنبي. فجمع بين الأصليين: الطابع العنصري الفارسي، والروحانية الشرقية. والحقيقة أن ذلك ترداد واستدعاء لتحليلات كوربان لأعمال السهروردي، وإرجاعه إلى المصدر الإيراني القديم وإخراجه من دائرة التصوف الإسلامي الداخلي. ويدفع المترجم هذا الرأي ويخرجه من حيز القومية القديم والممثل في أساطير الفرس وسيرة أبطالهم عند كوربان إلى حيز العنصرية الحديث^(٧٩).

ولا ينسأ المترجم: هل الفرس هم أصحاب النزعة الإنسانية في الحضارة العربية أم التصوف الإسلامي الفارسي والهندي والعربي على وجه العموم؟ هل الفرس وحدهم أصحاب النزعة الروحانية الشرقية أم أن باقي الشعوب قد ساهمت في ذلك تحت لواء التصوف الإسلامي؟ هل الفرس هم الشرق أم تشارك فيه باقي الشعوب، الهند وآسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا، بل والجناح الآسيوي للعالم العربي كله بالرغم من امتداد شمال أفريقيا حت الشاطئ الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط وأوروبا في شماله؟ يركز المترجم إما على دور الفرس في التصوف

الإسلامي: سلمان الفارسي، والحلاج والسهروردي، كما يفعل كوربان وماسنيون،
وإما على الدور الشيوعي، فالشيعة تمثل - أولاً - تياراً روحياً قبل أن تكون تياراً
سياسياً، وهو ما يعارض تاريخ نشأة التشيع كحركة سياسية، أولاً، ثم التحول إلى
حياة باطنية لمقاومة الفقه السنن التشريعي التبريري لسلطة الدولة.

وبالرغم من القسوة على الحضارة العربية القديمة بأنها كانت سجين اليونان
باستثناء النزعات الحرآنية، والعروبية، والنصوفية الغربية الحديثة، باعتبارها قد
تحررت من اليونان إلى فاوست وبرومثيوس طليقاً، إلا أن المترجم يتحول إلى
فيلسوف للتاريخ، يحاول بعث الحضارة العربية في مرحلة تاريخية جديدة تتقابل فيها
مع الحضارة الأوربية وهي في مرحلة النهاية، نهاية الألف الثانية. وربما تبدأ مرحلة
بداية الألف الثالثة، نتعامل معها كما تعاملت الحضارة العربية الأولى مع الحضارة
اليونانية دون أن نمر بنفس التجربة الأليمة التي مر بها القدماء^(٨٠).

والحقيقة أن هذا الوصف لمسار التاريخ صحيح في نصفه الأول، أن الحضارة
الأوربية على مشارف النهاية، وأن الحضارة العربية الجديدة قد بدأت. الأولى في
نهاية الألف الثانية، والثانية في منتصف الألف الثانية، ولا توجد مظاهر أمل جديدة
في الحضارة الغربية لألف ثالثة بعد سيادة مظاهر العدمية والشك والنسبية
واللأدرية وسيادة التحليل والتفكيك، وموت الإله، ثم موت الإنسان. والعلم له قوته
الدميرية والمال يقلب على نفسه في الرأس المالية الغربية. وتجربتنا الحضارية العربية
الأولى لم تكن أليمة أو بائسة بل ساعدت على إنشاء العقلانية والإنسانية تخفيفاً من
الشعائرية والقطعية. وقد أكملنا الحضارة اليونانية ووضعنا فيها الروح، ومرجنا
أرسطو بأفلوطين وجمعنا بين أفلاطون وأرسطو، ووضعنا المنتحلات لعمل فلسفة
خالدة أبدية. لماذا يسميها المترجم (العربية) وليست (الإسلامية)؟ هل هي نزعة قومية
تكشف عن انتساب المترجم إلى (مصر الفتاة) ونزعتها الإرادية والتي تفسر -
أيضاً- إعجابه بالرومانسية الألمانية والتصوف والروح والتصور الحيوي للتاريخ،
بعيداً عن عقل اليونان وحكمته، وتفضيل نيتشه على أرسطو؟

وكان الهدف من ترجمة «روح الحضارة العربية» لهانز هينرش شيدر مع إضافة تعليقات من وضع المترجم هو البحث في روح الحضارة العربية، في حين أن العنوان الحرفي الألماني «الشرق وتراث اليونان» أو «الشرق والتراث اليوناني». ويبرر المترجم في التصدير هذه الترجمة الحرة للعنوان بعدم دقة عنوان الشرق الجغرافي واختلافه بالنسبة للجغرافيا والتاريخ. والأفضل منه منطقة الحضارة العربية. والترجمة مشتقة من اشبنجلر في تحديده روح الحضارات وتطبيق ذلك على روح الحضارة العربية. حضارة الكهف، وهو المعنى المقصود من أجل ردنا إلى الحياة الجادة المستوية، والطريق المستقيم الذي يقود إلى الغاية المنشودة دون صلف أو مراء^(٨١).

لم يكن غرض المترجم تقديم تراث اليونان لذاته، لأنه أيضاً لم يكن غرض القدماء لذاته، بل لصياغة الحضارة العربية طبقاً لظاهرة التشكل الكاذب التي عرضها اشبنجلر وكررها المترجم في كتابه عن «اشبنجلر»، وفي استعماله لها في تصديره لترجمة «روح الحضارة العربية»، فهي عامل سلب لا إيجاب، أخذ الصورة ومنع الإبداع، تبنى الشكل وخنق الروح والصلة طردية في التأثير عكسية في الأصالة. لذلك ظهر التصوف من أجل الانعتاق من اليونان وتجاوزهم أو التخلف عنهم. وكان الصراع شديداً بين التأثر باليونان والخضوع لهم كما فعل الفلاسفة، والتحرر منهم. والوثب خارجهم كما فعل الصوفية: تأثر الفارابي والسهروردي والحلاج وابن سينا والرازي الطبيب، وأبدع الصوفية: كالبيسطامي والحلاج والرازي الفيلسوف. بل إن ابن عربي في رأى المترجم لا يكاد يخرج عن اليونان المتأخرة التي زحفت عليها الحضارة العربية الناشئة. وقد شاهد عند أهل الأدب محاولات التوفيق، والحرب سجال كما هو الحال عند ابن المقفع والجاحظ والتوحيدى. كما شاهد الدين بما تفرع منه من أصول دين وفقه وحياة باطنة. فقد تكون كل شيء في هذا الصراع بين اليونان والأصالة، بين الخارج والداخل، بين النقل والإبداع^(٨٢).

لقد اختار المترجم هذا الكتاب لأنه بحث في صميم الحضارة العربية تحت تأثير اشبنجلر، ويعبر عن آراء المترجم، فأهمية التراث اليوناني للحضارة العربية أكثر من

أهميته بالنسبة للحضارة الغربية الأوروبية الفأوستية، لأن مصير الحضارة العربية كان أوثق ارتباطاً - وبدرجة هائلة - بالتراث اليوناني من الحضارة الغربية. فقد أدخل التراث اليوناني الحضارة العربية في قالب وهي مازالت وليدة ناشئة فانطبعت بطابعه - قبولاً أو رفضاً- بحيث كان من المستحيل الفكك منه. أما الحضارة الغربية فقد استعملت التراث اليوناني كذريعة للوثوب، ثم طرحته جانبا مكتشفه النزعة الإنسانية المتجددة في كل عصر منذ عصر النهضة حتى فنكلمان وجوته وصولاً إلى بيجر صاحب مجلة الحضارة القديمة وجماعة جوديه في فرنسا. ومازالت الحضارة القديمة تلعب دور المثير في الوعي الأوربي للوثب منها والثورة عليها، دون التقيد بها والعبودية، لها حتى أصبح (فأوست) هو رمز الغرب وليس (أبولو) رمز اليونان، أما العرب فإنهم لم ينسوا التراث اليوناني أبداً وظل عنصرأ دائماً في حياتهم الفكرية حتى نشأ تيار يحاول التخلص منه: الرازي الطبيب بدعوته إلى الحرائية، والجاحظ بدعوته إلى العروية، والتوحيدى والسهروردى المقتول بدعوتها الصوفية وتأسيس نزعة إنسانية تصدر عن الروح العربية الأصيلة^(٨٣).

هذا الوصف لعلاقة الحضارة اليونانية بالحضارتين العربية والأوروبية مجرد وصف أسطورى أيديولوجى رومانسى ألماني. فالحقيقة أن ثقل الحضارة اليونانية في الغرب مازال كبيراً، مثل العرب إن لم يكن أكثر. فعقلانية القرن السابع عشر والتنوير في القرن الثامن عشر عود إلى العقل اليوناني ضد إيمان العصر الوسيط. ومثل التنوير، العقل والطبيعة والعلم والإنسان، إنما هي صياغات جديدة لمثل أفلاطون وأرسطو. إنما الجديد هو التقدم، أى التاريخ، والعودة إلى اليونان في النزعة الإنسانية لا تدل على النسيان بل على البعث ضد روح نيتشه، ومازال أبولو، أى العقلانية والترشيد، هو أهم خصائص الوعي الأوربي وسبب انتصاراته، فى حين أن ديونيزيوس أدى إلى العنصرية والحرب والاستعمار والسيطرة، ثم العدمية كما جسدها نيتشه.

أما الحضارة العربية فلم تسجن نفسها داخل الحضارة اليونانية. بل استعملت

لغتها وألفاظها ومصطلحاتها، وهى لغة العصر، أما العقل والعلم فنابعان من الوحي الجديد. بل ظهرت تيارات معادية للمنطق اليونانى، نقدا ثم رفضا، وظهرت تيارات أخرى تغلب حكمة فارس. بل إن التصوف كله حركة لاعقلانية متمردة على العقل. وإذا كان أحمد لطفى السيد وطه حسين من دعاة اليونان، فإن الأدب الرومانسى الحديث مثل جماعة أبولو، والشعر الحديث إبداع عربى أصيل. ولا تعارض بين الداخل والخارج من أجل تكوين ثقافة إنسانية متكاملة.

ويضيف المترجم ملحقاً على كتاب «روح الحضارة العربية»، مراجعة لكتاب «تراث العرب» إعداد نبيه أمين فارس (برنستون ١٩٤٤) ويحيى جيلا جديدا من المستشرقين يتسم بالموضوعية والنزاهة على عكس الجيل القديم الذى كانت تحركه بواعث غير علمية، عوداً إلى الاستشراق النزيه الأول فى النصف الثانى من القرن الماضى، بفضل المستشرقين الأوربيين الذين هاجروا إلى أمريكا، بالرغم من أن الاستعمار والعنصرية قد بلغا أوجهما فى القرن الماضى، وظهرت نظريات السامية والآرية عند ليون جوتييه ورنيان فى فرنسا. وميزة هذا الاستشراق الجديد إعطاء صورة شاملة عن تراث العرب ومشاركة العرب فيه أسوة باشتراك علماء الهند فى الاستشراق الهندى، وبالرغم من ضالة نسبة المشاركة، وإحلال الدراسات العربية الإسلامية محل المصرىات والآشورىات والهنديات والعبريات والسورىانيات حتى وصلت الآن إلى (رابطة دراسات الشرق الأوسط MESA) فى الولايات المتحدة.

ويعرض المترجم فصول الكتاب وينوى الرد على المستشرقين (خاصة جوليس أوبرمان فى كتابه «أصول الإسلام») فى مجال آخر مما يدل على أن الرد على المستشرقين كان أحد بواعثه الأولى فى أواخر الأربعينيات قبل أن تتجلى فى أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات بالفرنسية فى كتابيه «الدفاع عن القرآن ضد منتقديه» باريس ١٩٨٨، «الدفاع عن حياة النبى محمد ضد مهاجميه» (باريس ١٩٩٠)^(٨١). والقصد من الترجمة العربية إغراء القراء بقراءة الكتاب الذى لا ينفع الأوربيين وحدهم بتكوين صورة دقيقة عن التراث العربى بل ينفع العرب أيضاً بإدراك

ويستمر المترجم فى نقد الاستشراق فى ملحق ثانٍ لعرض ومراجعة كتاب «الإسلام فى العصر الوسيط» لفون جرينباوم بعد إيواء أمريكا لحركة الاستشراق الأوروبية، بعد هجرة العلماء اليهود الألمان إليها هرباً من الاضطهاد النازى. وفى هذه المرحلة من الاستشراق بدأت التركيبات بعد الأبحاث الجزئية نظراً لخطورة التركيبات قبل معرفة الأجزاء التفصيلية. وقد جمع الكتاب بين الميزتين، مع التركيز على عوامل التمثل والاستبعاد، والقبول والرفض. ويرد المترجم على منهج الأثر والتأثر الغالب على الدراسات الاستشراقية، بما فى ذلك الآداب الشعبية، واعتبار «ألف ليلة وليلة» يونانية المصدر فى صورة عربية. كذلك ينقد الجهل والتعصب اللذين يكمنان أحياناً وراء أخطاء المستشرقين. وينقد اندفاع المؤلف نحو أحكام لا يؤيدها العلم والتاريخ لبعده عن الوثائق الجديدة التى تؤكد وجود الجانب الذاتى الشخصى فى الإسلام المتهم بالتجريد والعمومية والشمول، ويُقصد بذلك التوحيد، ونظراً لما تمثله المسيحية من تجسد وعينية. كما ينقد المترجم المؤلف بإهماله عنصر الجنس وكان المترجم أكثر قومية إلى حد التفسير العنصرى للتاريخ، عرب وفرس، والمؤلف أكثر إنسانية. كما ينقد الإطالة والاستطراد والاستشهادات بالنصوص الطويلة^(٨٦) ويظل الهدف من الترجمة هدفين: الأول إعطاء الغربى صورة دقيقة للحياة الروحية فى الإسلام فى إطاره العالمى، وإعطاء العربى - فى لغته - صورة عن نفسه وعن حياته الروحية^(٨٧).

والثانى إثارة هذه المسائل اليوم ليس فقط لهذا الغرض العلمى: فهم الماضى، ولكن من أجل الإعداد للمستقبل فى هذه اللحظة، لحظة الوثبة الكبرى التى تشاهدها البلاد العربية اليوم كى تعيد التوازن فى وعيها القومى بين مسارها العربى والمسار الغربى، بعد أن اختل هذا التوازن منذ انهيار الإمبراطورية الإسلامية الأولى فى القرن الثالث عشر الميلادى. وبالرغم من إحساس المترجم بالتاريخ وبالمسأرين المتمايزين للوعى العربى الإسلامى والوعى الغربى، إلا أنه يضع المسار العربى ضمن

تحقيب مسار الوعي الأوروبي مؤرخاً له بالميلادى، ويعنى به نهاية القرون السبعة الأولى عصر الريادة الأول فى الماضى، واستعداداً لعصر الريادة الثانى فى المستقبل^(٨٨).

وقد خصص الفيلسوف المترجم كتاباً بأكمله «التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية»^(٨٩) لترجمة مجموعة من دراسات كبار المستشرقين ألف بينها وترجمها عن الألمانية والإيطالية، مع مقدمة فى الفهرس وتصدير عام فى النص لهذا التقابل الذى يقرب إلى حد العنصرية الحضارية بين التراث اليونانى والتراث الإسلامى، بين النقل والإبداع، بين الروح العربية والروح اليونانية، مع إصدار بعض الأحكام العامة. يسمى المترجم كالعادة الحضارة الإسلامية (الحضارة العربية) وأحياناً (الحياة الروحية الإسلامية)، فإما قومية عربية، وإما روحية صوفية، وكأن لا شىء عقلياً نظرياً بينهما. ويرى أن الحضارة الإسلامية لم تأخذ من الحضارة إلا ما هو غير جوهرى، مع أن الحضارة الإسلامية أخذت لب الحضارة اليونانية مثل العقل وأكملته، وأن العلوم هى القدر المشترك بين الناس، وليس الفنون، أو الروح التى تهتم على نحو مخالف، وأن روح الحضارة الإسلامية أخفقت فى معارضة الروح اليونانى فى نتاج آخر، بالرغم من رد الفعل الإسلامى على التراث اليونانى ومحاولة وضع منطق للمشرقيين وحكمة للإشراق وفلسفة مشرقية، عند الفلاسفة والصوفية، ووضع منطق تجريبى جديد عند الفقهاء ونقد المنطق اليونانى. ويضع المترجم - تقليداً للمستشرقين الأربعة الذين نقل عنهم - تقابلاً عنصرياً حضارياً بين روح الحضارة الإسلامية وروح الحضارة اليونانية. الأول فناء الذات فى الكل وإنكارها، والثانى إثبات الذات واستقلالها بالرغم من وجود التصوف ومحمد إقبال وحال البقاء. الأول نافٍ للفلسفة اليونانية والفن اليونانى وعدم إبداع فن إسلامى، والثانى مثبت للفن مبدع له بالرغم من وجود الفنون الإسلامية فى العمارة والزخرفة «الأرابيسك» ووجود ابن رشد الشارح الأعظم للفلسفة اليونانية، حتى أصبحت الفلسفة والوحى سواء. الأول يتصور المكان خلاء غامضاً، فالهندسة زندقة، والثانى يتصور المكان جسماً

وبالتالى نشأت فنون العمارة والنحت، بالرغم من وجود فن العمارة الإسلامى. الأول لا يالف العدد والثانى يالف بالرغم من إبداع العرب فى فن الحساب. الأول يتصور الفلك الزمان، والثانى المكان، ولا أفضلية لتصوير على آخر إن لم يكن للزمان فضل فى معرفة الأوقات. الأول يعتبر المنطق لغة، والثانى يعتبر المنطق تصورا، مع أن منطق اللغة أحد فروع المنطق الحديث. الأول عملى، والثانى نظرى، مع أن المنطق للاستعمال أحد اتجاهات المنطق الحديث.

هذا التحليل كله يعود إلى التقابل بين العقلية السامية والعقلية الآرية، وهى التفارقة العنصرية التى سادت عند رينان وجوتيه فى القرن الماضى.

لم تكن الترجمة عن الاستشراق مجرد هدف علمى واحد بل كانت متعددة الأهداف: المساهمة فى الدراسات الإسلامية من الباحثين العرب، الرد على المستشرقين، إطلاع الغربيين على الصورة الحقيقية للتراث العربى من خلال المقدمات والتعليقات على النص المترجم، إعطاء العرب صورة عن أنفسهم تجلت فى تراث القدماء، الإعداد لوثبة جديدة فى النهضة العربية المستقبلية. ففى تصدير المترجم لكتاب فلهاوزن «أحزاب المعارضة السياسية الدينية فى صدر الإسلام، الخوارج والشيعية» يبين مميزات المنهج النقدى لروايات المؤرخين المسلمين مثل الطبرى، ومراجعة رواياته، كما يستحسن اعتداله فى تلمس المصادر اليهودية للفرق دون مبالغة جولديزهر، وكذلك إنصافه لبنى أمية. ثم ينقد الكتاب بأنه سى العرض ويصعب استخلاص الخطوط العامة منه، كما لاحظ مستشرق آخر هو سوفاجيه، بصرف النظر عما إذا كان هذا النقد من المترجم أم من المستشرق. والموضوع نفسه مختار بعناية فى ثقافة تتجه بينيتها نحو السلطان. وربما كان الدافع لترجمة ثقافة المعارضة هو إحساس لاشعورى عند المترجم بانتمائه إليها نفسياً وإن لم يكن سياسياً. وأحياناً يبدو أثر الاستشراق الغربى عند المترجم فى لغته التى صدر بها الترجمة مثل الكلمة والكتاب المقدس. ولكن يظل الهدف المعلن عنه للترجمة هو إعطاء نموذج لترجمة خالية من التعليقات المسهبة الزائفة السائدة عند المترجمين العرب.

بدعوى الرد على الاستشراق، أو مزايدة فى العلم عليهم تعريفاً بالأماكن والأعلام والحوادث التاريخية وهو حشوزائد لا طائل منه، وأن يعطى للعرب مصدراً ثميناً لمعرفة تاريخ العرب ودعوتهم للمشاركة فى كتاباته وهو ألقى بهم من غيرهم^(٩٠).

أما هدف ترجمة «ابن عربى، حياته ومذهبه» لأسين بلاثيوس فهو بيان فضله على الدراسات الإسلامية عن ابن عربى والغزالى وابن حزم وابن مسرة مع نقد المترجم آفة الأشباه والنظائر ومنهج التأثير والتأثر فى سرعة إطلاق الأحكام^(٩١).

وهناك هدف وسيط للترجمة عن المستشرقين بين العلم - نموذجاً أو تصحيحاً - والتاريخ وثبة جديدة للعرب، وهو الفكر الفلسفى. ذلك كان الهدف من ترجمة مجموعة من دراسات المستشرقين عن «الإنسان الكامل فى الإسلام»^(٩٢). وهو التقريب بين الله والإنسان، بيان إنسانية الله وألوهية الإنسان، لملء الهوة السحيقة بين الخالق والمخلوق، التى انبثقت من حضارة السحر، بتعبير اشبنجلر، ووضع الله والإنسان على طرفى نقيض، مع أن الله وصف نفسه فى القرآن بأنه ﴿أقرب إليه من حبل الوريد﴾. الهدف هو تحرير الإنسان من أسر العبودية لأزلية خارجة عنه مكبلة إياه، وإثبات وجوده الإنسانى، لا فرق فيه بين دنيا وأخرة، وإعادة إلى الإنسانية من نطاق اللاإنسانية الذى غرقت فيه، ومن أجل استنباط العبرة اليوم مما وصل إليه القدماء. وهى نفس الفكرة الشائعة عند الصوفية، مسلمين ومسيحيين، شرقيين وغربيين، الله حال فى النفس عند سقراط وأوغسطين دون تجسد فريد متفرد إلا رمزاً للإنسان الكامل. وكان يمكن للمترجم أن يصل إلى الفكرة بدراسته الخاصة للتراث الإسلامى وليس بالضرورة عبر المستشرقين^(٩٣).

وقد يكون الهدف من أحد المؤلفات، وهى لا تتجاوز خمسة، فى التراث القديم، غير معلن، ولكن يمكن قراءته بإرجاع العمل إلى حياة المؤلف. مثال ذلك «شهادة العشق الإلهى، رابعة العدوية». قد يكون الهدف شهرتها، والمؤلف ولوعٌ بالشهرة، وقد يكون قراءة النفس فى سيرة الآخر، والتحول من اللهو إلى الإيمان كما يعترف المؤلف بذلك فى إهدائه «الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى» وإهدائه إلى الشيخ مصطفى عبد

الرازق الذي كان بداية تحول المؤلف كذلك من الإلحاد إلى الإيمان. وقد يكون حياً مكتوماً جسدياً وروحياً، دنيوياً ودينياً، إنسانياً وإلهياً. لصاحبة السيرة العطرة ويقتصر التصدير على وصف البصرة (فينيسيا العربية) ودراسة الشخصية على نحو نمطى مع إضافة نصوص وأخبار، منشورة وغير منشورة، مع التحقق من الروايات. وإضافة فهرس الكتب والأعلام^(٩٤).

ولم يكن الهدف - فقط - إبراز إيجابيات التصوف دفاعاً عن الروح العربية الإسلامية في مواجهة الأسر اليوناني للفلسفة الإسلامية، من خلال الترجمة والتحقيق، بل - أيضاً - عن طريق التأليف، تأليف «تاريخ التصوف الإسلامى من البداية حتى نهاية القرن الثانى» كجزء أول فقط تتلوه دراسات أخرى عن مراحلها. قرنين قرنين، حتى يمكن تغطية هذا الجانب الأصيل فى الحياة الروحية فى الإسلام^(٩٥). ولكن أفة كل علم إنسانى هى الانحراف به عن غايته وإساءة فهم مقاصده. كانت المرحلة الأولى إشراقة الفجر ونضارة تفتح براعم الروح، ورع وخلق عند الحسن البصرى، وإبراهيم بن أدهم، ومالك بن دينار، والفضل بن عياض، وأويس القرنى، ثم تحول - بعد ذلك - إلى تصوف نظرى عند ابن عربى، وابن الفارض، والصوفية المتأخرين.

وهو تطور حتمى من التجربة إلى الفكر، ومن الحياة إلى العقل. ثم انهار فى الطرُقية، فأفة القانون الحرفية، وأفة العلم الطبيعى تطبيقاته فى أسلحة الدمار الشامل، وأفة التصوف المظهر واللباس وليس السلوك المطابق للحياة الروحية، الاعتناء بالظاهر والباطن خراب. والصوفية صفوة مختارة، نماذج سلوك، مثل وقودة، وليس للعامة مثل العلم والابتكار والشعر، أما السلوك الفاضل فلكل الناس. ويعبر المؤلف - مرة أخرى - عن إعجابه بالتصوف الذى يعبر أصدق تعبير عن الروح العربية. كما وجد فيه زكى نجيب محمود تعبيراً عن (الشرق الفنان) فى مقابل (الغرب العالم). وربما ارتبط به المؤلف لا شعورياً، نظراً لما يمثله التصوف من نزعة

رومانسية فردية نخبوية إرادية، كما هو الحال في مصر الفتاة، ولدى نيتشه. وفي التصدير العام مناقشة لمشاكله واشتقاق لفظه والمؤثرات الأجنبية فيه، كما هو الحال في الاستشراق، والكتاب - نفسه - لا جديد فيه^(٩٦).

ويحاول صاحب المشروع النهضوى تأصيل هاتين النزعتين: الإنسانية والوجودية في التراث العربى الإسلامى فى «الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى». ويضعه ضمن «دراسات إسلامية» وهو أقرب إلى «مبتكرات» أو الربط بين الجبهتين الأولى والثانية. وربما ساعد على ذلك وجوده فى لبنان وإعطائه هذه المحاضرات كما فعل سارتر فى جنيف فى محاضرة «الوجودية فلسفة إنسانية»، أصبحت بياناً على الوجودية، قصد منها إحياء بعض العناصر الممتازة والخليقة بالبقاء فى تراثنا العربى، من أجل تمثل تجربة حياة فى الماضى تساعد على تهيئة حاضر يجمع إمكانات التطور الروحى القومى، فيتصل الماضى بالحاضر فى وثبة خلاقة نحو المستقبل، دون تمجيد للماضى أو ازدراء له، بالرغم مما قد يوحى به هذا التحليل من نعرة روحية قومية أشبه بتحليلات (حزب البعث العربى الاشتراكى) للتراث العربى القومى، انتقالاً من السلب إلى الإيجاب^(٩٧) وهى مجرد صور أولية مازالت تعوزها الشجاعة والحرية والتمرد والخصب قبل الإيفال فى هذا الطريق دون الاكتراث بالمعارضة^(٩٨).

والنزعة الإنسانية فعل أصيل للإنسان لتحقيق إمكانياته من أجل تثبيت الأساس إلى سماء التوثب فى معراج اللانهائية استدعاء للصورة القرآنية «أصلها ثابت وفعها فى السماء»^(٩٩). ولما كان التصوف يواكب النزعة الإنسانية، والتصوف ينبع من أعماق الوجود الأصيل للروح الحضارية، وهى فى دور نشأتها وتكوينها. يمكن استعادة هذه التجربة الروحية لمساعدة الحضارة الناشئة حتى تلتقى مع الوجودية فى الحضارة الغربية المتداعية والحضارة العربية الناشئة، أو بين الحضارة اليونانية والحضارة الأوربية^(١٠٠). والشعر هو التعبير العاطفى المناظر للتجربة

الصوفية فى الدور الأول للحضارة العربية، لذلك ازدهرت التجربتان معاً فأبدعتا
الشعر الوجودى^(١٠١). ثم يأتى الدين بعد التصوف، والشعر يعبر عن الروح الجديدة
ويعدل الروح القديمة يصل إلى حد النسخ المطلق^(١٠٢).

ويعتمد صاحب المشروع الفلسفى النهضوى على كارل هينرش بكر، فى حديثه
عن الحضارة العربية، فى حديثه عن النزعة الإنسانية فى الفكر العربى أيضاً.
اعتماداً على المستشرقين، حتى فى الإبداع الفكرى. ربما لم يوجد اللفظ «الإنسانية»
واكن وجد المعنى. فالإنسانية - كنزعة - موجودة فى كل حضارة لعل مختلفة، وربما
بأسماء مختلفة، الخصائص واحدة، الإنسان والعقل والطبيعة وتقدم العلم، أى مثل
التنوير. ويعتمد على «الإنسان الكامل» عند ابن عربى والجيلى والسهرودى، وفى
نفس الوقت على أثر الأفلاطونية المحدثه، فالنزعة الإنسانية موجودة فى تراثنا
القديم^(١٠٣). ولا يعنى تأصيل النزعة الوجودية فى التصوف الإسلامى القديم، أى
إنكار لدور كبير كجارى وهيدجر وياسبرز. فلو لا معرفة هؤلاء الوجوديين الغربيين لما
أمكن اكتشاف الوجودية فى الفكر العربى. فالحاضر يكشف الماضى عن طريق
قراءته، وهو ما سماه برجسون (ترائى الحاضر فى الماضى). بذلك ترسخ الوجودية
فى الوعى العربى وتفتتح على الحضارة الغربية من أجل روح إنسانية واحدة تتجاوز
الموروث والوافد. حضارة (الأنا) وحضارة (الآخر)^(١٠٤).

ويتحدث عن المعنى الإنسانى فى رسالة النبى، كما يتحدث ميشيل عفلق عن النبى
العربى، فإذا كان محمد كل العرب فإن كل العرب محمد. والإسلام به كل شىء كما
يقول السلفيون المعاصرون، حرية الفكر والكرامة الإنسانية كما جسدها الرسول فى
الاحتفال بالمولد النبوى. فالفيلسوف مفكر مناسبات مثل الوعاظ^(١٠٥).

ويسمى فكرنا (العربى) وليس (الإسلامى) ربما لنزعة وطنية قوموية أكثر منها
إسلامية. والحضارة العربية أوسع من الحضارة الإسلامية، تشمل إيران ودجلة
والفرات وبنى اسرائيل، كما هو الحال فى تحديد ميشيل عفلق للعروبة والمدنية

الإسلامية ما هي إلا طور من أطوار الحضارة العربية. وإذا كانت هذه الدراسة أقرب دراساته الإسلامية إلى الابتكار إلا أنها قراءة للغرب في التراث العربي. فالغرب هو المعيار والتراث العربي هو المعار. وتنتهي الدراسة المقارنة بصورة هرمس في الفكر العربي مع نصوص غير منشورة وهو خارج موضوع الكتاب إلا من كونه نقطة التقاء بين الحضارات اليونانية والمصرية والإسلامية^(١٠٦).

وبالرغم من أن «من تاريخ الإلحاد في الإسلام» لا يوضح في التصدير العام الهدف النهضوي منه، إلا أن العبارة الأخيرة فيه توضح ذلك، وهي حرية العقل الإسلامي في العصور الأولى فهل يمكن أن تعود مرة أخرى^(١٠٧). والكتاب تأليف وترجمة في آن واحد، بل تزيد الترجمة على التأليف كما^(١٠٨). ولا تذكر الترجمة في الفهرس بل توضع على أنها تأليف^(١٠٩) بل إن التأليف هو مراجعة لكتابات المستشرقين، وتفكير على تفكير، وهو في مطلع شبابه في الثلاثينيات والأربعينيات عندما كان معظم أساتذته من المستشرقين. والجزء الكبير في الكتاب هو دراسة بول كراوس عن ابن الراوندي^(١١٠). والمنهج المتبع هو المنهج التاريخي، دراسة الشخصيات والظروف الاجتماعية والسياسية التي عاشت فيها، وليس منهجاً فكرياً يدرس ظاهرة الزندقة من الناحية العقائدية أو النفسية الاجتماعية، كما أن وضع جابر بن حيان مع حركة الزندقة والزنادقة دفع للأمور إلى حدها الأقصى. ويعنى بحركة الإلحاد إنكار النبوة والأنبياء وليس نفى وجود الله، وهو ما يميز بين الإلحاد في الحضارة الإسلامية عنه في الحضارة الغربية، هو إلحاد معرفي باسم العقل، وليس إلحاداً أنطولوجياً باسم الوجود أو القيمة، والمقدمة عن الروح العربية، تقوم على مفهوم هنريش شيدر، وهي نوع من العنصرية الحضارية، وأحكام عامة تقوم على أسس أيديولوجية موجهة، فلا يمكن الحديث عن روح واحدة للحضارة العربية التي تجمع بين العقل والقلب، بين التأويل والتنزيل، وهو موضوع كان شائعاً وسط الحلقات الاستشراقية في الجامعة المصرية، نظراً لوجود المستشرقين في بيئة ثقافية

مغايرة. والعموميات تثير الذهن وتبعث على التفكير. والموضوع غريب على موضوع الكتاب، بل إنه مضاف له، نظراً لأن روح الحضارة العربية فى التصوف، فى حين أن الإلحاد يقوم على الفكر الحر. ولكنه ظل كتاباً جريئاً فى وقته، وأجراً منه أن يعاد طبعه هذه الأيام، فى موجة التكفير فى زمن التفكير.

والهدف من تأليف «مذاهب الإسلاميين» بجزأيه، الأول عن المعتزلة والأشاعرة، أى أهل السنة، والثانى عن الإسماعيلية والقرامطة والنصيرية والدروز، أى الشيعة، ليس فقط هدفاً علمياً، وهو ندرة المؤلفات فى الموضوع، بلغة سهلة، وضرورة الكتابة فيه بعد نشر نصوص المعتزلة وقراءتها طبقاً لمدرسة مصطفى عبد الرزاق، الاعتماد على النصوص والمواجهة بها، بل إعطاء نموذج على حرية الفكر فى أمور العقيدة وحق الاختلاف وعدم تكفير المخالفين فى رأى كما ابتدع الغزالي فى «الاقتصاد فى الاعتقاد» وإضافة جزء أخير فى كتب العقائد الأشعرية عن «فيما يجب تكفيره من الفرق» اعتماداً على الحديث الضعيف الذى يشكك فى صحته ابن حزم، حديث الفرقة الناجية، وبهذا التحرر الفكرى الذى مارسه القدماء - فى الفترة الإسلامية الأولى - على مدى سبعة قرون نستطيع - الآن - أن نمارسه من جديد^(١١١). ويرفض المؤلف أى دعوة للإقصاء والاستبعاد لأى فكر أو رأى أو مذهب، بدعوى أن مذهباً بعينه يمتلك الحقيقة كلها - وحده - على أنه المذهب الصحيح: كما حدث ذلك فى التاريخ. والتاريخ أيضاً شاهد على تعددية الآراء والمعتقدات والمذاهب، سواء فى الشكل أو فى المضمون^(١١٢) والكتاب ضخم بجزائية، يضم مادة معروفة سلفاً. وله تصدير صغير عن نشأة علم الكلام ودواعيه، وأسماء فرق المعتزلة، وعرض لأصولهم الخمسة، والحديث عن أعلامهم مثل أبى الهذيل، والنظام، والجبائى، والقاضى عبد الجبار، والأشعرية، والأشعرى، والباقلانى، وعبد القاهر البغدادى، والجوينى. وفى كل علم عرض جليل الكلام إلى الإلهيات، ودقيق الكلام إلى الطبيعيات.

ويتجلى المشروع الفلسفى النهضوى فى الهدف السياسى المباشر، الدفاع عن الحرية والديموقراطية ضد القهر والدكتاتورية. وقد كان هذا الباعث وراء انتحال بعض النصوص السياسية على لسان اليونان مثل كتابى «سر الأسرار» و«العهد اليونانية». قد يكون الباعث على انتحالها محاربة الدكتاتورية بعد أن اتجه النظام الإسلامى - فى مستهل الخلافة العباسية - إلى صورة الملكية المطلقة، بعد الصورة الأبوية التى كانت فى عهد الخلفاء الراشدين، والنظام البيزنطى الأموى وليس الساسانى الإيرانى الذى أصبح نموذج العباسيين، بعد أن شارك الفرس فى الثورة على الأمويين. وأحياناً يستلهم هذا المنحول الأدب السياسى الإيرانى من أنصار زرادشت ومانى ومزدك، أو من النصارى أنصار اليونان، فقد كان الانتحال عند الفريقين. وفى الكتابين أفكار عصرية، ولو قدر لها أن تسود عند حكام المسلمين لما انهارت دولة الإسلام حتى اليوم، ومن ثم فإن هذه الأفكار عن الحرية والديموقراطية قادرة على أن تحفز العرب والمصريين اليوم على إنشاء دولة الغد العربية الشامخة. والمؤلف يكتب ذلك بعد الثورة المصرية بعام أو عامين^(١١٣)، بالرغم من أن عروبة الثورة لم تكن قد ازدهرت بعد. وربما كان ذلك من أثر (مصر الفتاة) التى كانت تربط مصر بالأمة العربية والإسلامية. ومع ذلك يلاحظ المحقق أن الكتابين أقرب إلى نفسية الحكام، بالرغم من انتشار معانى الديمقراطية والحرية السياسية والمساواة والعدالة - التعويضية أو التوزيعية - قبل أفلاطون وأرسطو.

ويقال إنه أراد أن يختم حياته دفاعاً عن الإسلام ضد انتقادات المستشرقين للقرآن وللنبي، وهو الذى طالما أعجب بالمستشرقين دفاعاً عنهم وترجمة لهم. وبصرف النظر عن الدوافع العملية لهذا العمل الأخير، سواء كان بعداً عن الوطن والعيش فى باريس، والغربة تميل إلى التراث، والهجرة تدفع إلى التمسك بالروح والتراث الروحى للبلد لبعيد، أو الباعث الاقتصادى فى أكثر الدول التى تمول البحوث دفاعاً عن الإسلام ونشره فى مواجهة الغرب، وربما يقظة داخلية، وقد جاوز السبعين، دفاعاً عن الهوية واستعداداً للقاء فى اليوم الآخر. هذا التحول عن الإعجاب بالغرب،

والمستشرقين بوجه خاص، إلى الدفاع عن القرآن ضد منتقديه جعله - وهو فى نهاية المطاف - متكلماً جديداً وسط البيئة الغربية، التى عشقها فى مطلع الشباب، والتحول من نيتشة واشبنجلر وشوبنهاور إلى القرآن والنبي والإسلام، مثل رابعة العدوية وعمر الخيام وأوغسطين. ويعنى بالمستشرقين كل من تكلم ضد الإسلام ابتداء من آباء الكنيسة الأوائل حتى هذا القرن دفاعاً عن صورة الإسلام فى الغرب وتطهيراً لها من أهوائه وانفعالاته، ويحتوى على ثلاثة عشر مقالاً مراجعة نقدية لكتابات المستشرقين ترجم لهم فى البداية وأجل الرد عليهم فى النهاية^(١١٤).

أما كتابه الفرنسى الثانى «الدفاع عن حياة محمد ضد مهاجميه» فهو الحلقة الثانية من السلسلة الجديدة التى أسسها فى فرنسا بعنوان «إسلاميات» وهى تقابل «دراسات إسلامية» فى مرحلة الشباب والنضج. وهى - هذه المرة - موجهة للغربيين عامة، وللمستشرقين خاصة، كما كانت الأولى موجهة إلى المصريين والعرب عامة، وإلى الباحثين خاصة. ويبدأ التصدير بقانون عام «نادراً ما يسعد الناس بالحقائق، خاصة عندما تعارض مصالحهم». وهذا - بالضبط - ما حدث للمستشرقين منذ الدولة البيزنطية حتى الآن، عندما قاموا بتشويه حياة الرسول لأن الإسلام كان يهدد الدولة البيزنطية فى الشرق، كما استولى على ممتلكات الإمبراطورية فى الغرب، منذ يوحنا الدمشقى وتيودور أبو قررة وإلياس وعبد المسيح الكندى، حتى رهبان أوروبا منذ القرن الثانى عشر، حتى اليوم. وقد كانت دراساتهم عن الرسول محملة بالعداء والكذب بدعوى الموضوعية والعلم والبحث التاريخى المحايد والنزىة، كتبوا جميعاً عن «أسطورة محمد». واستمر فى هذا العداء الأب لامانس والسير موير تحقيقاً لأهدافهم الهجومية، وبارتهولد، بلاييف، بيرتلز لولانهم الماركسى، والأب الدومينكانى ثيرى الذى أخذ الاسم المستعار حنا زكريا لفضبه وأهوائه. الغاية إذن من هذه الدراسة الثانية هى الكشف عن أخطائهم، وتفنيد افتراضاتهم المتسارعة، وتصحيح أحكامهم القائمة على وقائع خاطئة أو جزئية، حتى يأخذ القارئ غير المسلم عن الإسلام وشخصية الرسول صورة أكثر دقة وأكثر عدلاً^(١١٥) وتظهر موقف المؤلف المعادى للاشتراكية وإثبات التباعد بين الإسلام والاشتراكية.

سادسا: المشروع الفلسفى التاريخى (الآخر):

بدأ الفيلسوف الشامل تأملاته الفلسفية فى رسالتين: الماجستير - بالفرنسية - «مشكلة الموت فى الفلسفة الوجودية» التى أشرف عليها لالاند وكوايريه عام ١٩٤٧ وطبعت عام ١٩٦٤ ضمن منشورات كلية الآداب جامعة عين شمس وأجزها فى «الموت والعبقرية». فمن التصدير العام يبدو الفيلسوف وجودياً، يكتب بقشعريرة الفكر الذى يتجلى الموت أمامه على قمة العدم، فيضىء للذات السبيل للكشف عن الحياة المليئة النابعة من غير الوجود سالكة إلى سدرة المنتهى^(١١٦) فيجتمع التحليل الوجودى للبدن مع التصوف وعباراته القرآنية والصوفية، ويحاول الجمع بين ثقافتين: الغربية والعربية الإسلامية، دون وحدة فكر أو موضوع^(١١٧) فبقيت الموضوعات متناثرة تحت عنوان واحد، بالرغم من اختلاف النوع الأدبى بين الفلسفة والشعر واليوميات، ودون هومش أو مراجع. وتبرز أحياناً بعض التحليلات العنصرية مثل الفرق بين الروح السامية والروح الآرية، الأول منفصل والثانى متصل. الشعور بال شخصية فى الأول غامض، وفى الثانى قوى. إنما هى البداية بين الفلسفة والتصوف والعلم.

ويحاول التعريف بالفلسفة الوجودية فى «دراسات فى الفلسفة الوجودية» لإعطاء القارئ العربى فكرة واضحة عن الفلسفة التى أحاطت بها الشائعات، مع أنها فلسفة محددة تماماً، ويطلق عليها لفظ (مذهب) وهى ترفض المذهبية، تقوم على أن الإنسان يوجد نفسه بفعله، دون أن يستنبطه من ماهية مسبقة، وكما عبر عن ذلك سارتر بطريقة أفضل فى «الوجودية فلسفة إنسانية»^(١١٨) يصف سياقها التاريخى فى النصف الأول من القرن العشرين، وهى رد فعل على الفلسفات العقلية والوضعية فى العصور الحديثة كلها. ويعطى نماذج من فلسفات كير كجارد رائد الوجودية، وهيدجر زعيمها، وكارل ياسبرز وأورتيجا وأونامونو وألبير كامى والعارف الروسى برديائيف وسارتر. ثم ينتهى بخلاصة مذهب الوجودى من الزمان الوجودى، وهو نفس النص الذى فى موسوعة الفلاسفة الذى كتبه عن (الفيلسوف عبد الرحمن

بدوى).

ولما كانت الفلسفة التي اختارها هي الفلسفة الوجودية فقد ارتبطت بالأدب عامة والشعر خاصة. لذلك كتب في «الشعر الأوروبي المعاصر» أقرب إلى المقالات المنفرقة. وعرض دون نقد، طبقاً للإعلام، مع ترجمات وتقديم، وكأنه يكتب للموسوعات أو للمناسبات، تعتمد على النصوص أكثر مما تعتمد على الدراسة والتحليل، كتبها بروح المحقق دون مراجع أو هوامش مع علم غزير. تبدو رومانسيته في الاستهلال وتقابل الشعر والآلة، والقلق على مصير الإنسان. ينأى عن الحداثة والاتجاهات الحديثة في الشعر، التي لن يبقى منها الكثير، فهو أقرب إلى الشعر القديم منه إلى الشعر الحديث. فربما يكون الشعر الجديد مجرد هراء بالرغم من التزامه بالوزن والقافية^(١١٩).

كما ألف «الأدب الألماني في نصف قرن»^(١٢٠) مركزاً - فقط - على رلكه وليس على الأدب الألماني كله. ويغيب أي تصدير أو استهلال أو مقدمة لتوضيح الغاية من الترجمة، وصيها في المشروع الفلسفي النهضوي ككل. وموضوع بعض أجزائها موجود سلفاً في الكتاب السابق. وكان يمكن التركيز على رلكه في مصر وأسبانيا وعلاقته الأخيرة مع السيدة المصرية^(١٢١).

ويعود إلى ينباع الفكر الأدبي عند اليونان في رباعية مثل فصول السنة، الربيع والصيف والخريف والشتاء، الربيع ما قبل أفلاطون، والصيف أفلاطون وأرسطو، والخريف المدارس الأخلاقية بعد أرسطو، ويتضمن الشتاء نهاية الفلسفة اليونانية في الأفلاطونية المحدثة. كما استعمل أحمد أمين أيضاً صورة الفجر والضحى والظهر لتاريخه الإسلامي.

ليس المقصود مجرد تاريخ الفلسفة اليونانية بل إعادة قراءته من منظور الفلسفة الأوروبية الحديثة خاصة اشبنجلر، روح الحضارة، وقراءة العقل اليوناني، بمعنى الروح الهيجلي، بأسلوب إنشائي يصف اكتشاف الإنسان لذاته وبزوغ الضمير الإنساني عند اليونان وكأن لا شيء قبل اليونان، مصر والشرق^(١٢٢). كما يغيب في

وصف تاريخ الفلسفة العام كل التراث الإسلامي، يبدأ من اليونان وينتهي إلى الغرب الحديث وهو الدراس الإسلامي والمحقق والمترجم للمستشرقين. ولا توجد مقارنة بين الروح اليونانية والروح الإسلامية، أو بالمقارنة مع الروح الغربية، باستثناء مقارنة بين المصريين الذين يأخذون النتائج واليونانيين الذين يضعون المقدمات. والهدف أيضاً الحضارة العربية، هذه الروح الجديدة حتى تعود الإنسانية إلى عرشها من جديد، بعيداً عن الآلة التي اختنق فيها الإنسان، بفضل هذا الجيل الوثاب الذي يستعيد - عاجلاً أو آجلاً - هذه القيم الإنسانية العليا^(١٢٣).

وتستمر الروح اليونانية وتتطور من الربيع إلى الصيف، أفلاطون وأرسطو. فأفلاطون هو عالم العقل والمثل والروح. هو الحى، الملهم الأكبر لأبناء هذا الجيل، مادة سانجة تقدم الروح والمثال لهم، تجربة روحية خصبة بعيداً عن متحف التاريخ، فى ثالث متوالد، سقراط وأفلاطون وأرسطو. سقراط الأب وأرسطو الابن وأفلاطون الروح القدس، واعتماداً على الدراسات الفيولوجية الحديثة، فاللغة تعبير عن الحياة عند اشبنجر ونيتشه، ومنزل الوجود عن هيدجر. ويبدو الأمر وكأن أفلاطون شيخ طريقة وأن أبناء هذا الجيل هم المريدون، نحو غاية روحية سامية^(١٢٤). ويصف المؤرخ الفلسفى مذهب أرسطو على نحو إنشائى بأنه هو الذى أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، تأمل فى الكون واتصل بالعقل الفعال. وهو مذهب لا يثير الحب ولا الأوهام ولا الحالمين النبلاء ولا الشباب. ولكنه أثر بروحه العلمية. يقدم هذا المارد الفكرى صورة تحليلية دقيقة بمنهج تاريخى يدرك التوتر الحاد والتناقض الخصب حتى تتجدد نفوسنا اليوم بما عانىنا سلفاً من تجربة حية قد تكون أعظم ما عانتها الإنسانية حتى الآن. فكما كان أرسطو لنا فى الماضى يمكن أن يكون لنا فى الحاضر، عاملاً لوثة حيوية جديدة فى التاريخ^(١٢٥).

وفى «خريف الفكر اليونانى» يودع المؤلف هذه الروح الإلهية الخالدة، والمعجزة الإنسانية الكبرى، والرمز الأعلى للنبل والحق والجمال، بعد أن حقق الصورة العليا للإنسانية، وتجسدت فيه كل القيم الأزلية، وهدت الإنسان سواء السبيل. وعلى

الأجيال القادمة عبادته واستلهامه من أجل تجديده وإعادته اليوم كما كان سلفاً فى زروته فى دورة تاريخية جديدة، وربما فى سنة جديدة لها فصولها الأربعة. وربما بدأنا فى فجر النهضة العربية فى القرن الماضى ربيعها ونحن فى طريقنا إلى صيفها قبل أن يحل علينا خريفها وشتاؤها^(١٢٦).

وتستأنف الروح مسارها من اليونان إلى العصور الوسطى، وهى عصور على غير ما هو شائع عنها أنها عصور ظلام، ينبج منها فجر العلم الحديث بفضل مفكرين أحرار خلصوا الإنسانية من العبودية الفكرية إلى طريق الحرية، فالفيلسوف المؤرخ يتبع مسار الروح فى التاريخ، باعتباره مسار الحرية، فالتاريخ - كما يقول كروتشه معبراً عن الهيجلية الجديدة - هو قصة الحرية^(١٢٧).

وبعد هذا الحماس الرومانسى لكتابة تاريخ أصول الغرب عند اليونان، والإعلانات المدوية عن ضرورة التجديد وإعادة بعث الروح، فإن العالم المدقق يتوارى أمام فيلسوف التاريخ. إذ يخلو «ربيع الفكر اليونانى» من الهوامش، لأنها فى صلب الصفحة، لا فرق بين العلم والمعلومات، وتضطرب قسمة الكتابة لأنه دون فصول أو أبواب. ويكرر مادة تاريخية معروفة وتكون أشبه بالكتب المدرسية أو الجامعية المقررة^(١٢٨).

ويتبع «أفلاطون» نفس التقسيم التاريخى والموضوعى المدرسى^(١٢٩) ويتحول «خريف الفكر اليونانى» - بعد الإعلان الصاخب عن ضرورة استلهاام الروح اليونانى- إلى مؤلف مدرسى عن الرواقية والأبيقورية والشكاك، وفى الشتاء عن فيلون والأفلاطونية المحدثة، مع بعض الجدة فى المصطلح الفلسفى فى العصر اليونانى وتاريخه فى الدور الأول^(١٣٠). وبعد الإعلان المدوى فى تصدير «فلسفة العصور الوسطى» عن انبلاج نور جديد يمثل فجر الفكر والعلم الحديث، على غير ما هو شائع عنها من عصور الظلام يتحول الكتاب إلى تاريخ مدرسى، وتتبع عصوره المختلفة ومدارسه المتتالية اعتماداً على جيلسون وجرايمان والديس دف، وأخذ المادة العلمية منها والاعتراف بذلك، دون حرج، حتى فى تصنيف مدارسها الأفلاطونية فى

عصر الآباء، ثم الأرسطية فى العصر المدرسى^(١٣١) دون إشارة إلى أثر الفلسفة الإسلامية إلا فى الرشذية اللاتينية، ثم إكماله فى «دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى».

ثم أتى «دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى» بلا استهلال، إلا استهلالاً بعيداً عن اهتمام المسيحيين بالعلم العربى، يوضح هدفه والغاية منه، وهل هو أقرب إلى الجبهة الأولى، تراث الأنا، أم الجبهة الثانية، تراث الآخر، أم للربط بين الجبهتين بطريقة منهج الأثر والتأثر، أثر الأنا فى الآخر فى مقابل أثر الآخر فى الأنا، سواء اليونان القديم أم الغرب الحديث، بالرغم من حدود منهج التأثير، والتأثر حتى ولو كان استشرافاً معكوساً. يبدو الهدف أحياناً رومانسية الأنا وثقتها بالنفس وأثرها فى التاريخ على الآخر، فيما يسمى بالعصور الوسطى لمسار الآخر، وبالعصر الذهبى لمسار الأنا، وتتجلى رومانسية الأنا فى استدعاء محاصرة الأتراك لفيينا عام ١٥٢٦ ثم عام ١٦٨٣ دون رومانسية الآخر الذى ذهب إلى العالم الجديد فى نفس الفترة التاريخية عام ١٤٩٢. وتتجلى الرومانسية فى أثر العرب فى الشعر الألمانى، وكأن الرومانسية الألمانية فى الفلسفة والشعر - التى جعلها الفيلسوف المؤرخ ذروة الوعى الأوروبى - عود إلى العرب عن طريق الغرب. وكذلك الأثر فى القصص، وهو أكبر الأجزاء. وللغرب معنى واسع يشمل الفرس والهند، مما يتطلب تغيير اللفظ إلى آخر أعم وأشمل مثل الإسلام أو الشرق، كما يفعل الرومانسيون الألمان أنفسهم. وكان لكتابين - بوجه خاص - أثر كبير على أوربا فى العصر الوسيط هما «فصل المقال» لابن رشد و«مشكاة الأنوار» للغزالى، مجرد رصد وعرض للكتابين دون بيان الأثر الفعلى، بل العودة إلى الاستشراق التقليدى وبيان أثر الأفلاطونية المحدثة فى مشكاة الأنوار، بالرغم من أنه يعبر عن تجربة صوفية أصيلة من الداخل، وليس أثراً من الخارج. كما يبين أثر العرب فى تكوين الشعر والموسيقى والمعمار الأوروبى، وفى الفكر العلمى والمعارف العلمية والتصوف والفلسفة مع تطبيق على المصادر الإسلامية للكوميديا الإلهية، والحديث عن ابن خلدون ونظرية العمل والقيمة خارج الموضوع إنما

يثبت قدرة العقل العربي على الإبداع التي تبرز أيضاً من تحليل عبارته «من غير تعاليم أرسطو ولا إفادة موبنران، دون اليونان أو الفرس، ودون مقارنة مع ماركس. إنما يعطى الإحساس بعظمة الأنا في طورها القديم لعلها تثق بنفسها في دورها الجديد^(١٣٢) ثم يدخل موضوعاً معكوساً لبيان دور القارئ في المقروء والذات في الموضوع وهو دور العرب في تكوين التراث اليوناني، في الحفظ والإضافة وإعادة التوازن وهو ما يسمى بالانتحال.

وبدل ذلك كله على انفتاح العقل العربي على التراث اليوناني والإيراني والهندي حتى ننتج نحن على التراث الغربي المعاصر كي نستعيد المكانة الأولى^(١٣٣). ومع ذلك فالكتاب مجموعة مؤلفة من مقالات سابقة ودراسات قصيرة متعددة ألف بينها عنوان مصطنع، غايته ملء المقرر الجامعي تحت هذا الاسم على أقل تقدير، أو رفع الروح المعنوية أثناء حركة التحرر الوطني، كما هو سائد في أدبيات العزة الحضارية والفخر بالماضي والسلفية الحضارية على أكثر تقدير. يضم حدوساً قصيرة المدى لمعلومات عامة دون تدقيق أو تحليل لمنطق التأثير والتأثر. سرعة تأليفه تدل على أنه مدرسي، مجموعة مقالات متناثرة بعضها خارج الموضوع مثل كل ما يتعلق بالعرب والتراث اليوناني تأثيراً وتأثراً، ابن خلدون وأرسطو، معرفة الكندي باليونانية، دوره في الترجمة، المصادر اليونانية للغزالي، دور موفق الدين البغدادي في إحياء التراث اليوناني، هو أسوأ الكتب تأليفاً، وهو تأليف على المؤلفات السابقة وتكرار مقدمتها، وعلى دراسات المستشرقين الذين لهم سبق في هذا الميدان لمجرد تضخيم الكتاب لغاية التدريس. وهو أقرب إلى الثقافة العامة منه إلى الدراسات المتخصصة. والسؤال هو: إذا كان كذلك صحيحاً، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، فلماذا هذا الانبهار الشديد بالغرب والتحامل الشديد على الشرق، إعطاء الآخر أكثر مما يستحق وإعطاء الأنا أقل مما يستحق؟ وبمجرد انتهاء سلسلة الينايبع عن مصادر الوعي الأوربي تبدأ «سلسلة الفلاسفة» من «خلاصة الفكر الأوربي» عن نشأة الوعي الأوربي وتطوره ابتداء من النهاية إلى البداية من اشنبجلر ارتداداً إلى

نيتشه، إلى شوبنهاور، إلى شيلنج، إلى كانط، ولكن البداية التاريخية كانت «نيتشه» وهو أول كتاب ألف بعد عامين من تعيينه معيداً بالجامعة عام ١٩٢٩ وهو مازال في سن الثانية والعشرين، والذي يعبر عن فلسفته ومزاجه وشخصيته واختياراته حتى ولو كان على لسان الآخرين قبل الماچستير «مشكلة الموت» في ١٩٤١، والدكتوراه «الزمان الوجودي» في ١٩٤٣، وتمت مناقشتها عام ١٩٤٤. وهو وقت اندلاع الحرب العالمية الثانية ونهوض ألمانيا متحدياً العالم. فإذا كانت الحرب العالمية الأولى قد هيأت لمصر ثورتها السياسية عام ١٩١٩ فإن هذه الحرب الثانية قد تدفعها إلى ثورتها الروحية. ولم يتحقق حلم الحالم فقد تحققت ثورة اجتماعية في ١٩٥٢ بعد سبع سنوات من نهاية الحرب كما اندلعت ثورة ١٩١٩ بعد عام واحد من نهاية الحرب الأولى. ومع ذلك يحلم الحالم بثورة روحية، الوطن في حاجة إليها، ثورة على قيمه وأوضاعه، استبدال بقيمه الثابتة القديمة قيماً متحركة وثابتة جديدة كلها قوة وحياة، وتعبير عن ضمير صادق طموح نحو العلو والسمو، وشعور حى نابض مبدع فما يقدهس الآباء لا يقدهس الأبناء. فساد الشك في القديم عند أبناء هذا الجيل لم يصل إلى حد التذبذب والقنوط^(١٣٤).

بل إن الأمر يقتضى تغيير النظرة كلها إلى الحياة والكون والوجود بدلاً عن النظرة القديمة وعوضاً عنها، تكون متفقة مع العصر محققة لمقتضياته مستجيبة لمطالبه، تحل متناقضاته وتحل مشكلاته، بعيداً عن الحلول الساذجة أو الوهمية التي تلغى المشاكل ولا تواجهها أو الحلول القديمة التي أدت إلى ضياع الأمة وفنائها. القصد - إذن - من مشروع «خلاصة الفكر الأوروبي» هو عرض العقل الأوروبي وهو يناضل من أجل تكوين نظرة جديدة فى الحياة وفى الوجود لخلق إنسانية جديدة ممتازة وحضارة متفوقة، وكيف يخلق ويبدع ويغير صور الوجود، فيتغير معها سواء فى مرحلة الينايبع، أى مصادر الوعي الأوروبي، أو فى مرحلة التكوين، بداية وتطوراً و نهاية، مما جعل الوعي الأوروبي تياراً متدفقاً ومستمرأ ومبدعاً للحياة^(١٣٥).

ولا يعنى ذلك استبدال تقليد بتقليد، وسيد بسيد، بل دراسة تجارب الآخر والتأمل

فيها وكيف تم الخروج من القديم إلى الجديد، ومن الماضي إلى المستقبل، ومن التقليد إلى التجديد، ومن النقل إلى الإبداع. لذلك تم اختيار نماذج ممثلة لهذا الفكر الأوروبي تبين تطور الفكر الإنساني، مفكرين وفلاسفة وشعراء فلاسفة، أقدرهم على التفكير وأقربهم إلى روح العصر، وأكثرهم أثراً فيه، وأشدهم عناية بالإنسانية، وأخصبهم في وضع المشكلات واقتراح الحلول، وأجرؤهم على حرية الفكر ونبذ القديم واقتراح الجديد، بين البداية والنهاية، بين الإعلان والتحقيق، بين الحياة والموت، فمسار الوعي الأوروبي ليس مطرد النمو والارتقاء. فيه أيضاً مد وجزر صعود وهبوط، نهضة وانهايار. وأول نموذج لهذا الفكر هو نيتشه، فيه القوة والعنف والتناقض والاضطراب. وفي نفس الوقت خصب وحياة قد تثير في النفس قلقاً أو شكاً يكون عاملاً إيجابياً لليقظة من الوهم بفضل الفكر الحر والنظر إلى الأشياء والتأمل في العالم.

واضح أن مقدمة «نيتشه» تضع ملامح المشروع كله، الخروج من التخلف إلى التقدم ومن السقوط إلى الارتفاع ومن الانهيار إلى النهضة^(١٣٦)، في خط متقابل مع مسار الوعي الأوروبي من النهضة إلى الانهيار، ومن الارتفاع إلى السقوط، وهو نموذج نيتشه أو برجسون للانتقال بالأمة من القديم إلى الجديد. وهو ما استمر في مشروع «التراث والتجديد» في جبهته الأولى لإعادة بناء العلوم القديمة، من العقيدة إلى الثورة، ومن النقل إلى الإبداع، ومن الفناء إلى البقاء، ومن النص إلى الواقع، ومن النقل إلى العقل. وهو أهم تصدير عام يضع ملامح المشروع كله. ونظراً لأن صاحبه كان ابن الاثنين وعشرين ربيعاً فقد غلب عليه الإنشاء والخطابة والمآينبيغيات والتكرار والإسهاب، وكأنه داعية من الحداثيين لا يختلف عن داعية السلفيين إلا في الاتجاه، إلى المستقبل أو إلى الماضي. وبه نفس القطعية وأحادية الطرف في الحديث عن الإنسانية الحقيقية، والنظر الصحيح. وبعد جوالى ستين عاماً انتهى هذا المشروع إلى الخلط بين الموضوع والمنهج، بين المادة والصورة، بين المشكلة والحل، فحدث التقليد للغرب واتخاذ نمطاً للتحديث عند التيارات الرئيسية الثلاثة في الفكر العربي المعاصر: الإصلاح الديني الذي يبدأ من الدين، والتيار الليبرالي الذي يبدأ

من الدولة، والتيار العلمي العلماني الذي يبدأ من الطبيعة.
وانتهى الأمر إلى تقليد الغرب، ونقل المشكلة والحل معاً، مع أن المشاكل قد تكون خاصة بكل حضارة وكذلك الحلول. فليس بالضرورة هدم المقدس هو حل لمشكلة المقدس الديني كما تم في بداية العصور الحديثة في الغرب، بل يمكن إعادة قراءته وتأويله بحيث يصب في الحياة، لأنه نابع منها ويعود إلى الواقع لأنه إجابة على أسئلته. لقد انتهى الأمر إلى أخذ الإشكال والحل، المادة والصورة، الموضوع والمنهج، البدن والروح، دون اعتبار الغرب مجرد تجربة للتأمل في خصوصيتها. فتم تعميم التجربة الغربية وأصبحت نموذجاً ومثلاً على غير مثال سابق بدعوى الثقافة العالمية والكونية، والعولمة تغطية شرعية جديدة للهيمنة السياسية والاقتصادية القديمة، وبحجة ثورة المعلومات وحرية السوق. ومن الطبيعي أن ينتهي تبني الفكر في الموضوع إلى تبني المنهج، فكل حضارة مادية تحمل قيمها معها. فلا توجد حضارة أو علم خالياً من القيمة. ومن هنا نشأت ضرورة وضع علم الاستغراب، للقضاء على ظاهرة التغريب في ثقافتنا المعاصرة، وتحويل الغرب من كونه مصدراً للعلم كي يصبح موضوعاً للعلم.

لقد ظن البعض أن كل هذا الحديث الحيوي الوثاب هو حديث عن ألمانيا وليس عن مصر، نظراً لأن المذكور هو الوطن. ولكنها لغة القومية الألمانية التي استمرت عند المثاليين الألمان حتى اشبنجر وهيدجر، والتي أدت إلى الحرب العالمية الثانية. والفيلسوف المؤرخ يتحدث بضمير المتكلم الجمع متوحداً مع الأمة ومتحدثاً بلسانها. ومع ذلك أتى الكتاب أقرب إلى النفحة البدوية منه إلى نيتشه التاريخ، وقراءة للأنا من خلال الآخر وللآخر من خلال الأنا كما فعل الطهطاوي مع فلسفة التنوير. لذلك جاءت أقسام الكتاب الداخلية وعناوينه فضفاضة شاعرية ثنائية الطابع، تعبر عن هذا الصراع بين القديم والجديد، مع مقتبسات دالة في أول كل قسم كشعارات له^(١٣٧).
ويظل السؤال: وماذا بعد هذه النفحة الأولى من ابن الثانية والعشرين وهو الآن ابن الثمانين؟ هل انتقل من الفيلسوف إلى مؤرخ الفلسفة لهجرته من البلاد، وإيثاره العلم على الوطن، فأصبح العلم بلا وطن، والوطن بلا علم.

وينتقل الفيلسوف المؤرخ منذ «نيتشه» إلى «اشبنجر»، من الغزو إلى الحضارة، في نفس عام حصوله على الماجستير عام ١٩٤١ وهو ابن الأربعة عشرين ربيعاً من أجل استخلاص الدرس منه، حتى ولو كان قاسياً على دعاة الانحلال دون تحديد هويتهم في الغرب أم في الشرق، كما لم يحدد من قبل هوية دعاة القديم عندنا، هل هم أنصار التقليد بوجه عام، أم الإخوان المسلمون، مع أنهم كانوا يلتقون مع مصر الفتاة في الإسلام الوطني في شخصية حسن البنا وفتحى رضوان. الهدف هو التخلص من وهمين: الأول: الماضى العريق والتقاليد والعودة إلى الماضى البعيد، إلى حضارة المتاحف، فلا قديم بلا جديد، والثانى: التقدم المطرد نحو غاية واحدة: المستقبل. وكلاهما وهم لا فرق بينُ بينهما، فالماضى مستقبل فات، والمستقبل ماضى أت. والدرس هو أنه لا إنسانية، بل مجموعة من الحيوانات المفترسة بلا تأثر ولا تقاليد، بل طفرة وخلق، انقسام وعزلة، ودورات مغلقة ووجود حى. ليس للتاريخ موضوع إلا الانتصار والفعل. ففي البدء كان الفعل وليس الكلمة. إلى هذا الحد يبلغ الجمع بين نيتشه واشبنجر، وكأنه يكتب لنفسه إرضاء لذاته بصرف النظر عن الجمهور^(١٣٨) ويوظف الفيلسوف المؤرخ فكرة انهيار الغرب عند اشبنجر من اجل اعلان نهاية الآخر وبداية نهضة الأنا. ويخاطب القارئ وكأنه نداء للأمة أو بيان للناس^(١٣٩). وقد استمر هذا الإحساس لدى ابن الثمانين لم يتغير، إحساس بنهاية الغرب وبداية الشرق، لذلك قدم «اشبنجر»، وترجم اشفيتسر في «فلسفة الحضارة» والتي تتعنى نهاية حضارة الغرب، دون التطرق إلى باقى الشواهد عند هوسرل وماكس شيلر وبرجسون وتوينبى وغيرهم.

وكاد هذا الحماس لاشبنجر، كالحماس لنتشه، ينسى الفيلسوف المؤرخ أصول الصنعة. فما يهمه هو المضمون وليس الشكل، الفكرة وليس المصدر أو المرجع، الاتجاه وليس الإحالات والهوامش. لذلك غابت عن الكتاب الهوامش أو أسماء الأعلام وفهارس الأماكن التي تعود عليها في تحقيقاته ومؤلفاته فى الجبهة الأولى، بل وغاب

فهرس الموضوعات، فلا تهم بنية الموضوع بل الأفكار السيالة والروح المتدفقة. فهو يتحدث عن نفسه بلسان الآخر، ومن ثم فهو يعبر ولا يدرس، يدعو ولا يحلل، مثل فشته وإقبال والأفغانى. كما تغيب المصادر والمراجع الأجنبية والعربية. بل إن الأسلوب أقرب إلى الإنشائيات العامة منه إلى التعريب أو العبارة الشارحة، العبارة الوسط بين الترجمة والتأليف، ودون فصول وأبواب كما يفعل أبناء البشر^(١٤٠). وقد تأثر معظم جيلنا بنيتشه واشبنجلر خاصة (التشكل الكاذب) من خلال المؤرخ الفيلسوف.

ويأتى «شوينهور» بعد «اشبنجلر» أيضاً بعد عام واحد (عام ١٩٤٢) وقبل الحصول على الدكتوراة فى ١٩٤٣ مع تصدير عام وإهداء حماسى إلى من أرفقهم القلق والشر فى أصل الكون وينشرون الخلاص من تعاسة الألم. والخلاص بالفن. ولا خلاص فى الحياة إلا الخلاص من الحياة. وهو اختيار فردى يختاره الفيلسوف المؤرخ كى يحيا الوجود روحياً بعمق^(١٤١) ولا يخرج الكتاب عن العرض المبسط لكتاب شوينهور الرئيسى «العالم إرادة وامتثال» فى قسمين دون أبواب وفصول. الأول العالم امتثال وفيه الخلاص بالفن. والثانى العالم إرادة، إرادة الحياة فى الوجود كخطيئة، ودون مصادر أو مراجع أو هوامش أو إحالات، بل مجرد عبارات شارحة انطباعية، عين على العبارة الأجنبية فتخرج من العين الأخرى عبارة عربية، ضد الزمان والمطلق والعقلية، ولكن الجديد هو تقريب شوينهور عن طريق أبى العلاء المعرى والخيام، كما فعل القدماء فى تلخيصاتهم عن اليونان واستبدال الأمثلة العربية بالأمثلة اليونانية من أجل تبليغ رسالة التشاؤم للقارئ العربى من الداخل وليس فقط من الخارج^(١٤٢).

ثم ينشغل الفيلسوف المؤرخ فى الجبهة الأولى تأليفاً وتحقيقاً وترجمة وإعداداً. ويعود إلى الجبهة الثانية بعد أكثر من عشرين عاماً لاستئناف خلاصة الفكر الأوروبى رجوعاً إلى الورا، ابتداء من شلينج إلى هيجل إلى كانط. وكانت النية كتابة

المثالية الألمانية في ثلاثة أجزاء: فشته، وهيجل، وشلنج، فأصبح فشته وهيجل فصلين تمهيديين لكتاب شلينج. وكان الدافع إليه هو رد الفعل على عصر طغيان الاقتصاد على الفكر، والإنسان الاقتصادي على الإنسان العاقل، والقيم المادية على القيم العقلية، والكم على الكيف، والبطون على القلوب. لذلك يقدم رواد المثالية الألمانية فشته وهيجل وشلنج كصفوة من كبار مفكرى الإنسانية والمثالية الألمانية^(١٤٣).

ثم يتحول الكتاب إلى عرض مبسط للرواد الثلاثة، بداية بحياته ثم فلسفته، وأقرب إلى العرض منه إلى التحليل^(١٤٤). ولا توجد خاتمة. وتذكر المصادر والمراجع باللغة الألمانية مع أن المؤلف قرأها بالفرنسية. وعادة ما تخلو من المراجع الإنجليزية.

وبعد ذلك بربع قرن يصدر ثلاثية هيجل «حياة هيجل» ١٩٨٠ ثم بعدها بخمسة عشر عاماً «فلسفة القانون والسياسة عند هيجل»، «فلسفة الجمال والفن» ١٩٩٦. وتأتى «حياة هيجل» دون تصدير عام، كما جرت العادة ودون تحديد للهدف. وغلب عليه تاريخ الفلسفة المدرسى والكتاب الجامعى المقرر، وهو تكرار للفصل الثانى فى كتاب «شلنج». وتخلو من الهوامش والإحالات وبثغيب دلالة المادة كما تغيب المقارنات مع مسار الفكر الأوروبى، من أجل بيان وحدة المشروع وتحقيقه على مراحل. قد يكون السبب فى ذلك غياب الأستاذ عن الوطن فجاء العلم بلا وطن، وأصبح الوطن يتساءل عن العالم أين هو، ولو لتكريمه والاعتراف بفضله، فالوطن لا ينكر الجميل وإن أنكره المواطن^(١٤٥).

وجاءت «فلسفة القانون والسياسة عند هيجل» على نفس المنوال، دون استهلال أو تصدير أو مدخل يضعه فى صلب المشروع، باستثناء تنبيه واحد لمعنى بريطانيا العظمى عند القارئ العربى^(١٤٦). ولا توجد محاولة للتعريب إلا فى الفصل الأول عن المصطلحات العربية لألفاظ الحق والقانون والواجب ومترادفاتها فى اللغات الأجنبية. ولا توجد مقارنات مع أى فلسفة عربية قديمة أو حديثة. ويتتبع نفس القسمة الثلاثية لفلسفة الحق: القانون المجرى (الملكية والعقد والظلم) والأخلاق النظرية

(القصد، أو المسؤولية، النية أو السعادة، الخير أو الضمير) والحياة الأخلاقية (الأسرة والمجتمع المدني والدولة)، والعبارة الشارحة أكثر من الترجمة وأقل من الإبداع. وتخلو أيضاً من الهوامش والإحالات باستثناء الإحالات إلى كتبه^(١٤٧).

وفى الثالث «فلسفة الجمال والفن عند هيجل» يغيب التصدير العام أو الاستهلال الذى يضعه كحلقة فى إطار المشروع كله ودون فصول تمهيدية توضح نشأة الكتاب فى حياة المؤلف، باستثناء هامش واحد عن الفرق بين خصائص الشعر الأوروبى والشعر العربى. وهناك تصدير عام به معلومات عن الموضوع وليس الإطار العام للمشروع. بل يتضمن التصدير العام معلومات عن باو مجارتن مؤسس علم الجمال وفنكلمان وأفلاطون وأرسطو وكانط وشلنج ونيجل، وأهمية نص هيجل عن علم الجمال وأثره. ولا توجد إحالات إلى حضارات أخرى^(١٤٨) ويقتصر الأمر على مجرد عرض على طريق العبارة الشارحة، ويبرر المؤلف استعمال هذا المنهج - وهو العبارة الشارحة - بأنه لاستيعاب النص تبعاً لمدرسة مصطفى عبد الرازق، ونظراً لسهولة، نظراً لأنه محاضرات تتحدث عن أمور حسية عينيه، وتميل إلى كثير من الشواهد والقرائن، وهى الأعمال الفنية، وتغيب الهوامش والإحالات والمراجع، باستثناء التصدير العام الذى يذكر بعض المراجع الألمانية والفرنسية فى آخره وليس فى آخر الكتاب وبعض الهوامش. وتتضمن التعريف ببعض المصطلحات مثل Sarecens وتشير إلى المسلمين فى البلاد العربية السعيدة، خاصة اليمن، وبعض التعريفات للألفاظ وبعض الإحالات معظمها إلى ترجمات الفيلسوف المؤرخ السابقة خاصة فى الأدب الألمانى^(١٤٩). وتنتهى ثلاثية هيجل دون التعرض لمؤلفات الشباب، التى منها نشأ المذهب، أو لظارهيآت الروح، أو لعلم المنطق، أو الموسوعة الفلسفية، أو فلسفة التاريخ، أو فلسفة الدين، أو حتى لأثره على العالم العربى، أو ترجماته السابقة إلى العربية.

وبعد ثلاثية هيجل تأتي رباعية كانط عوداً من اللاحق الى السابق، فى مسار ارتدادى نحو المنابع والأصول. الأول منها «امانويل كانط» وهو يعادل «حياة هيجل» ولكنه هذه المرة يشمل حياته ومؤلفاته بالإضافة إلى فلسفته. وبدلاً من التصدير يأتى تنبيه يحدد إطار هذه الرباعية الجديدة، وهو إطار تاريخى خالص يتحول فيه الفيلسوف المؤرخ إلى مؤرخ للفلسفة، بعيداً عن المشروع الفلسفى النهضوى الذى بدأ فى تصديراته السابقة للجبهتين الأولى والثانية. فكانط هو أرسطو العصر الحديث، وكلاهما قمتان للفكر الفلسفى، ويتحول مؤرخ الفلسفة إلى مؤرخ كفى لا كفى. فإذا كان قد أصدر خمسة عشر كتاباً عن أرسطو فلا أقل من إصدار أربعة كتب عن كانط (١٥٠)

وهو مجرد عرض لنقد العقل الخالص، قسماً قسماً، وفقرة فقرة، الحساسىة والتحليلات (التصورات، المبادئ، الجدول، المنهج) فى الباب الأول الذى يصف تطور نظرية المعرفة من ليينتز حتى كانط ثم مراحل كانط الثلاثة، ما قبل النقدية، والنقدية، وهى التى يعرض فيها لنقد العقل الخالص. ولا يتحدث عن ما بعد النقدية التى تشمل فلسفة القانون والسياسة، وفلسفة التربية والدين. ولا يوجد باب ثان لأنه تحول إلى جزء ثان عن الأخلاق لعرض «نقد العقل العملى». والمادة معروفة ومتوافرة، مجرد عرض دون وجهة نظر أو قراءة أو موقف، كما سيحدث فى جيل تال، تسهياً للمعلومات وتوفيرها، والثقافة الفلسفية وإرسائها. ويخلو من المقارنات. ولا توجد إحالات إلى الجبهة الأولى. إلا مرة واحدة، إن الرسول كان يمزح ولا يقول إلا حقاً. إلا أنه وربما فى تقديم حياة كانط يوجد بعض الحوار الفكرى من أجل القضاء على أسطورة شاعت عنه: العقل البارد، العزوبية، العزلة، المعادة للمرأة، البخل، الجفاف العاطفى، البعد عن السياسة. ويظل السؤال: هل كانط أم هيجل هو أرسطو المحدثين: أليس كانط أقرب إلى أفلاطون منه إلى أرسطو؟

والثانى «الأخلاق عند كانط» يخلو من أى تصدير أو استهلال أو مقدمة ليضعه فى إطار المشروع العام ويبين الهدف والغاية منه^(١٥١). بل يتحول إلى تأليف مدرسى ومقرر جامعى صرف. يبدأ بمشكلة الميتافيزيقا. من الأخلاق الشعبية إلى ميتافيزيقا

الأخلاق . ثم يعرض مذهب كانط الخلقى، الإرادة الخيرة، الواجب، ثم الانتقال من ميتافيزيقا الأخلاق إلى نقد العقل العملى، بتحليلاته وجدله ومنهجياته. وهو مجرد عرض لكتابى كانط «أسس ميتافيزيقا الأخلاق» و«نقد العقل العملى»^(١٥٢) ويخلو من أى إشارات للجبهة الأولى ودون مراجع أو فهارس، مع الاعتماد على الترجمات الفرنسية.

والثالث «فلسفة القانون والسياسة»^(١٥٣) وقد كتب بنفس الطريقة، التحول من المشروع الفلسفى النهضوى إلى المشروع الفلسفى التاريخى الخالص. فالكتاب يخلو أيضا من تصدير أو استهلال أو مقدمة لوضعه فى المشروع الكلى . ويقتصر على عرض فلسفة القانون الدولى والسياسة، اعتماداً على «مشروع السلام الدائم»، «النزاع بين الكليات الجامعية» . ثم يقم فلسفة التاريخ من المقالات التى نشرت بعد وفاة كانط، وفلسفة الجمال، تحليل السامى والفن اعتماداً على «نقدملة الحكم». ويميل إلى كتاب «نظرية القانون» لكانط فى ترجمته الفرنسية . ويخلو من الفهارس وقائمة المؤلفات التى عُرف بها الفيلسوف المؤرخ فى كل كتاب . ولاتوجد إحالات إلى الجبهة الأولى إلا فى هامش واحد حول زواج المتعة وكيف أنه كان معروفاً عند شعوب أخرى قبل الإسلام.^(١٥٤)

ويصبح المشروع الفلسفى التاريخى مشروعاً للعلوم الفلسفية مثل: الفلسفة العامة، وعلم الأخلاق، والمنطق الصورى والرياضى، ومناهج البحث العلمى. فقد كتب الفيلسوف «مدخل جديد إلى تاريخ الفلسفة» من أجل بيان حقيقتها وحدودها ومنهجها وغايتها، كما يتصورها الفلاسفة الغربيون ، والتأكيد على أهميتها فى الثقافة الإنسانية وإدراك معنى الحياة وسر الوجود . ثم يبين المشكلات الثلاث الرئيسية فيها : الوجود، والمعرفة، والإلهيات، دون تفسير لماذا استبدل بلفظ (القيم) لفظ (الإلهيات) وإدخال الدين والبراهين على وجود الله، بدلا من الأخلاق التى تضم مباحث: الحق والخير والجمال، وربما الدين أو المقدس . ويركز على آراء المعاصرين لبيان منزلة الفلسفة فى الفكر الإنسانى مما يشجع الناس على معرفتها والتفكير فى مسائلها ونهج نهجها، دون ربط ذلك بأزمة الفكر أو مشروع النهضة^(١٥٥)

وينتهى المدخل بفلسفة لبعض العلوم الجزئية، وهو أكبر الأقسام، ويختار اللغة والتاريخ دون غيرهما من العلوم . وتظهر الثقافة العربية فى اللغة وحدها وكأنها ثقافة لغة ليست لها مواقف فى المعرفة والوجود والإلهيات والتاريخ^(١٥٦)

والهدف من «الأخلاق النظرية» هو البقاء على مستوى النظر دون العمل الذى عادة ما ينزلق إلى مستوى الوعظ والإرشاد، ومن أجل إدراك عمق المعانى الأخلاقية وتأملها فى سلوك الإنسان^(١٥٧) فالغاية هنا نظرية وليست عملية، فردية وليست اجتماعية، أخلاقية وليست نهضوية تاريخية. ثم يتحول الكتاب إلى كتاب مدرسى محض، وجامعى مقرر عن معنى الأخلاقى والمدارس الخلقية، والمعانى الرئيسية فى الأخلاق: مثل الضمير، والقيمة، والواجب، والفضيلة، والمسئولية، والحياة الخلقية^(١٥٨). والكتاب يخلو من المراجع والفهارس . ومع ذلك يحاول تعريب المادة، إما عن طريق بيان الأصل الفارسى لكلمة الأئين التى اشتقها ليفى بريل، أو عن طريق الإحالات إلى الثقافة العربية لإضافة مزيد من التحليل للعقل والإنسان والتواضع والسخاء^(١٥٩).

والهدف من «المنطق الصورى والرياضى» هو مجرد العرض الشامل عبر العصور، أقرب إلى تاريخ المنطق منه إلى علم المنطق، مع مجرد تعليقات جزئية دون أخذ موقف شامل أصيل . فالمؤلف يعترف بأنه حامل بضاعة ليس صاحبها، لم يشأ أن يدخل فى الحسابان فلسفته الخاصة التى أعلن عنها فى «الزمان الوجودى» لأن المنطق الذى يمكن أن ينبثق عنها مازال فى طور التكوين . والحقيقة أن السبب الأسمى هو صعوبة أخذ مواقف وجودية من المنطق نظراً لطابعه الصورى والرياضى. كما أن المشروع الهضوى للفيلسوف الوجودى بدأ فى الانحسار والانكماش لصالح المشروع الفلسفى التاريخى^(١٦٠) ويبلغ حجم المنطق الصورى أربعة أضعاف المنطق الرياضى فماذا المنطق الصورى متوافرة عند أرسطو، المقدمات والأحكام والقياس، فى حين أن المنطق الرياضى يتطلب معرفة دقيقة بالرياضيات لم تتح للفيلسوف الرومانسى، ولكنه يحاول تعريب المنطق واللجوء إلى

المنطق العربي من أجل زيادة المادة أكثر من تنويعها، ومرة واحدة يتم إحصاء المراجع الأجنبية عن المنطق لإبراز كم العلم والمعرفة (١٦١)

وعلى نفس المنوال يأتي «مناهج البحث العلمي» من أجل توجيه البحث العلمي الذي لم يثمر بعد في العالم العربي . وهي غاية عامة تتوارى في الكتاب لصالح المادة العلمية التقليدية المدرسية الجامعية، وقسمة العلوم إلى رياضية وتجريبية وتاريخية، والمناهج إلى استدلالية وتجريبية واستقرائية أي تاريخية ونقد الروايات . ويضطرب التقسيم، فالمنهج الاستدلالي في الفصل الأول دون الفصول التالية. وله عنوانان مرة فرعى، وفي النهاية يضيف المنهج في علم الاجتماع بلا تبرير أو أساس معقول. ويعتمد على التراث الغربي وحده دون ابتكار أو رأى أو نقد أو موقف، وكأنه لا توجد إسهامات للمسلمين في الموضوع وقد عرفوا بالمنهج التجريبي وبالمنهج النقدي في علم الحديث (١٦٢) .

وقد ساندت المشروع الفلسفي التاريخي عدة ترجمات لنصوص أصلية معاصرة مثل «الوجود والعدم» لجان بول سارتر، دون مقدمة أو تصدير أو استهلال لوضع النص في إطار المشروع كله، خاصة إذا كان النص صعب الأسلوب وإذا كان اتجاهه غير ما اختاره الفيلسوف المؤرخ في بداية حياته نبراساً له وهو هيدجر. ولا توجد هوامش شارحة إلا فيما ندر مثل الأبوخية، والأنا وحدي، أو التعريف بالأماكن والأشخاص أو التذكير بحكاية ردها ديرو أو المقارنة مع الثلاثة أخوة في الرواية المشهورة بين أبي علي الجبائي والأشعري (١٦٣) . كما ترجم «فلسفة الحضارة» لألبير شفيتر دون مقدمة ولا فهرس (١٦٤) . وهو كتاب عن انهيار الحضارة الغربية فيه من روح اشبنجلر وربما يكون هذا هو الدافع لاختياره الجزء الأول من الكتاب عن انحلال الحضارة وإعادة بنائها، ويشمل مسئولية الفلسفة عن انهيار الحضارة ، وعوائق الحضارة في حياتنا الروحية والاقتصادية، والحضارة طابعها الجوهري أخلاقي، والطريق إلى إعادة بناء الحضارة، والحضارة والنظرة إلى العالم. والجزء الثاني عن الحضارة والأخلاق يشخص أزمة الحضارة في الأزمة الروحية، ويؤرخ

للنظرة الكونية المتفائلة عبر التاريخ الأدبي، منذ اليونان حتى العصر الحديث، وعن أسس الأخلاق عبر العصور مع إبراز دور شبنجلر وجوته وشليرماخر وهيجل وشوبنهاور ونيتشه وهم أبطال الفيلسوف المترجم ونماذجه .

وتتحدث الفصول الأخيرة عن طريق الخلاص: التفاؤل وإرادة الحياة وتكميل الذات وتوفير الحياة والطاقت الحضارية، وهي نفس المفاهيم التي أسس عليها الفيلسوف المبدع اختياراته الفلسفية الأولى منذ عهد الشباب في بواكير مشروعه الفلسفي النهضوى .

ولكن يضيف الفيلسوف المترجم عدة تعليقات في الهوامش نظراً لأن تاريخ تأليف الكتاب كان عام ١٩٢٣ وقد تجاوزته الأحداث خاصة قبل إلقاء القنبلة الذرية على اليابان في نهاية الحرب العالمية الثانية. تقتصر التعليقات على تحديث الوقائع وتعريف بعض المصطلحات والألفاظ المترجمة وتخريج المؤلفين مثل برجسون وسبنسر وتحديد العصور، ولكنه لا يقارن مع الحضارة الإسلامية في أى موضوع مشابه أو مخالف .

ولمساعدة المشروع الفلسفي التاريخي ترجم الفيلسوف المترجم كتاب بنروبي «مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا» دون تصدير أو استهلال أو تنبيه يبين الغرض من الترجمة، وكأن الغاية مجرد عرض الثقافة الفرنسية الفلسفية في مصر . ولا توجد مراجعة لقسم التيارات الفلسفية إلى ثلاث تيارات: **الأول**: الوضعية التجريبية ذات النزعات العلمية، مع الوضعية الوطنية والكاثوليكية، مع التيار النفسى والتيار الاجتماعى، **والثانى**: المثالية النقدية والمعرفية التى تضمن نقد العلم، والنزعة العقلية النقدية، **والثالث**: الوضعية الميتافيزيقية الروحية^(١٦٥).

ولمساعدة دراساته الفلسفية الأربعة فى العلوم الإنسانية: الفلسفة، والأخلاق، والمنطق، ومناهج البحث، فإنه قام بترجمة «النقد التاريخى» للمؤرخين الفرنسيين لا نجلوا دسينيويوس بعنوان «المدخل إلى الدراسات التاريخية» وكان الباعث هو أن النقد التاريخى ومنهج التاريخ لم ينفذ بعد النفاذ الكافى فى الدراسات العربية، مما جعلها فقيرة، سواغى تحقيق النصوص أو فى دراسة التاريخ^(١٦٦). ثم يضيف إليه

نصوصاً أخرى مثل: «نقد النص» لبول ماس، «التاريخ العام» لكانط، مع ملاحق أيضاً مترجمة مثل «نظرة فى التاريخ العام بالمعنى العالمى» لكانط، «من مقال فى المنهج» لديكارت، «خطبة فى التاريخ» لبول فاليرى . وهى نصوص خارج الموضوع، ربما الغرض منها زيادة حجم الكتاب واستعماله مقررأ جامعياً فى مادة «فلسفة التاريخ» أو لسد فراغ فى الثقافة العربية. ولا يعرب المادة، بالرغم من وجود عديد من الدراسات التاريخية والنقد التاريخى فى الحضارة الإسلامية، ولكنه يضيف تعريفاً بالمؤلفين وبأهمية نصوصهم .

وربما تدخل سلسلة «الروائع المائة» - التى لم تكتمل كلها بعد - فى هذا الإطار المساند للمشروع الفلسفى التاريخى عن طريق الترجمة . ولما كان لا يوجد فرق بين الفلسفة والأدب فقد غلب عليها جميعاً. ولما كان الفيلسوف المترجم من أنصار الرومانسية الألمانية فى الفكر والأدب فكانت معظم الاختيارات من الأدب الرومانسى الألمانى . ولما كان من المعجبين بالألمان، فقد غلبت المؤلفات الألمانية على الأسبانية ثم الفرنسية .

فمن الأدب الألمانى تأتى أربعة أعمال لجوته «الأنساب المختارة»، و«الديوان الشرقى للمؤلف الغربى»، «جوتس فون برلشنجن» «فاوست». وبالرغم من أن أن الدافع إلى ترجمة «الأنساب المختارة» هو الدرس المستفاد منها، الزهد والعزوف والاستشهاد، للخلاص من المآزق الوجودية، إلا أن الموضوع نفسه قد يكون هو الباعث للاشعورى^(١٦٧) فالعنوان يدل على جيولوجيا الوراثة، على طريقة أفلاطون فى «الجمهورية» مما يدل على نزعة نخبوية لم ترق بعد إلى مستوى التفوق العنصرى . ولكن المترجم لا يكشف عن هذا الدافع للاشعورى، ويشرح القصة ويفسرها على نحو فنى متجاوزا التفسير الطبيعى والأخلاقى، باستثناء إبراز موضوع المصير بالمعنى اليونانى، وهو من الأفكار الرومانسية تعبيرأ عن فورة الحياة وقدر الإنسان. ويمدح الفيلسوف المترجم الناشر لسعة اطلاعه، ويقارنه بحال النشر فى العالم العربى فى عصره الزاهر . وربما يقصد منذ القرن الماضى، وإنشاء المطبعة الأميرية فلم يكن هناك نشر فى الحضارة العربية الإسلامية فى عصرها الأول^(١٦٨)

وتعتبر ترجمة «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي» نموذجاً دالاً للروائع المائة .
فبالرغم من أنه لا يوجد تصدير أو استهلال أو تنبيه يبين الباعث على الترجمة
ووضعها داخل المشروع الفلسفي النهضوى العام، إلا أن الموضوع نفسه يكفى
اجتماع الشرق والغرب فى الرومانسية، أو اجتماع فارس ممثلاً للشرق وألمانيا ممثلاً
للغرب فى حكمة إنسانية واحدة . فقد اكتشف هيجل الشاعر الرومانسى رومانسية
الشرق كما اكتشف شليجل وشلنجر الشهرنامه للفردوسى ، وكما أعجب شاتوبريان
بعبقرية المسيحية، وكما قام لامارتين برحلة الشرق، وكما كتب فكتور هوجو
المشريقيات . أعجب جوته بحافظ . وهجرت روحه من الغرب إلى الشرق موطن الدين
والتصوف . فلا فرق - فى هذه الحالة - بين جوته والفيلسوف المترجم، كلاهما يمثل
اللقاء بين الشرق والغرب، كما فعل جوته نفسه فى الجزء النثرى وشرح القصائد
داخل الديوان . كلاهما مستشرق ومستغرب فى أن واحد . ويظهر إبداع الفيلسوف
المترجم صاحب الترجمة الشرقية للشاعر الغربى فى ترجمة قصائد جوته فى بعض
منها شعراً إلى العربية . وهو صاحب ديوانين من الشعر «مرآة نفسى» و«نشيد
الغريب» فى مبتكراته.

ومشكلة خلق القرآن يقرضها شعراً، يحول كتب الاستشراق والتاريخ إلى شعر،
أى يحول الماضى المتمنى إلى تجارب حية فى الحاضر، فيصبح الشعر أكثر دلالة من
التاريخ، وفى الوقت الذى كان فيه الاستشراق تاريخاً وعنصرية حوله جوته إلى
تجربة صوفية روحية إنسانية يظهر فى أشعار جوته صدى الاعتزال، ولكن الصدى
الأكثر للتصوف الإسلامى . فهو - مثل إقبال - يحول آيات القرآن والأحاديث النبوية
إلى شعر^(١٦٩) ويذكر جوته فى جزئه النثرى الشارح محمد والخلفاء و العرب ومحمود
الغزنوى وفردوسى وحافظ والرومى وسعدى وأنورى ونظامى وعمر بن عبد العزيز
وقصص الأنبياء مثل يوسف وزليخا^(١٧٠) وواضح عضم حضور زليخا رمزاً للعشق
والحياة . وربما يأتى جيل آخر لكتابة «الديوان الغربى للشاعر الشرقى» على مستوى
الفكر مثل «مقدمة فى علم الاستغراب».

وبالرغم من أنه لا يوجد تصريح بالهدف من ترجمة مسرحية جيته «جيتس فون

برلشنجن» إلا أن بطلها يدافع عن المستضعفين وهو لص شريف يقطع الطريق ويفرض الأتاوات ، وهو صورة رومانسية للبطل الشعبي. ومقدمة الفيلسوف المترجم تقتصر على تقديم شخصيات المسرحية وشرح أسماء الأعلام والمصطلحات وذكر المراجع، اعتماداً على شرح فنتشر، شارح مؤلفات جيته^(١٧١).

وتتجلى البطولة الإنسانية كلها ممثلة في الرغبة في المعرفة، في ترجمة مسرحية (فاوست) في ثلاثة أجزاء، ويضم الجزء الأول كله مقدمة المترجم^(١٧٢) ويظهر فيها التقابل المعروف منذ إخوان الصفا بين العالم الأصغر والعالم الأكبر، والصراع بين العلم والدين، بين الإنسان والله، بين الحرية والطغيان . فجوته فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة، مثل الفيلسوف المترجم . بها بعض الهوامش الشارحة، لكن ترجمتها نثراً أفقدتها ذوقها الشعري .

وبعد جوته يأتى برشت، وترجمة عدد من مسرحياته: «الأم شجاعة وأولادها»، «الإنسان الطيب فى ستسوان» دون تصدير يضع الترجمة ضمن الإطار العام للمشروع كله، إذ تقتصر المقدمة على لوحة حياته وعرض مسرحية «الأم شجاعة» والتي تدور أثناء حرب الثلاثين عاماً بين البروتستانت والكاثوليك. والشخصية المحورية أم فقدت أولادها الثلاثة فى الحرب ، وهى بائعة طعام متجولة اعتمدت على نفسها فى البقاء . والثانية «الإنسان الطيب» تدور أحداثها فى الصين . والشخصية الرئيسية فيها الخير والشر، والتفاؤل والتشاؤم - وهى موزاعاك قريبة من الفيلسوف المترجم - البطولة، والصراع بين الخير والشر، كما صوره الأدب الرومانسى، لافرق فى ذلك بين أديب برجوازي مثل جوته، وأديب اشتراكي مثل برشت^(١٧٣).

ومع الأدب الألماني يأتى دور الأدب الأسباني فى رائعته «دون كيخوته» لثريانتس، وواضح أن هدف الفيلسوف المترجم هو إعطاء نماذج من أدب البطولة المعروف فى الغرب مثل الإلياذة، والقداسة فى «الكوميديا الإلهية»، والإنسانية فى «فاوست»، والتهكم فى «دون كيخوته»، التهكم على البطولة الزائفة، هدفها تحطيم الزيف والسخرية من الفروسية لافتقارها إلى الحقيقة التاريخية، ومناهضة الكلاسيكية. وقد

كانت كتب الفروسية شائعة في ذلك الوقت، يقرؤها كل الناس ، يشجعها الأمراء ويمتكرها العقلاء. هاجم البلديات والأديرة ومحاكم التفتيش وأدعياء الشجاعة والحكمة والتقوى. وهاجم النقابات والقضاء والكتاب والشعراء ورجال الدين والنبلاء في عصره كما فعل موليير في مسرحه وسيرانو عند إدموند روستان . وهو مثالي النزعة توحد معه الفيلسوف المترجم كما توحد مع باقي أبطال أعماله المترجمة، وأبطال الأدب برومثيروس وهاملت، البطولة الحقيقية ضد البطولة المزيفة. وربما كان الفيلسوف المترجم هو دون كيخونة مصر و العرب، إذ يرفض في التصدير العام النجاح الوضيع في واقع الحياة الذي يرمزله سنشو بانثا، وطوبى للنجاح البطولي لدون كيخوته فأيهما أبقى في التاريخ: نجاح البدن أم نجاح الروح؟^(١٧٤) وفيه أيضاً التقاد الثقافتين العربية والغربية . فقد أسر المؤلف في الجزائر خمس سنوات وتعلم العربية، وللرواية بعض مصادرها العربية «سیدی حامد بن الأبل» وبها شخصية المتحلق العربي «المنتشاي» وقد استطاع الفيلسوف المترجم ترجمة الشعر الأسباني إلى شعر عربي، مع استعمال بعض الآيات القرآنية مثل «كل من عليها فان» وإضافة بعض الهوامش للتعريف بالأعلام .

وفي نفس الموضوع تحت ترجمة «حياة لثريودي نورمس»^(١٧٥) لمؤلف مجهول أسباني وذات أصول عربية، وهي حكاية شعبية أوردها الأبشيهي في «المستطرف» من خلال «المحاسن والمساوي» للبيهقي، و«الأغانى» للأصفهاني، و«حدائق الأزاهر» لابن عاصم، بأسلوب المقامات عند الهمذاني والحريري، وقد كانا معروفين في الأندلس، وهي نموذج آخر للقصة الصعلوكية وما تمثله من واقعية ودلالة حضارية على نقد الكنيسة وتحريم تناول الكتب، ويتضمن التصدير العام المعلومات الاستشراقية الضرورية حول النص، والترجمة ، وطبعاته، مع بعض الهوامش والمراجع^(١٧٦).

سابعاً: المشروع الفلسفى الإبداعى (الواقع)

وهو الجانب الأهم فى حياة الفيلسوف الشامل، والأضعف كما وكيفاً. وهو الجانب الأول زمانياً فى حياة الفيلسوف وهو مازال فى العشرينات. لكنه لم يستمر، واتجه إلى التاريخ على حساب الفلسفة، وإلى الكم على حساب الكيف، بصرف النظر عن الأسباب الخارجية والدوافع الذاتية على هذا التحول الذى جعل صورة الفيلسوف الشامل - المحقق، والباحث، والمؤرخ، والمترجم، والمعد - أكثر من الفيلسوف المبدع. وكان لديه إحساس بأن الإبداع جزء من نشاطه. وأفرد له قسماً خاصاً بعنوان «مبتكرات» بجوار «دراسات أوروبية»، «خلاصة الفكر الأوروبى» «دراسات إسلامية»، «ترجمات الروائع المائة». وقد كانت النية صادقة، فقد تم الإعلان عن تسعة مبتكرات بين الشعر والقصة واليوميات والتأملات والفلسفة ولم يصدر إلا أربع منها^(١٧٧). ويتبع الفيلسوف المبدع فى «هموم الشباب» الأسلوب المستعار، والتباعد بين المؤلف الشاب وصاحب الهم، وهو نموذج لهذا الجيل الشاك المتوثب نحو المجد الباحث عن البطولة. وإن رأوا فيه الغموض والإسراف فى القلق والقسوة، فليبقوا على صفائهم وبراعتهم، بشرط ألا ينسوا وضع باقة من الورود على قبر الشهيد^(١٧٨) أما الإهداء فإنه أيضاً مجهول الجهة باسمها ولكن معلوم بوصفها، وهى الأفعى الرهيبة التى أوقعت الشاب فى الخطيئة فأخرجته من برجه العاجى وهو أعزل، وأنزلته إلى قاع الحياة فغاص فيها وهو لا يحسن السباحة، ويطلب من الله لها الغفران، ويوقع باسم: شهيد الشباب^(١٧٩). والسؤال هل هذا حقيقة أم خيال؟ ألا يتشبه بأوغسطين والخيام ورابعة العدوية؟. وإن كان حقيقة فمن هذه الأفعى الرهيبة؟. وهل هذه التجربة الأولى هى التى منعت من الزواج؟. وأين الآن هذا الشاب الشهيد ولماذا تحول إلى صانع كتب؟.

وهوموم الشباب هى يوميات موزعة على أقسام: الأول بلا عنوان، والثانى أيضاً بلا عنوان، ولكنه يحتوى على عناوين فرعية مثل «اعترافات ساقطة» و«يوميات إحدى بنات الهوى» والأقسام الأربعة التالية بلا عنوان. فهو أقرب إلى حديث النفس، فى

محاولة لتأسيس أدب فلسفى عن طريق اليوميات كما فعل جابرييل مارسيل فى «اليوميات الميتافيزيقية». تعبر عن حياة مثقف بين الكتب، وتضع التقابل بن الأنا الفردى والآخر الاجتماعى. ويستعمل ضمير المتكلم المفرد: قلت لنفسى. يغيب عنه الحوار باستثناء حوار قصير مع النفس.

وهو أقرب إلى تحليل الشعور الإنسانى الوجودى بالخطيئة والخلاص، ليس فقط على المستوى الدينى، بل أيضاً على المستوى الاجتماعى والسياسى. وكما هو الحال فى الأدب الوجودى الذى يجتمع فيه الدين بالجنس بالسياسة. وهى المحرمات الثلاثة فى الثقافة العربية المعاصرة، والبواعث الأوروبية على الفكر والإبداع. فهو مناجاة للمسيح، وإدانة للخطيئة، إدانة بنات الهوى، مع أن المسيح سامح مارية المجدلية «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر». والحرية الجنسية جزء من الأدب الوجودى، كما هو الحال عند جان جينيه وجان بول سارتر وسيمون دى بوفوار. يحاور الشاب إحدى بنات الهوى لرؤيتها وليس لمعاشرتها، كما فعل سارتر فى «طفولة رئيس» مما قد يوحي بأن الشاب مقلد للأدب الوجودى وهو فى بداية الطريق. وفى نفس الوقت يتمرد على الدين ويسخر من ابن الإله ومخلص البشر، فيما يعتقد المسيحيون، وينقد الوثنية التى لم تتغير ويدعو إلى إصلاح أعياد الميلاد. ويبرر المتدينون كل شر على الأرض مثل الإحباط الذى أصاب الشباب الأوروبى بأنه عقاب إلهى، وكفارة كبرى. وما أبعد الدين عن الحياة، فرؤية الأرامل تطرد الإيمان من كل قلب.

ويظهر الأدب المكشوف كما هو الحال فى الأدب الوجودى. فيصف النهدين. ويرسم صورة المومس الفاضلة كما فعل سارتر. وتصاب المرأة بالسعال من شدة الفقر والسهر والبرد، كما هو الحال فى غادة الكاميليا، وكما فعل أيضاً محمد حسين هيكل فى «زينب» ضحية للحب الطاهر.

وتظهر السياسة فى الحديث عن الوطن، مصر والعرب، ومقارنته بالغرب. فيقارن بين الاستعمار الحالى والحروب الصليبية واستعذاب لذة الجهاد، وتشبيهه بدر ولسن بأنه موسى العصر، وتعريف الاستعمار بأنه اقتلاع الشعوب الكبرى للشعوب الصغرى باسم حماية المواصلات، وتربية الدول الصغيرة والوصاية على الشعوب

القاصرة، ومناطق النفوذ، وصيانة التجارة والتوازن الدولي، وينقد الجرب مثل فولتير، والرقص ممنوع بأمر البرجوازي المحافظ.

وتظهر الثقافة العربية الإسلامية في اليوميات، خاصة التشبيهات المستمدة من القرآن الكريم، وما أكثرها، مثل: «كواعب أتراباً» لوصف ثلاث فتيات، فكر عقلى وقدر، «فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر». فتذبذب وتحير ذلك هو العذاب الأكبر. «فهل من مدكر»، «عسى أن يهدينى ربى من أمرى رشداً»، «نفسى لأمارة بالسوء»، «لا شرقية ولا غربية»، «لا جناح على»، «فصبر جميل». «فؤاد أم موسى». وكما تظهر بعض التعبيرات الدينية مثل: وأيم الله، إن شاء الله، على بركة الله، أمرك والله، استغفر الله، قاتلهم الله، رحمها الله، أناشدكم الله، أو يا إلهي.

كما تظهر البيئة الدينية ومصطلحاتها مثل: التصوف، التوحد الأكبر، المطعم بلدى فى حى إسلامى، الروح الشرقية والطور والبخور، مددكم يا آل البيت، إتقان العربية لطول إقامته فى الشرق العربى، واستعمال بعض الأمثال العربية، وفجأة يظهر طريق الهرم ومينا هوس العربى الفرعونى. كما يترجم أشعار كارمن شعراً عربياً. فالشباب شاعر كذلك^(١٨٠).

وتظهر هموم الفكر والوطن فى التقابل بين الأنا والآخر. وبالرغم من أن المكان لا يهم فى رأى الشباب الشهيد، باريس أو أسبانيا، ولا توجد ذكرى للوطن، كما كتب هيكلم «زينب» فى سويسرا، إلا أن الوطن حاضر فى التقابل بين الشباب المصرى العربى والشباب الأوروبى، وبين الجو العربى الشرقى، والجو الغربى الأوروبى، فبنات الهوى يعشن فى جو البارات الأوروبى. ويقارن الشباب الشهيد بين المصرى والشرقى عامة، وبين الأجنبى فى السكر، أى على قاعدة الآخر. ويصف طبائع الشعوب، الأستراليين والأترك فى المراقص. لقد تحول الشباب الأوروبى من الطموح إلى الإحباط. أما الشباب العربى فقد كان أسوأ حالا. فلم يشارك أبأوه فى الحرب، فلم يحظوا بنشوة النصر. وللأوروبى أمل بعد الحرب، ونحن بلا أمل. وتراث الغرب جديد للحرية، وتراثنا عتيق، أشلاء صامتة باعدت بينه وبين نفوسنا آلاف السنين.

الشباب المصرى فى حالة من العدم للروح ومنجذب نحو الغرب. ترك الثورة الفرنسية للشيوخ وكذلك تحرير المرأة والسياسة، وكأن الشاب الشهيد يدعوهم إلى أخذ مصيرهم بأيديهم. فى الأدب والفن والدين تياران، الأول إلى الماضى، والثانى إلى المستقبل.

وجيل الشباب لا يقبل التوسط بل يدعو إلى الأطراف، القنوط أو الثورة. القتال فى الصحراء الغربية إهانة لكرامتنا. ويعترف الشاب بأنه زوى للناس قصة أسطورة أندين لفوكيه لهدف بعينه. وتنتهى اليوميات من الراوى إلى القارئ، وزيارة إلى سجن المستشفى لصديق بتهمة قلب نظام العالم القديم ولحماسه لنيثشه، يظهر الواقع بلا فلسفة، إلا فى أقل القليل، فى الإشارة إلى تداخل الحرية والضرورة فى الفعل الإنسانى كما هو الحال عند هيجل.

و«الحدور والنور» خطابات متبادلة مع سلوى من نفس النوع الإبداعى فى الأدب الوجودى. مهدى إلى سلوى، ابتهاج واعتراف، سواء كانت شخصية حقيقية أم من صنع الخيال. يعبر عن غربة الروح مثل التوحيدى، غربته فى وطنه، وغربته فى العالم. وبه تقابل الأحوال، كما هو الحال عند الصوفية بين الوثنية والتوحيد. فهو وثنى فى توحيده، وموحد فى وثنيته. توحيده حرية الخالق بإزاء المخلوق، وتوحيد غيره عبودية المخلوق للمخلوق، وعلى التبادل^(١٨٨)، فالتوحيد إعلان للحرية وليس للعبودية، وثنيته تقوم على اللمس وليس على البصر، على الجسد وليس على الروح. وحياته ليست لشراء الوهم. والمكان ذكريات باريس وسويسرا وأسبانيا (طليطلة) ولبنان ودمشق، حيث أثار لا مارتين وجبران خليل جبران، وموكب الأجداد والفن فى طليطلة. بل إنه يزور المقابر كما فعل كير كجارد، بين رينان وغادة الكاميليا. ويستعمل آية قرآنية «**الهاكم التكاثر حتى زوتم المقابر**» مما يدل على البواعث الإسلامية عنده فى مطلع الشباب، التى ستجعله أكبر محقق للترجمات العربية القديمة، وللترجمة عن المستشرقين، ومن كبار الدارسين للتراث الإسلامى ويثنى على أستاذه ماسنيون وحبه للشرق الإسلامى. ولا توجد ذكرى للوطن أو صورة، له كما فعل الطهطاوى فى «تخليص الإبريز» إلا أن سلوى الحبيبة مصرية وليست أوروبية.

ويمثل «الزمان الوجودي» الإبداع الفلسفي في مرحلة الذروة، والفيلسوف المبدع مازال في منتصف العشرينات. وتظل نموذجاً لرسالة الدكتوراه المبتكرة بالرغم من اعتمادها على هيدجروبرجسون، والفيلسوف المبدع على وعى بمذهبه في الوجود. فغاية الوجود أن يجد ذاته وسط الوجود، ووجوده زمان^(١٨٢). وينقسم إلى قسمين الوجود بالزمان والوجود الناقص، وكأن الوجود بالزمان هو الوجود الكامل، والوجود الناقص هو الوجود خارج الزمان. وينقسم الوجود بالزمان إلى قسمين: الواقع والإمكان، والزمان اللاوجودي، وفيه نقد لهيكل وأرسطو وأفلاطون وأفلوطين ونيوتن وليبنتز وكانط وأينشتين وكاسيرر، وميل أكثر لا وغسطين وبرجسون.

وينقسم الوجود الناقص إلى قسمين: التناهي الخالق أقرب إلى هيدجر، والتاريخية الكيفية. كما يعتمد الفيلسوف المبدع على مادة من الثقافة العربية الإسلامية من خلال اشبنجر عن الروح السحرية العربية، والتصور الديني للتاريخ، الماضي والمستقبل، الماضي لارتباطه بخطيئة آدم والمستقبل لأن به الخلاص. والحاضر معبر من الماضي إلى المستقبل. فالتاريخ له بداية ونهاية. ويحيل إلى التراث العربي، (التبئية والأشراف) للمسعودي، و(المعتبر) لأبي البركات و(رسالة الحدود) لابن سينا، و(رسائل جابر بن حيان)، و(الأربعين) و(المحصل) للرازي. كما يعتمد على الاستشراق^(١٨٣).

ويصف الفيلسوف المبدع نفسه في «موسوعة الفلسفة» تحت «بدوي» بأنه فيلسوف مصري ومؤرخ للفلسفة، فلسفته هي الفلسفة الوجودية في الاتجاه الذي بدأه هيدجر. وقد أسهم في تكوين الوجودية بكتابه «الزمان الوجودي» الذي ألفه عام ١٩٤٣. وتمتاز وجوديته عن وجودية هيدجر وغيره من الوجوديين بالنزعة الديناميكية، التي تجعل للعقل الأولوية على الفكر وتستند في استخلاصها لمعاني الوجود إلى العقل والعاطفة والإرادة - معاً - وإلى التجربة الحية، وهذه بدورها تعتمد على ملكة الوجدان بوصفها أقدر ملكات الإدراك على فهم الوجود الحي. وقد أحاط علماء بكل تاريخ الفلسفة وتعمق في مذاهب الفلاسفة المختلفين والألمان منهم بخاصة. لكن أقوى تأثير في تطوره الفلسفي إنما يرجع إلى اثنين: هما هيدجر ونييتشه دون ذكر

لاشبنجلر وشوبنهور وبرجسون وجوته.

وفى الدراسة التى كتبها الفيلسوف الموسوعى عن نفسه فى موسوعة الفلسفة تحت «بدوى» لخص فلسفته فى خطوطها العامة، اعتماد على ملخص الرسالتين اللتين قدمهما قبل المناقشة عن «مشكلة الموت» للماجستير (بالفرنسية) و«الزمان الوجودى» للدكتوراه. مشكلة الموت هى التى تحولت - بعد ذلك - إلى «الموت العبقريّة» فى معظمها. ويبدأ بقسمة الأشكال إلى: موضوعى وذاتى، الموضوعى فى الخطيئة، والذاتى فى الحرية. ثم يبين عناصر مشكلة الموت، ثم المشكلة الحقيقية للموت، وكيف تكون مركزا لمذهب فى الوجود، وأخيرا المعنى الحضارى لهذه المشكلة. أما «الزمان الوجودى» فإنه يبدأ بتقسيم الوجود إلى مطلق ومعين. يتصف المطلق بأنه أعم التصورات، غير قابل للحد وغير معروف الماهية. وهو ليس وجوداً حقيقياً إلا عن طريق التجريد. أما الوجود المعين فهو وجود الفردية، وهو الوجود الحقيقى، والفردية هى الذاتية، والذاتية تقتضى الحرية، والحرية معناها وجود الإمكانية، والموجود المعين إما وجود الموضوع أو وجود الذات (كانط) أو الوجود فى ذاته، والذات هى الأنا المرید، وهو المعنى الباطنى لمقالة ديكارت، لأن الفكر من أفعال الإرادة. يتم الشعور بالذات فى فعل الإرادة كما هو الحال عند مين دى بران. لذلك تتشابه معانى الذات والإرادة والحرية. والحرية تقتضى الإمكانية. والذات إما مريدة حرة دون إمكانية لم تتحقق بعد، أو ذات مريدة حرة حققت بعض إمكانياتها. والوجود الحقيقى الأصيل للذات هو الوجود الماهوى، الصلة بين الذات ونفسها، حالة صوفية وصفتها القديسة تيريز الابليه. والشرف فى مرتبة الوجود يتناسب عكسيا مع الاتصال بالغير أو بالأشياء، والذات التى تتحقق بالحرية هى الآتية عند هيدجر. وعدم تفسير الوجود على أساس الزمان هو العلة فى إخفاق كل مذاهب الوجود. فقد قسمه الفلاسفة إلى وجود يخضع للزمان، كأحداث الطبيعة والتاريخ، وقسم لا يخضع له، كالنسب الرياضية. وقسمه آخرون إلى وجود بالزمان، ووجود أزلى، وبينهما هوة لا يمكن عبورها، أو يمكن عن طريق المتوسطات. الوجود زمانى وهذه هى الثورة الكوبرنيقية الجديدة. وقد وضع الفلاسفة مذاهب فى الزمان، الطبيعى (أرسطو)

والذاتى أو المعرفى (كانط)، الحيوى (برجسون). وفى علم الطبيعة هناك مذهبان، الزمان المطلق (نيوتن) والزمان النسبى (أينشتين). ثم يضيف سمتين للزمان: مشاققة الوجود لنفسه، وتجاوز العقل المنطقى إلى الوجدان، مثل عثمان أمين فى الجوانية. والوجود توتر جدلى بين العاطفة والإرادة والفعل. ويحاول الفيلسوف المبدع وضع هذا الوجود الذاتى فى مقولات مثل كانط على النحو التالى:

عاطفة

أصل: تألم	حب	قلق
مقابل: سرور	كراهية	طمأنينة
وحدة متوترة: تألم سار	حب كاره	قلق مطمئن

إرادة

أصل: خطر	طفرة
مقابل: أمان	مواصلة

وحدة متوترة: خطر آمن طفرة متصلة

ويلاحظ المنهج الجدلى الوجدانى، الطرفان ثم الجمع بينهما.

ويتم الوصف ليس على المستوى النفسى وإلا تم الوقوع فى النزعة النفسية، بل على المستوى الوجودى. التألم مصدره الحد من تحقيق الإمكانيات، يتدرج طبقاً لمقدار المقاومة، والتضحية أعلى درجاته، نقطة التلاقى بين الألم والسرور. والإيثار هو المركب من الحب والكراهية، والمركب علاقة متوترة وليس جمعاً هنيئاً عادلاً. الدرجة العليا فى الحب أثره، واجتماع الحب والكراهية هى الغيرة. الثالث الأول يكشف عن الماضى، والثانى عن المستقبل، والثالث عن الحاضر. والقلق درسه كيركجارد وهيدجر. والجمع بينه وبين الطمأنينة فى المصير. ويتكرر الثالث فى الإرادة. فالحياة بوجه عام هى الوجود فى حال الخطر، كما قال نيتشه. والوجود طفرة وقفرة كما يقول كيركجارد. هذا هو منطق التوتر، وهو نقيض الهوية، توتر الوجود مع ذاته أساس منطق جديد غير اتساق الفكر مع نفسه، أساس المنطق القديم. وإذا كان

برجسون قد نفى العدم، وإذا كان الفلاسفة قد خلطوا بينه وبين الخلاء، فإنه أصل الحرية، كما هو الحال عند سارتر. والاتحاد بين الوجود والعدم فى الزمان باعتباره أنية. وأتات الزمان وحدة متصلة تعبر عن التوتّر فى الوجود. ومن ثم ينتهى التحليل كله إلى نتيجتين: الأولى أنه لا وجود إلا مع الزمان وبالزمان، وهذا ما يسمى بتاريخية الوجود، والثانية أن كل أنية من أتات الزمان مكيفة بطابع عاطفى إرادى. فالزمان كىفية، وهى ما تسمى بالكىفية التاريخية. هذه هى الخطوط العامة لفلسفة الوجود. تحتاج إلى تفصيل فى مستقبل المشروع الفلسفى حتى يمكن تحقيق غاية الوجود^(١٨٤). وبالتالي يكون السؤال: لماذا لم ينجز الفيلسوف المبدع مشروعوه الفلسفى الإبداعى وتحول إلى مؤرخ للفلسفة محقق للنصوص، مترجم ومعد؟.

ومن «الزمان الوجودى» ينتقل الفيلسوف المبدع إلى تطبيق فلسفته على الأخلاق فى صيغة سؤال: «هل يمكن قيام فلسفة وجودية؟» والإجابة بطبيعة الحال بالنفى الجذرى أكثر من إجابة سيمون دى بوفوار التى حاولت تأسيس أخلاق للاشتباه. فالأخلاق تقويم، والتقويم معيار، والمعيار ذاتى أو موضوعى، والموضوعى مطلق أو نسبى، المطلق عند العقليين سواء من الله أو من وحدة الوجود، والنسبى عند الوضعية، وهذا يفترض الغيرية والتساوى بين الأفراد. والمعيار الذاتى يتعلق بتحقيق الذات نفسها، ذات فرد مثل شترنر، منفصل، متفرد، دون مقياس مشترك، لذلك نقد كيركجارد الواجب الكانطى والموضوعية الدينية. ومن ثم تستحيل إقامة الأخلاق ميتافيزيقيا وأنطولوجيا، وقد تعدد موقف الوجوديين من الأخلاق بين الإنكار - مثل كيركجارد منتقلا من الأخلاق إلى الدين، وتجاوزها إلى البحث الميتافيزيقى، مثل هيدجر - والإنكار والإمكان مثل ياسبرز ونييتشه.

يقول كيركجارد وياسبرز باللا أخلاقية، وهيدجر بمعزل عن الأخلاق، مثل السقراطية والمسيحية. وعندما سارتر الوجود لذاته ناقص ومن ثم تستحيل أخلاق الكمال، وبالتالي تستحيل إقامة أخلاق وجودية. ويبين الفيلسوف المبدع استحالة قيام أخلاق الواجب والالتزام والضمير والفضيلة والخير والسعادة والإيثار والشخصية والمسؤولية والإخلاص والرحمة، إذا إنها تقوم على فقد الحرية والمشاقة والشعور بالوجود. ويصف الوجود الذاتى بالتوتر والحرية والفعل الدائم والتحرر من كل قيد أو شرط. والشعار هو «افعل ما شئت مادام جديداً».

وهكذا تنتهى الملحمة، ملحمة التحقيق والترجمة والتأليف والإعداد والإبداع

الفلسفى من أوسع أسانذة الفلسفة فى مصر ثقافة وأغزهم إنتاجاً. فاق القدماء والمحدثين فى المثابرة على التأليف حتى أصبحت حياته الخاصة هى حياته العامة. مهد لأجيال قادمة سبيل المعرفة، وعرض لهم الفلسفة على الاتساع فى كل مجال. تربى على مؤلفاته الكثيرون حتى ولو لم يروه. وبسبب هذا الفراغ الفلسفى فى مصر نشأ المشروع الفلسفى عرضاً وليس طولاً، على الاتساع وليس فى العمق، فى المساحة وليس بالارتفاع. غطى المشروع كل شىء: التراث القديم تحقيقاً وتأليفاً، والتراث الغربى تقديماً وعرضاً، والواقع المعاش تعبيراً وإبداعاً. وبسبب ملء الفراغ الفكرى أنتشر المشروع أفقياً لا رأسياً، فلم تُتَح لصاحبه الفرصة للتعمق وتطوير الجانب الإبداعى فيه الذى بزغ وهو ابن العشرينات ولم يستمر حتى الثمانينات. وتركه صاحبه عرضة للذبذبات والبواعث المتناقضة، بين تغيير المكان والتنقل فيه، وسد جميع الفراغات، مادام السوق الفلسفى يبتلع كل إنتاج.

إشكاله أنه فضل العلم على الوطن، فتحجر العلم وضاع الوطن، وفضل الذات على الموضوع، فانطوت الذات وتضخمت من الداخل، وغاب الموضوع بعد أن ابتلغته الذات، كما هو الحال فى النرجسية. وفضل الفرد على الجماعة فاقترب الفرد من خريف العمر ولم تتأسس حوله جماعة أو مدرسة يعيش من خلالها الفرد أعماراً وأعماراً. وفضل الدنيا على الآخرة، الدنيا بما فيها من شهرة وكسب، والآخرة تطلب إنكار الذات والزهد فى الدنيا. وفضل الفرور على التواضع، فأزاح الناس من حوله ليفسحوا له المجال للتمدد والانتشار بلا أرض ولا وطن. أراد أن يكون فى العالم طبقاً لمقولة الوجوديين: «الوجود فى العالم»، وانتهى إلى مقولة الصوفية: «العالم فى الوجود».

هذا هو التكريم: الحوار بين الأجيال بعيداً عن المدح الأجوف والتملق الزائف، قتل الخراصون. قد يحزن الأستاذ وقد يغضب ولكنها - فى نهاية الأمر - شهادة تلميذ له، تعلم منه، واستأنف مشروعه، وارتكن إليه فى «من النقل إلى الإبداع»، بفضل تحقيقاته لترجمات العربية القديمة، فكلنا، شننا أم أينا، جزء منه.

أحب أفلاطون، ولكن حبى للحق أعظم.

الهوامش

- (١) بالمقارنة الكمية مع كتابة المؤلف عن نفسه (٢٥ ص) سقراط (٤ ص) برجسون (٢٠ ص) ديكرت (١١ ص) رسل (٨ ص) سارتر (٧ ص) كانط (٢٤ ص) ماركس (٦ ص) هيدجر (١٤ ص) ياسبرز (٨ ص) ولا يفوقه كما إلا أرسطو (٣٥ ص) أفلاطون (٣٧ ص) فشته (٢٠ ص) وهيكل يكاد يساويه (٢٦ ص).
- (٢) أرسطوطاليس: (فى النفس، الآراء الطبيعية) المنسوبة إلى فلوطرخس، «الحس والمحسوس» لابن رشد، (النبات) المنسوب إلى أرسطو، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ط٢، ١٩٨٠.
- (٣) أرسطوطاليس: الخطابة، الترجمة العربية القديمة، النهضة المصرية، ١٩٥٩.
- (٤) يحيل فى «مدخل جديد إلى الفلسفة» إلى «الزمان الوجودى»، «دراسات فى الفلسفة الوجودية»، «المنطق الصورى والمنطق الرياضى»، وإلى ترجمته لكتاب بنزوى عن «مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا» وإلى كريناديس القورنيانى. ويحيل فى «الأخلاق النظرية» إلى كتابه «مذاهب الإسلاميين» وفى المنطق الصورى والرياضى، يحيل إلى «أشبنجلر». ويشير فى «هل يمكن قيام أخلاق وجودية؟» إلى «الزمان الوجودى» (٢)، «مشكلة الموت» (مخطوط)، وفى «تلخيص القياس» لابن رشد يحيل إلى تحقيقاته من قبل لتلخيص كتاب «الشعر» فى كتاب «فن الشعر» لأرسطو، وفى تلخيص «البرهان» يحيل إلى كتبه «منطق أرسطو»، و«المنطق الصورى» الرياضى، «فى فلسفة القانون والسياسة عند هيجل»، يحيل إلى كتبه مثل «الأخلاق عند كانط»، «الأخلاق النظرية»، شوبنهاور، ينتشه، فلسفة القانون والسياسة عند كانط، فى «فلسفة الجمال والفن عند هيجل»، يحيل إلى ترجماته، مسرحية شو، والديوان الشرقى لمعرفة الألحان بالشعر الفارسى، وفن الشعر لأرسطو، واللصوص لشيلر، وبنون كيوخوته لثرفانتيس وقيلهم تل، وإلى تحقيقه «مختار الحكم ومحاسن الكلم» وإلى بعض مؤلفاته مثل «الأخلاق عند كانط»، الدين والتربية عند كانط، الموت والبعثية.
- (٥) الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ص٩، (هامش).
- (٦) أرسطو عند العرب، دراسة ونصوص غير منشورة، وكالة المطبوعات، ط٢ ١٩٧٨، تصدير عام ص ٦٦-٦.
- (٧) إلى العلم الشامخ فى الأدب المعاصر، إلى رائد النزعة الإنسانية فى العصر العربى الحديث، إلى الأديب الذى فتح للأدب العربى أفقاً عالمية، إلى المفكر الحر الذى ناضل بقلمه وعلمه وعمله من أجل رفع لواء الحرية الفكرية فى مختلف مرافق الحياة الروحية. إلى القلب الكبير النابض مع المستضعفين، الحانى على المحرومين، الثائر للمعذبين والمضطهدين، المكافح فى سبيل كرامة الإنسان، إلى العقل المحيط بشتى فروع الثقافة العالمية، الداعى دعوة التحرر من أغلال التقاليد المتحجرة، والقيم البالية، العامل على تهتية أسباب العلم والنور للناس أجمعين. إلى الناقد الذى أنشأ شرعة قيم جديدة، وابتدع موازين للنقد الناقد إلى عمائق الآثار الفكرية والأدبية. إلى الساحر بفصاحة لسانه، ونصاعة بيانه، وعذوبة موسيقى أسلوبه، وإيقاع كلماته ونبراته، الذى أدخل منهج النقد التاريخى الوثيق فى دراسة الأدب الجاهلى، فزعزع المسلمات التقليدية الموروثة فيما يتصل به. وكشف ما فيه من انتحال، وعماد لهذا الانتحال من دوافع وأسباب، ولهذا وضع للنقد الفيلولوجى الأساس، أعنى لكل دراسة فى هذا الميدان، وهو الذى أنشأ أجمل ترجمة ذاتية عرفها الأدب العربى، وهو الذى أسهم بأوفر قسط فى إيجاد القصة العربية، حتى استوت على النمط العالمى. وهو الذى أضاء تاريخ صدر الإسلام، وهو

الذي سعى لنشر التراث الكلاسيكي، واليوناني خاصة، من أجل إخصاب روحى جديد للعقل العربى. إيدانا ببعث روحى جديد مثل أوروبا، وهو الناقد الذى استطاع أن يرسم للأدب العربى طريقه الصحيح. ولهذا أصبح الموقظ الأكبر للعقل العربى. فباسم آلاف الآلاف من المثقفين، وباسم الباحثين والأدباء والمفكرين، إلى طه حسين فى عيد ميلاده السبعين، دار المعارف القاهرة ١٩٦٢.

(٨) «إلى روح أستاذى الأكبر مصطفى عبد الرازق، بروحك الممتازة، بهرتني بنور الإيمان. وأنا فى موجة الشباب المتورد، وتجسدت نموذجاً للإنسانية فى بيئة ضاع فيها معناها، فأعدت إلى الثقة بالإنسان، أواه، بالأمس كانت روحى تصرخ من عمائق هاوية العصيان، فلا تجد غيرك يستمع لهذا الصراخ. فمن لى اليوم بمن يردنى من العصيان إلى الإيمان، ومن الثورة إلى الإذعان. وبالأمس كان من أعز أمانى أن أهدى إليك كتيبى يبدأ بيد. فهل لى أن أطمع اليوم فى إهدائها إليك روحاً لروح»، «الإنسانية ووجودية فى الفكر العربى»، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت ١٩٨٢.

(٩) وذلك مثل إبراهيم مذكور، عثمان أمين، توفيق الطويل، محمد مصطفى حلمى، محمد على أبو ريان، أبو العلا عفيفى، على سامى النشار... إلخ.

(١٠) ولد فى ١٩١٧/٢/٤ فى قرية شرباص بفارسكو، الدقهلية (دمياط حالياً). حصل على شهادة الابتدائية عام ١٩٢٩. وكان ترتيبه أول المدرسة، و٣٥٤ على القطر من ٣٠,٠٠٠ تلميذ. حصل على الكفاءة من المدرسة السعيدية عام ١٩٣٢، وعلى البكالوريا عام ١٩٣٤. وكان ترتيبه الثانى. وحصل على ليسانس الفلسفة ١٩٣٨. وكان الأول على القسم، تتلمذ على كوايري ولاند ومصطفى عبد الرازق وكراوس. وعين معيداً بالجامعة. وحصل على الماجستير تحت إشراف لاند وكوايري ١٩٤١ فى «مشكلة الموت فى الفلسفة الوجودية». وعين أستاذاً مساعداً ١٩٤٩، وأستاذاً عام ١٩٥٩. وظل رئيس قسم الفلسفة بجامعة عين شمس أكثر من عشرين عاماً ١٩٥٠ - ١٩٧١. أعيّر لأول مرة عام ١٩٤٧ - ١٩٤٨ إلى كلية الآداب ببيروت التابعة لجامعة ليون. ثم مستشاراً فى برن ١٩٥٦ - ١٩٥٨، ثم أستاذاً بالسربون ١٩٦٧، ثم بليبيا ١٩٦٧ - ١٩٧٢ ثم ب طهران ١٩٧٣ - ١٩٧٤ ثم أعيّر إلى الكويت عام ١٩٧١ أكثر من عشرين عاماً، غادرها بعدها لتجاوزها سن التقاعد إلى باريس. ومازال قاطناً بها فى فندق لوتيسيا بالحى السابع، وقد غير سكنه الآن، وبدون عنوان. عين عضواً بلجنة الدستور عام ١٩٥٢. وهاجمه نظراً لأن الفرد الأوجد والبطل التاريخى لا يقيد قانون حركته. والوطن تجسيد له وهو تجسيد لهذا الوطن.

(١١) هذا ما تم الإعلان عنه فى ظهر الغلاف الثانى لكتابى، «فلسفة القانون والسياسة عند هيجل»، «فلسفة الجمال والفرن»، والناشرون ثلاثة، دار الشروق، ودار القلم، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر.

(١٢) وهو أيضاً نموذج محمد على أبو ريان أستاذ الفلسفة بجامعة الإسكندرية الذى رحل عنا العام الماضى - (١٩٩٦)

(١٣) (أ) مبتكرات: ١- الزمان الوجودى. ٢- هموم الشباب ٣- مرآة نفسى (شعر) ٤- الحور والنور ٥- نشيد الغريب (شعر) ٦- هل يمكن قيام أخلاق وجودية؟

(١٤) (ب) دراسات ١- الموت والعبقورية ٢- دراسات فى الفلسفة الوجودية ٣- المنطق الصورى والرياضى ٤- النقد التاريخى ٥- مناهج البحث العلمى ٦- فى الشعر الأوروبى المعاصر وخلصا الفكرة الأوربى: ١- نيتشه ٢- اشبنجر ٣- شوبنهاور ٤- أفلاطون ٥- أرسطو ٦- ربيع

الفكر اليونانى ٧- خريف الفكر اليونانى ٨- فلسفة العصور الوسطى ٩- المثالية الألمانية (فى ثلاثة أجزاء: فشته وهيجل وشلنج)

(١٥) (ج) دراسات إسلامية: ١- التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ٢- من تاريخ الإلحاد فى الإسلام ٣- شخصيات قلقة فى الإسلام ٤- الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى ٥- أرسطو عند العرب ٦- المثل العقلية الأفلاطونية ٧- منطق أرسطو (ثلاثة أجزاء) ٨- شهيدة العشق الإلهى (رابعة العدوية) ٩- شطحات الصوفية «أبو يزيد البسطامى» ١٠- روح الحضارة العربية ١١- الإنسان الكامل فى الإسلام ١٢- التوحيدى: الإشارات الإلهية ١٣- مسكويه: الحكمة الخالدة ١٤- فن الشعر لأرسطوطاليس وشروحه العربية. ١٥- الأصول اليونانية للنظريات السياسية الإسلامية. ١٦- أرسطوطاليس: (فى النفس مع الآراء الطبيعية) لفلوطرخس، وكتاب (النبات) ثم (الحس والمحسوس) لابن رشد ١٧- ابن سينا: عيون الحكمة ١٨- ابن سينا: البرهان (من الشفاء) ١٩- الأفلاطونية المحدثة عند العرب ٢٠- أفلوطين عند العرب ٢١- المبشر بن فاتك: مختار الحكم ٢٢- فلهاوزن: الخوارج والشيعية ٢٣- أرسطوطاليس: الخطابة ٢٤- ابن رشد: تلخيص الخطابة ٢٥- مخطوطات أرسطو فى العربية ٢٦- مؤلفات الغزالى ٢٧- مؤلفات ابن خلدون ٢٨- أرسطوطاليس فى السماء والأثار العلوية ٢٩- حازم القرطاجنى وأرسطوطاليس. ٣٠- رسائل ابن سبعين. ٣١- دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى. ٣٢- أرسطوطاليس: الطبيعة (شروحه العربية القديمة) ٣٣- ابن سينا: فن الشعر (من الشفاء) ٣٤- الغزالى: فضائح الباطنية ٣٥- رسائل الإسكندر الأفروديسى ٣٦- أسين بلاثيوس: ابن عربى.

(١٦) (د) ترجمات: الروائع المائة ١- ايشندورف: من حياة حائر بائر ٢- فوكيه: أندين ٣- جيته: الديوان الشرقى ٤- بيرن: أسفار أنتشيلد هارولا ٥- جيته: الأنساب المختارة ٦- برشت: دائرة الطباشير القوقازية ٧- ثريانتس: تون كيخوته (أربعة أجزاء) ٨- دورنمات: علماء الطبيعة ٩- مسرحيات لوركا: يرما - عرس الدم - الإسكافية العجيبة ١٠- مسرحيات برشت: الأم الشجاعة وأولادها - الإنسان الطيب فى ستسوان ١١- يونسكو: فتاة اللزواج.

(١٧) ١- شفيتسر: فلسفة الحضارة ٢- بنروبى: مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا ٣- ج.ب. سارتر: الوجود والعدم ٤- رينيه ويج: الفن والنور وقراءة اللوحات.

(١٨) «موسوعة المستشرقين»، دار العلم للملايين، بيروت ط ١، شباط، فبراير ١٩٨٤.

(١٩) «موسوعة الفلاسفة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (جزءان). بيروت ١٩٨٤ فى الجزء الأول يذكر بعض الفلاسفة العرب والمسلمين: ابن باجة، ابن رشد، ابن سينا، ابن طفيل، أبو بركات البغدادى، أبو سليمان المنطقى، حنين ابن إسحق، وعبد الرحمن بنوى، وفى الجزء الثانى يذكر: مصطفى عبد الرازق والغزالى والفارابى والكندى فحسب.

(٢٠) هذه موسوعة للفلسفة، وهى تلبى حاجة خاصة يستشعرها القارئ العربى، ليس فقط للتخصص فى الفلسفة بل وكل مثقف بعامة، فهى تسعف الأول بما يريغ إليه من معلومات موجزة عن الفلاسفة والمعانى والمذاهب الفلسفية، وهى تزود الثانى بما يغنيه من معلومات هذا الفرع الأساسى من فروع المعرفة الإنسانية، الذى يهين له التكوين العقلى الحر، ويوسع من أفق تفكيره، ويبث فيه الروح النقدية، ويمكنه من تكوين نظرة فى الحياة وفى الوجود، ويشغل ذهنه بمشاكل الإنسان والكون، وبالجملة يسمو بالجانب الإنسانى حقاً فى الإنسان.. وكل أملى فى أن تكون هذه الموسوعة الفلسفية أداة عمل

- ممتاز للباحثين في الفلسفة والراغبين في الإفادة من مناهجها ومذاهبها في السمو بالفكر الإنساني الصحيح.. «موسوعة الفلسفة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ج ١، ص ٥.
- (٢١) درّس في الجامعة المصرية أزهريون مثل الشيخ مصطفى عبد الرزاق، والشيخ طنطاوى جوهرى، كما درّس مستشرقون مثل الكونت دى جلازاوسوزيو وماسنيون وكوايريه ولانلد ويول كراوس نظراً لارتباط طه حسين عميد الآداب بهذا الجيل من المستشرقين.
- (٢٢) بدأ الفيلسوف الشامل مع مكتبة النهضة المصرية قبل أن يغادر إلى الكويت، وقد طبعت له ثلاثة أرباع مؤلفاته، ثم وكالة المطبوعات في الكويت، بالاشتراك مع دار القلم في لبنان، وأخيراً مع دار فارس بعمان، ثم المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت، مع نشر محدود مع الهيئة القومية التابعة للدولة. والناشر الأجنبي له هو فران في باريس، بالإضافة إلى كتاب واحد في مدريد.
- (٢٣) لذلك كان إصدار هذه التحية المهداة للفيلسوف الشامل في عيد ميلاده الثمانين مجازفة غير مأمونة العواقب، ومخاطرة قد تضر أكثر مما تنفع. ولكن كسر حاجز الصمت، وعبور الهوة السحيقة بين الأجيال، و الفيلسوف والوطن هو المحفز والدافع. وكم من مرة كان العصيان أفضل من الطاعة.
- (٢٤) من أجل الاختصار ذكرت (النهضة) فقط بدلاً من النهضة المصرية، (المطبوعات) بدلاً من وكالة المطبوعات، (القومية) بدلاً من الدار القومية، (المشرق) بدلاً من دار المشرق، (المؤسسة) بدلاً من المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (الهيئة) بدلاً من الهيئة العامة للكتاب، (العلم للملايين) بدلاً من دار العلم للملايين، (المشرق) بدلاً من دار المشرق.
- (٢٥) الخطابة لأرسطوطاليس، النهضة ١٩٥٩ والمقدمة باريس صيف ١٩٤٩، الطبيعة لأرسطوطاليس، القومية ١٩٦٤ والتصدير بلندن- هولندا صيف ١٩٥٩. في السماء والآثار العلوية لأرسطوطاليس، النهضة ١٩٦١ والمقدمة بباريس صيف ١٩٥٤، أجزاء الحيوان لأرسطوطاليس، المطبوعات الكويت ط١ ١٩٧٨ والتصدير بطهران ١٩٧٣-١٩٧٤، شروح على أرسطو مفقودة في اليونانية ورسائل أخرى، المشرق، بيروت ١٩٧١ والتصدير العام بباريس صيف ١٩٦٨، أروسيوس: تاريخ العالم، المؤسسة، بيروت، ١٩٨٢ والتصدير في روما يناير وفبراير ١٩٧٩، فلسفة العصور الوسطى، النهضة ١٩٦٢، تصدير ١٩٤٢: فلسفة الجمال والفن عند هيجل، المؤسسة، بيروت، المشرق، بيروت، الفارس عمان ١٩٩٦، تصدير عام باريس ١٩٩٢. المنطق الصوري والرياضي، النهضة ط٢. ١٩٦٢ تمهيد ١٩٤٢. النقد التاريخي، النهضة ١٩٦٣، تصدير عام، القاهرة صيف ١٩٦٢. برشت: الأم شجاعة وأولادها، الإنسان الطيب في ستسوان، النهضة ١٩٦٥، تصدير ١٩٦٢. ثريانتيس: دون كخوته، النهضة ١٩٦٥ تصدير عام، مدريد، برن ١٩٥٥-١٩٥٦. هموم الشباب، المطبوعات ١٩٧٧ ط٢، تنبيه ١٩٤٦، الزمان الوجودي، النهضة ١٩٤٥ تصدير ١٩٤٢، أرسطوطاليس: في النفس، الآراء الطبيعية لفلوطرخس، الحاس والمحسوس لابن رشد، النهضة ١٩٥٤، دمشق باريس، شتاء ١٩٤٩، بيروت، القاهرة صيف ١٩٥٢. أفلاطون في الإسلام طهران ١٩٧٤، بيروت باريس، طهران ١٩٧٣. الأفلاطونية الحديثة عند العرب. النهضة ١٩٥٧ ليدن منشئ، باريس، دمشق صيف ١٩٥٢-١٩٥٤. رسائل فلسفية (الكثدي، الفارابي، ابن باجة، ابن عربي) بنى غازي ط٢. ١٩٧٣ والتصدير باريس صيف ١٩٦٨. رسائل ابن سبعين، المؤسسة، القاهرة ١٩٦٥، تصدير عام برن بسويسرا ١٩٦٥. مختار الحكم ومحاسن الكلم للمبشرين فاتك، المؤسسة، النهضة ١٩٥٨ تصدير عام ليون، لندن، القاهرة، مدريد صيف ١٩٥٥، البرهان لابن سينا، النهضة، القاهرة ١٩٥٤ تصدير عام باريس، لندن، القاهرة ١٩٥٢، الحكمة الخالدة

لسكويه، النهضة ١٩٥٢، تصدير عام باريس، ليدن، الفاتيكان، القاهرة صيف ١٩٥٠ وربيع ١٩٥٢
 تلخيص البرهان لابن رشد، الكويت، المطبوعات ١٩٨٤ تصدير عام باريس ربيع صيف ١٩٨٣ تلخيص
 الخطابة لابن رشد، الكويت المطبوعات ١٩٨٤ تصدير عام باريس ربيع صيف ١٩٨٣. تلخيص الخطابة
 لابن رشد، النهضة ١٩٦٠ تصدير عام ليدن (هولندا) مدريد (أسبانيا) صيف ١٩٥٩ الخوارج والشيعة
 لفلهاوزن، النهضة ١٩٥٨ تصدير برن خريف ١٩٥٦، موسوعة الفلسفة، المؤسسة بيروت ١٩٨٤ (جزآن)
 تصدير عام، باريس، روما ١٩٧٩-١٩٨١ ربيع الفكر اليوناني، النهضة ١٩٤٦، تصدير عام ١٩٤٢
 أفلاطون، النهضة ١٩٥٤، تصدير عام ١٩٥٢.

(٢٦) منطق أرسطو، النهضة ١٩٤٨/١٩٤٩/١٩٥٢ التصدير العام باريس أغسطس ١٩٤٧. الأصول
 اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام، النهضة، القاهرة ١٩٥٤ التصدير العام باريس وليدن
 ومنشن وفيينا ١٩٥٣ التعليقات، لابن سينا، الهيئة ١٩٧٣ والتصدير بينفازي سبتمبر ١٩٧٢. صوان
 الحكمة وثلاث رسائل لأبي سليمان المنطقي السجستاني، طهران ١٩٧٤ والتصدير نفس
 العام ١٩٧٣/١٩٧٤ (مما يدل على سرعة الإنجاز في إيران). أبو حيان التوحيدى: الإشارات الإلهية
 مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة ١٩٥٠، تصدير عام دمشق أبريل ١٩٤٩. الإنسان الكامل في
 الإسلام، النهضة، القاهرة ١٩٥٠ تصدير بيروت ١٩٤٩. مذاهب الإسلاميين (جزآن)، العلم للملايين،
 بيروت ج ١، ١٩٧١ تصدير باريس ١٩٧٠ ج ٢/١٩٧٣ تصدير روما وباريس ١٩٧٢. تاريخ التصوف
 الإسلامي، المطبوعات، الكويت ١٩٧٥ التصدير العام طهران ١٩٧٤. مؤلفات الغزالي، المجلس الأعلى
 لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة ١٩٦١ تصدير عام، القاهرة صيف ١٩٦٠ إمانويل
 كانط، المطبوعات، الكويت ج ١، ١٩٧٧ تصدير باريس صيف ١٩٧٦ المدخل إلى الفلسفة، المطبوعات
 الكويت ١٩٧٥ تنبيه باريس ١٩٧٤ ط ٢، تصدير ١٩٧٨. الأخلاق النظرية، المطبوعات الكويت ١٩٧٥
 تنبيه باريس صيف ١٩٧٤ ط ٢. فضائح الباطنية للغزالي، القومية ١٩٦٤ تصدير عام ١٩٦٤.
 روح الحضارة العربية لهانز هنريش شيدر، العلم للملايين، بيروت ١٩٤٩، تصدير أبريل بيروت ١٩٤٩.
 شخصيات قلقة في الإسلام، النهضة، القاهرة ١٩٤٧، تصدير نوفمبر ١٩٤٦، تلخيص القياس لابن
 رشد، الكويت ١٩٨٨، ط ١ تصدير عام باريس ربيع صيف ١٩٨٣.

(٢٧) [إذا لم يحدد مكان الطبعة فهو القاهرة].

- ١- نيتشه ١٩٣٩
- ٢- التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ١٩٤٠
- ٣- اشبنجلر ١٩٤١
- ٤- شوبنهاور ١٩٤٢
- ٥- أفلاطون ١٩٤٢
- ٦- أرسطو ١٩٤٣
- ٧- ربيع الفكر اليوناني ١٩٤٣
- ٨- خريف الفكر اليوناني ١٩٤٣
- ٩- الزمان الوجودي ١٩٤٥
- ١٠- من تاريخ الإلحاد في الإسلام ١٩٤٥
- ١١- المثل العقلية الأفلاطونية ١٩٤٧

- ١٢- أرسطو عند العرب ١٩٤٧
- ١٣- الإنسانية والوجودية في الفكر العربي ١٩٤٧
- ١٤- شخصيات قلقة في الإسلام ١٩٤٧
- ١٥- منطق أرسطو، ج١ ١٩٤٨
- ١٦- رابعة العدوية ١٩٤٨
- ١٧- شطحات الصوفية ١٩٤٩
- ١٨- منطق أرسطو، ج٢ ١٩٤٩
- ١٩- روح الحضارة العربية، بيروت ١٩٤٩
- ٢٠- الإشارات الإلهية ١٩٥٠
- ٢١- الإنسان الكامل في الإسلام ١٩٥٠
- ٢٢- منطق أرسطو ج٣ ١٩٥٢
- ٢٣- الحكمة الخالدة ١٩٥٢
- ٢٤- فن الشعر لأرسطو ١٩٥٣
- ٢٥- البرهان (من الشفاء) لابن سينا ١٩٥٤
- ٢٦- عيون الحكمة لابن سينا ١٩٥٤
- ٢٧- في النفس لأرسطو ١٩٥٤
- ٢٨- الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام ١٩٥٥
- ٢٩- أفلوطين عند العرب ١٩٥٥
- ٣٠- الأفلاطونية المحدثة عند العرب ١٩٥٧
- ٣١- مختار الحكم ومحاسن الكلم ١٩٥٨
- ٣٢- الخوارج والشيمة، لفلهاوزن ١٩٥٩
- ٣٣- الخطابة لأرسطوطاليس ١٩٥٩
- ٣٤- تلخيص الخطابة لابن رشد ١٩٦٠
- ٣٥- مخطوطات أرسطو في العربية ١٩٦٠
- ٣٦- دراسات في الفلسفة الوجودية ١٩٦١
- ٣٧- مؤلفات الفزالي ١٩٦١
- ٣٨- المنطق الصوري والرياضي ١٩٦٢
- ٣٩- فلسفة العصور الوسطى ١٩٦٢
- ٤٠- مؤلفات ابن خلدون ١٩٦٢
- ٤١- النقد التاريخي ١٩٦٣
- ٤٢- مناهج البحث العلمي ١٩٦٣
- ٤٣- فضائح الباطنية ١٩٦٤
- ٤٤- مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا ١٩٦٤
- ٤٥- الطبيعة لأرسطو، ج١ ١٩٦٥
- ٤٦- دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، بيروت ١٩٦٥

- ٤٧- رسائل ابن سبئين ١٩٦٥
- ٤٨- الوجود والعدم ١٩٦٥
- ٤٩- المثالية الألمانية، «شلتنج» ١٩٦٥
- ٥٠- فن الشعر، لابن سينا ١٩٦٥
- ٥١- الطبيعة، لأرسطو، ج٢، ١٩٦٦
- ٥٢- مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة، في فرنسا، ج٢، ١٩٦٧
- ٥٣- ابن عربي، لأسين بلاثيوس ١٩٦٧
- ٥٤- المدرسة القورينائية، بنغازي ١٩٦٩
- ٥٥- الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي، بنغازي ١٩٦٩
- ٥٦- الأخلاق عند كانط، الكويت ١٩٦٩
- ٥٧- فلسفة القانون والسياسة عند كانط، ١٩٧٠
- ٥٨- مذاهب الإسلاميين، ج١، بيروت ١٩٧١
- ٥٩- شروح على أرسطو مفقودة في اليونانية، بيروت، ١٩٧١
- ٦٠- فلسفة الدين والتربية عند كانط، الكويت ١٩٧١
- ٦١- كرديناس القورينائي، بنغازي ١٩٧٢
- ٦٢- سونسيوس القورينائي، بنغازي ١٩٧٢
- ٦٣- التعليقات لابن سينا ١٩٧٢
- ٦٤- رسائل الكندي والفارابي وابن باجة وابن عربي، بنغازي ١٩٧٣
- ٦٥- مذاهب الإسلاميين، ج٢، بيروت ١٩٧٣
- ٦٦- أفلاطون في الإسلام، طهران ١٩٧٤
- ٦٧- صوان الحكمة للسجستاني ١٩٧٤
- ٦٨- مدخل جديد إلى الفلسفة ١٩٧٥
- ٦٩- الأخلاق النظرية، الكويت ١٩٧٥
- ٧٠- تاريخ التصوف الإسلامي، الكويت ١٩٧٥
- ٧١- إمانويل كانط، الكويت ١٩٧٦
- ٧٢- الأخلاق عند كانط ١٩٧٧
- ٧٣- طبائع الحيوان لأرسطو، الكويت ١٩٧٧
- ٧٤- أجزاء الحيوان لأرسطو، الكويت ١٩٧٧
- ٧٥- الأخلاق إلى نيقوماخوس ١٩٧٧
- ٧٦- فلسفة القانون والسياسة عند كانط، الكويت ١٩٧٩
- ٧٧- فلسفة الدين والتربية عند كانط، ١٩٨٠
- ٧٨- حياة هيجل، بيروت ١٩٨٠
- ٧٩- الخطابة لأرسطو بغداد ١٩٨٠
- ٨٠- فلسفة الحضارة لاشفيتسر، بيروت ١٩٨٠
- ٨١- تاريخ العالم لأورسيوس ١٩٨١

٨٢- دراسات ونصوص محققة في تاريخ العلوم عند العرب ١٩٨١

٨٣- موسوعة الفلسفة بيروت ١٩٨٤

٨٤- فلسفة السياسة عند هيجل ١٩٨٦

٨٥- فلسفة الجمال والفن عند هيجل ١٩٨٦

٨٦- موسوعة المستشرقين

(٢٨) فاكشر السنوات إنتاجاً ١٩٦٥ (خمس كتب)، ثم ١٩٤٧/١٩٧٧/١٩٨٠ (أربعة كتب)، ثم

١٩٤٣/١٩٤٩/١٩٥٤/١٩٦٢/١٩٦٥/١٩٦٩/١٩٧١/١٩٧٢/١٩٧٥ (ثلاث كتب)

(٢٩) وهي ١٩٤٤/١٩٤٦/١٩٥١/١٩٥٦/١٩٧٨/١٩٨٣/١٩٨٥/١٩٨٨

(٣٠) ١- التاليف: شهيدة العشق الإلهي «رابعة العودية» ٢- مذاهب الإسلاميين ج١، المعتزلة والأشاعرة

ج٢، الإسماعيلية والقرامطة والدروز، ٣- تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن،

الثاني، ٤- الإنسانية والوجودية في الفكر العربي.

٢- التحقيق: ١- شطحات الصوفية، ٢- رسائل فلسفية: (الكندي والفارابي وابن باجة وابن عربي)

٣- الشعر (من منطق الشفاء) ٤- عيون الحكمة لابن سينا، ٥- التعليقات لابن سينا ٦- البرهان

لابن سينا (من منطق الشفاء) ٧- الحكمة الخالدة لمسكويه ٨- الإشارات الإلهية للتوحيدي

٩- رسائل ابن سبعين ١٠- صوان الحكمة وثلاث رسائل لأبي سليمان المنطقي السجستاني

١١- مختار الحكم ومحاسن الكلم للمبشر بن فاتك ١٢- فضائح الباطنية للغزالي ١٣- دراسات،

ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب ١٤- تلخيص القياس لابن رشد ١٥- تحقيق البرهان

لابن رشد ١٦- تلخيص الخطابة لابن رشد، التحقيق لترجمات العربية القديمة عن اليونانية الصحيحة

أو المنتحلة: ١- منطق أرسطو (٣ أجزاء) ٢- الخطابة لأرسطو ٣- في الشعر لأرسطو ٤-

الطبيعة لأرسطو (جزءان)، ٥- في النفس لأرسطو ٦- في السماء والأثار العلوية ٧- أجزاء،

الحيوان ٨- طبائع الحيوان ٩- الحيوان ١٠- أرسطو عند العرب، دراسة ونصوص غير

منشورة ١١- أفلاطون عند العرب ١٢- الأفلاطونية المحدثة عند العرب ١٣- المثل العقلية

الأفلاطونية ١٤- أفلاطون في الإسلام ١٥- الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام.

١٦- شروح على أرسطو مفقودة في اليونانية ورسائل أخرى ١٧- تاريخ العالم لأوروسبيوس (عن

اللاتينية)

٣- الترجمة: ١- شخصيات قلقة في الإسلام ٢- روح الحضارة العربية ٣- الخوارج والشيعة أحزاب.

المعارضة السياسية والدينية في صدر الإسلام. لفلهاوزن ٤- الإنسان الكامل في الإسلام ٥- ابن

عربي حياته ومذهبه لأثين بلاسيوس ٦- التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية.

٤- الإعداد: ١- مؤلفات الغزالي ٢- مؤلفات ابن خلدون ٣- مخطوطات أرسطو في العربية ٤- نحية

إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين ٥- موسوعة المستشرقين ٦- الموسوعة الفلسفية.

(٣١)

1- Le probleme de la mort, Le Caire, 1965.

2- La transmission de la philosophie Greque au Monde Arabe. Paris, Vrin 1968

3- Histoire de la philosophie Arabe. Paris, Vrin 1997

4- Défence du Coran contredes critique, L'unicite Paris 1989.

5- Défence de la vie du Prophet Muhammed contre ses detracteurs,

Ed, Alkar, Paris 1990

6- Themes et figures de la philosophie Islamique Paris, 1979.

7- L'Islam va par Voltaire. Herder, Gibbon, Hegel.

(٢٢) (١) الدراسات: ١- الموت والعبقورية. ٢- دراسات في الفلسفة الوجودية. ٣- في الشعر الأوربي

المعاصر، ومن تاريخ الفكر. ٤- ربيع الفكر اليوناني. ٥- أفلاطون. ٦- أرسطو. ٧- خريف الفكر

اليوناني. ٨- كرتايداس. ٩- سينوسيوس. ١٠- فلسفة العصور الوسطى. ١١- دور العرب في

تكوين الفكر الأوربي. ومن الأعلام. ١٢- نيتشه. ١٣- اشبنجر. ١٤- شوبنهاور. ١٥- شلنج.

١٦- هيجل - حياته. ١٧- فلسفة القانون والسياسة عند هيجل. ١٨- فلسفة الجمال والفن عند

فيجل. ١٩- إمانويل كانط. ٢٠- الأخلاق عند كانط. ٢١- فلسفة القانون والسياسة عند كانط.

٢٢- فلسفة الدين والتربية عند كانط،

ومن العلوم الإنسانية: ٢٣- مدخل جديد إلى الفلسفة. ٢٤- الأخلاق النظرية. ٢٥- المنطق

الصوري والرياضي. ٢٦- مناهج البحث العلمي. ٢٧- الأدب الألماني في نصف قرن. كما أعلن

عن قلوب الفلاسفة وعن برجسون.

ب- الترجمات: (الروائع المائة): ١- ايشندورف: من حياة حائر باثر. ٢- فوكيه: اندين. ٣- جوته

الديوان الشرقي للمؤلف الغربي. ٤- بيرون: أسفار أتشيلد هارولد. ٥- جوته: الأنساب المختارة.

٦- جوته: فاوست. ٧- برشت: دائرة الطباشير القوقازية. ٨- برشت: الأم الشجاعة. ٩- ثرينتس

دون كيخوته. ١٠- لوركا: مسرحيات. ١١- نورنات: علماء الطبيعة. ١٢- هيلدرلين: هيبرون.

١٣- رلكه: صحائف مالتى برجه. ١٤- برشت: الإنسان الغريب في ستسون. ١٥- يونسكو: فتاة

للزواج. ١٦- رينيه ويغ: الفن والنور واللوحات. ومن العلوم الإنسانية: ١٧- لونغوا دسينويوس:

النقد التاريخي. كما أعلن عن ترجمة نيتشه: زرادشت. ١٨- الوجود والعدم. ١٩- مصادر

وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا. ٢٠- حياة لثريودي نورمس. ٢١- جوته: جيتس فون

برلشنجن. ٢٢- اشفيتسر: فلسفة الحضارة.

(٢٣) وقد استعملنا نفس الطريقة في ترجماتنا: لسنج: تربية الجنس البشري، نماذج من الفلسفة

المسيحية، اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، جان بول سارتر: تعالي الأنا موجود، باعتبارها

تأليفاً غير مباشر.

(٢٤) قد يصدر مع هذه الذكرى الثمانين مجموع مقالاته في جريدة مصر الفتاة، وهو مازال في

العشرينيات، وهي حوالى خمسة وعشرين مقالاً جمعها الزميل د. أحمد عبد الحلیم عطية ويتردد في

نشرها.

(٢٥) المبتكرات: ١- الزمان الوجودي، ٢- هل يمكن قيام أخلاق وجودية ٣- هموم الشباب ٤- مرآة

نفسى (شعر) ٥- الحور والنور ٦- تشيد الغريب (شعر). كما أعلن عن ثلاث قصص ٧- التسلسل

٨- لن أختار ٩- جابر بن حيان

(٢٦) لقد قمنا بثلاث شهادات على العصر طبقاً لتقلباته وأحزانه، الأولى «قضايا معاصرة» جزآن في

عمر الثورة وبعد هزيمة ١٩٦٧ وصدر ١٩٧٦/١٩٧٧ أثناء الجمهورية الأولى، والثانية «الدين والثورة

في مصر» (ثمانية أجزاء) في عصر الثورة المضادة أثناء الجمهورية الثانية وصدرت عام ١٩٨٩.

والثالثة «هموم الفكر والوطن» في عصر الجمهورية الثالثة ١٩٨١، حتى الآن، وصدرت بعنوان «هموم

الفكر والوطن» (جزآن) ١٩٩٧.

(٣٧) وكان نجيب محفوظ أيضاً محبباً من ثورة يوليو، وظل وفدياً طول عمره المديد، ولم يتوقف عن الإبداع ولم يفادر الوطن. وكذلك الحال مع محمد حسنين هيكل الذى مازال يؤلف مؤرخاً للثورة بالرغم من إحباطاته المتعددة من مسارها.

(٣٨) بدأت هجرة الأساتذة من جامعة عين شمس إلى الكويت، من مصر إلى الخليج ابتداء من المثل الأول: عبد الرحمن بدوى إلى الثانى فؤاد زكريا إلى جيل بأكمله. منهم المرحوم عزمى إسلام، إمام عبد الفتاح إمام، محمود رجب، وقد عاد إلى القاهرة ثم إلى الكويت ثم إلى القاهرة، حسن عبد الحميد (وقد عاد أثناء حرب الخليج) وتم استدراج عبد الغفار مكاوى من القاهرة فى أكبر عملية نزيه للعقل الفلسفى فى مصر.

(٣٩) أرسطوطاليس: فى السماء والأثار العلوية ١٩٦١ تصدير ص (ى، ك)

(٤٠) أرسطوطاليس: فى النفس، الأراء الطبيعية المنسوبة إلى فلوطرخس، الحاس والمحسوس لابن رشد، النبات المنسوب إلى أرسطو، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم بيروت ط٢، ١٩٨٠ تصدير عام ص١-٥٣.

(٤١) أرسطوطاليس: الخطابة، الترجمة العربية القديمة، النهضة العربية ١٩٥٩- تصدير ص (و - ل)

(٤٢) أفلاطون فى الإسلام، دار الأندلس، بيروت ١٩٨٢ ط٣.

(٤٣) «الأفلاطونية المحدثة عند العرب»، إيرقلس «الخير المحض»، « فى قدم العالم»، «فى المسائل الطبيعية»، هرمس «معاد النفس»، أفلاطون «الروابع»، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٧، تصدير ص١-٥٥ الطبعة الأولى لجنة التأليف والترجمة.

(٤٤) ابن رشد: تلخيص القياس لأرسطو، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٨٨، ط١ تصدير عام ص٥-٢٤، طباع الحيوان، ترجمة يوحنا البطريق، وكالة المطبوعات الكويت ط١ ١٩٧٧ أبو سليمان المنطقى السجستاني: صوان الحكمة وثلاث رسائل، طهران ١٩٧٤. والرسائل هى ١- رسالة فى المحرك الأول ٢- مقالة فى الكمال الخاص بالنوع الإنسانى ٣- مقالة فى أن الأجرام العلوية طبيعتها طبيعة خاصة وأنها ذات أنف.

(٤٥) الإشارات الإلهية، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة ١٩٥٠ تصدير عام ص أ - ك.

(٤٦) أرسطوطاليس: أجزاء الحيوان، يوحنا البطريق، وكالة المطبوعات ط١ الكويت ١٩٧٨ تصدير عام ص٥-٣٨.

(٤٧) الشفاء المنطق ٩ الشعر - القاهرة - ١٩٦٦ تصدير عام ص٣-٢١.

(٤٨) شطحات الصوفية ج١ (أبو يزيد البسطامى) النهضة ١٩٤٩ ط٣/١٩٧٨. القيم: النور من كلمات أبى طيفور السهلجى، وهو نص غير منشور فى مناقب وشطحات أبى يزيد البسطامى ينسب إلى السهلجى، كتاب مناقب أبى يزيد، (المسلك الجلى فى حكمة شطح الولى) لعبد الفنى التابلسى بالإضافة إلى ملحق نصوص خاصة بالبسطامى، وثلاث ترجمات له، أبى يزيد فى مرآة الزمان لسبط بن الجوزى، (نفحات الأنس) لعبد الرحمن الجامى، (طبقات الصوفية) لعبد الرحمن السلمى، مع قصة أبى يزيد مع الراهب.

(٤٩) ولما كانت هذه النصوص كلها - تقريباً - تنشر لأول مرة، وقد فقدت أصلها اليونانى، فقد عزمنا على ترجمتها إلى الفرنسية ليسر على الباحثين الأوروبيين غير العارفين بالعربية - وبخاصة المتخصصين فى أرسطو - الاطلاع عليها، وننشر هذه الترجمة فى كتاب قائم برأسه إكمالاً لما بدأناه فى ملحق

كتابنا عن انتقال الفلسفة اليونانية إلى العالم العربي، شروح على أرسطو مفقودة في اليونانية
ورسائل أخرى، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦ ص ١٧ تصدير ص ٩
(٥٠) «ونرجو أن يجد فيه الباحثون خلاصة مركزة لمذهب ابن سينا كله»، ابن سينا: التعليقات، الهيئة
العامة للكتاب ١٩٧٣ ص ١٠ تصدير ص ٥-١٠.

(٥١) ابن سينا: عيون الحكمة، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم بيروت ١٩٨٠ ط ٢ تصدير عام
(٥٢) «ولعلمهم (اللاتين) لو عرفوه لوجدوا فيه أصفى عرض لمذهب أرسطو في البرهان، فلهذه الميزة أثرنا
بعثه اليوم خير تحية لذكرى ابن سينا الألفية» ابن سينا: البرهان، النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٤
تصدير عام ٩-٥٥.

(٥٣) «متجنبين كل التجنب ذلك الترخص الإجرامى فى تغيير النص، ابتغاء تصحيح مزعوم فرضه الجهل
وأمله ضيق الثقافة. وهو الترخص المنتشر فى البلاد العربية والشرقية فى هذه الأعوام الأخيرة، لكل
ما كان يمكن أن يتصور منهم غير هذا. وهم الذين لم يعرفوا المناهج الفيلولوجية، ولا ثمار الدراسات
الكلاسيكية، التى أنفق فيها العلماء الأوروبيون أجيالاً متطاولة، إنما هو الشرق، موطن الاستبداد و
الطفيان حتى على النصوص وعلى المؤلفين الأقدمين» ابن مسكويه: الحكمة الخالدة، النهضة المصرية
القاهرة، ١٩٥٢ ص ٦٤ تصدير عام ص ٧-٦٤.

(٥٤) أرسطوطاليس: (فن الشعر) مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابى وابن سينا وابن رشد،
القاهرة، ١٩٥٣ تصدير عام ١١-٥٦

(٥٥) ومن يدري لعل وجه الحضارة العربية كله أن يتغير طابعه الأدبى، كما تغيرت أوروبا فى عصر
النهضة، وإلى نحو هذه الغاية قصدنا حتى قدمنا اليوم لهذا الكتاب ولا يسير التاريخ بالتمنى ولا
بتغيير مساره بالرغبات. المصدر السابق ص ٥٦.

(٥٦) «أول كتاب عربى فى تاريخ الفلسفة استقصى فيه صاحبه أخبار الفلاسفة، وتلاها ينبذ من أقوالهم.
فى باب الحكم القصار والأمثال «المبشر بن فاتك: «مختار الحكم ومحاسن الكلم»، المؤسسة العربية
للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠ ط ٢ ص ١ هذا وننشر الترجمة الإسبانية الأصيلة لكتاب مختار الحكم
العربى للكتاب أو الرجوع إلى مخطوطاته، وبهذا نعالج النقص الذى اعتور نشرة كوست من ناحية،
ومن ناحية أخرى نساهم فى إحياء أثر من آثار التبادل الثقافى العربى الأسباني فى القرن الثالث
عشر، هذا التبادل الرائع المثمر الذى يود (المعهد المصرى للدراسات الإسلامية) فى مدريد إضاءة
شعلته المقدسة من جديد» نفس المصدر ص ٦٧ تصدير عام ص ١-٦٧.

(٥٧) «وبهذا تكون قد وقينا هذا الشارح الفيلسوف العظيم ابن رشد حقه المهضوم بين بنى قومه»،
تلخيص البرهان، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٨٤ «وفى عزمنا أن نوالى نشر سائر ما فى هذين
المخطوطتين من تلخيصات لابن رشد حتى نفى هذا الفيلسوف الشارح العربى العظيم حقه المهضوم
لدى بنى قومه العرب، ابن رشد تلخيص الخطابة، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠ ص ١٥

(٥٨) «ولا نريد أن نتوسع فى هذا التصدير لأننا عزمنا على كتابة تاريخ الباطنية بمختلف فروعها فى
الإسلام اعتماداً على ما تيسر لنا الاطلاع عليه من كتب أصحابها من ناحية، وعلى الردود عليها من

ناحية أخرى، لأن مذهب الباطنية لعب دوراً خطيراً، ليس فقط في التاريخ السياسي، بل وخصوصاً في التاريخ الروحي للإسلام منذ القرن الثالث الهجري، ولا يزال له أنصاره حتى اليوم بين الإسماعيلية في الهند وباكستان وأفريقيا الشرقية، والدروز في سوريا ولبنان، والمذاهب المشهورة العديدة المنشقة على الإسلام» الغزالي، «فضائح الباطنية» الدار القومية، القاهرة ١٩٦٤ ص (١٥)

(٥٩) مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت، تصدير ص ٥-٦.

(٦٠) «وبالجملة فقد قصدنا من هذا البحث أن نقدم للباحثين في الغزالي الأداة الضرورية الأولية التي يستطيعون الاستعانة بها في تحقيق مؤلفاته وحصرها أملين أن ينشر من مؤلفاته الصحيحة ما لم ينشر، وأن يعاد نشر غير المحقق منها نشرأً علمياً دقيقاً، توكلت للقيام بأبحاث علمية سليمة عن هذا المفكر الإسلامي العظيم»، مؤلفات الغزالي، المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، الذكرى المئوية التاسعة لميلاد الغزالي، القاهرة ١٩٦١ ص ١٩ تصدير عام ص ٩-١٩.

(٦١) مخطوطات أرسطو في العربية، النهضة، القاهرة ١٩٥٩.

(٦٢) «فإلى هذه الناحية يجب أن تتوجه جهود الباحثين في ابن خلدون، فهي أجدي على البحث العلمي من كل هذه الدراسات المقتضبة المتكلفة التي تقوم على عقد مقارنات لا معقد للصلة بينها، وادعاء، دعاوى يابها التطور التاريخي للفكر الإنساني، وانتحال مذاهب وآراء في المقدمة لا تثبت لأقل نقد ولن تزيد من قدر ابن خلدون شيئاً، حتى إذا ما تحقق النص واستبان المصادر أمكن وضع معجم بالفاظه واصطلاحاته فنتيحاً بهذا كله الأداة الضرورية لفهم هذا المؤرخ الفيلسوف الاجتماعي العظيم الذي أنتج - كما يقول توينبي - أعظم كتاب من نوعه ألفه عقل إنساني في أي زمان ومكان. وإلى الإسهام في إيجاد هذه الأداة الضرورية السابقة على كل دراسة لابن خلدون قصدنا بهذه الدراسة عن «مؤلفات ابن خلدون»، مؤلفات ابن خلدون، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢ ص ١٠-١١.

(٦٣) الغلاف باللاتينية على يسار الكتاب لكتاب الخطابة لأرسطوطاليس وكذلك «الإشارات الإلهية»، أرسطوطاليس: «أجزاء الحيوان»، عيون الحكمة لابن سينا، الخطابة لأرسطوطاليس، تاريخ العالم لأوروسبيوس، أفلوطين عند العرب، أرسطوطاليس: في السماء والآثار العلوية، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية. والغلاف الثاني لكتاب نيتشه بالفرنسية، كذلك الغلاف الثاني لكتاب «مخطوطات أرسطو في العربية»، «التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية»، الشعر من كتاب الشفاء لابن سينا، رسائل فلسفية (الكندي والفارابي وابن باجة وابن عدي)، أفلاطون في الإسلام، وبالإسبانية «مختار الحكم ومحاسن الكلم».

(٦٤) «ونرجو أن يكون في إحياء تراث هؤلاء الأفاضل المغمورين بعض الاعتراف بأفضالهم وجلال أعمالهم»، أرسطوطاليس: الطبيعة (جزءان)، الدار القومية ١٩٦٤ ج ١ ص ٢٨.

(٦٥) رسائل فلسفية (الكندي والفارابي وابن باجة وابن عدي)، دار الأندلس بيروت ١٩٨٠ تصدير عام ص ٢١-٢٠، دون بيان الفرق بين النشرتين القديمة والجديدة أو اختلاف منهج التحقيق في طريقة إكمال النص بالحد الأقصى (محسن مهدي) أو الحد الأدنى (بدوي) والرسائل منشورة سلفاً، باستثناء رسالتين. ويحتوي التصدير العام على مادة استشرافية. وربما كان الهدف هو إبراز حكمة اليونانيين أحد كنوز حكمة الأمم، وهو هدف الليبرالية المصرية: الارتباط بالغرب وبمصادره.

(٦٦) «ونحن قوم قد تطور لدينا النثر في نهضتنا الحديثة في اتجاه أدبي باعد كثيراً بينه وبين التلازم مع النثر الفلسفي الذي يمتاز بالإيجاز والإحكام. ولابد لنا - من أجل إيجاد نثر فلسفي ظاهر القيمة - أن نعود إذن إلى ذلك النثر الفلسفي العربي القديم فنتأثره ونستلهمه كما فعلنا من قبل بالنسبة إلى النثر الأدبي. لهذا ترانا في حاجة ملحمة إذا إلى الاستعانة بالترجمات القديمة للمؤلفات اليونانية نستغلها ونديم الاطلاع عليها حتى نحقق في النهاية ذلك النثر الفلسفي الجديد الذي نرنو بأبصارنا المتطلعة بلهفة إلى إيجاده. وليس في هذا كله ما يدعو إلى أسر المرء لنفسه في قيود الماضي اللغوي بل هو - على العكس من هذا - يشد من أزر التوثب إلى خلق لغة جديدة لأن العود ها هنا عود استلهم واستيحاء لا عود تقليد واقتصار واكتفاء. فليطمئن للمجددين بالهم من هذه الناحية كل الاطمئنان». منطوق أرسطو، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨ ج ١ ص ٩.

(٦٧) «الآن وقد أكملنا تحقيق ما وصل إلينا من التراث الفلسفي اليوناني وأتممنا نشره بين الناس فإنه يحق لنا أن ننظر نظرة إلى الوراء وأخرى إلى الأمام، نتأمل في الأولى عناصر هذا التراث وكيف عرفه العرب، وفي الثانية نستخلص النتائج بالنسبة إلى ماضي الثقافة العربية ومستقبلها على السواء» دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨١ ط ١ ص ٧.

(٦٨) «والأمر نفسه ينطبق على ما نصبو إليه اليوم من حضارة عربية إسلامية، لكن ليس - فقط - بالنسبة إلى التراث اليوناني بل وأيضاً بالنسبة إلى الإنتاج الأوروبي الحديث والمعاصر. أما بالنسبة إلى هذا الأخير فعلياً أن نصنع صنيع أجدادنا مع التراث اليوناني، فننقل أمهات الإنتاج الفكري الأوروبي الحديث والمعاصر إلى العربية وتتولاه بالشرح والتحليل والعرض المبين مواكبة لتيار الفكر العالمي» المصدر السابق ص ١٣.

(٦٩) «أما بالنسبة للتراث اليوناني فعلياً أن نصنع صنيع الأوروبيين معه اليوم فنعيد ترجمته من جديد حسب ما وصل إليه التحقيق النقدي لنصوصه» المصدر السابق ص ١٤.

(٧٠) «وينبغي أن يتم هذا كله في حرية تامة بعيداً عن كل سلطة رسمية وعن كل إشراف متطفل، وعلى أيدي من يتقنون اليونانية ويتميزون بجودة العبارة بالعربية ويحيطون علماً بدقائق الفلسفة اليونانية» المصدر السابق ص ١٤.

(٧١) «إنما الشيء المؤلم حقا هو أننا لا نعثر في الربع قرن الأخير على نظراء لهؤلاء العلماء الأفاضل، رغم ازدياد عدد المشتغلين بتاريخ العلوم عند العرب ممن لا عمل لهم غير التثرثرة في المؤتمرات والتباهي بالضئيل التافه من الوريقات» المصدر السابق ص ٥٤.

(٧٢) «ما أعجب حظ أفلوطين في العالم العربي» أفلوطين عند العرب، النهضة ١٩٦٦ تصدير عام ١-٦٦.

(٧٣) «روح مذهب أرسطو كانت بعيدة عن إشباع نوازع الروح في الحضارة العربية لأنه كان يونانيا خالصا، أما أفلاطون الذي سرى فيه الروح الشرقي فكان أقرب إلى روح العربية، أرسطو نفسه لم يستطع الظفر بحق المواطن في الحضارة العربية إلا بعد أن طعم بدماء أفلاطونية وأفلوطينية» المثل العقلية الأفلاطونية، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ص ٧-٦١.

(٧٤) «ولسنا نزعم هنا في شيء أننا سرنا عليها بالدقة المطلوبة، فهذه هي هيات. إنما بذلنا الوسع في الاقتراب منها وكلنا أمل في اطراد هذه الأعمال البشرية نحو التدقيق وزيادة العناية، حتى نضع بهذا

لبنات الأساس للنزعة الإنسانية ذات الأصول العربية القديمة التي نسترسل بأمانينا إلى إيجادها استهلالاً للحضارة الجديدة التي نرجيها، أرسطو عند العرب، دراسة ونصوص غير منشورة، وكالة المطبوعات، الكويت ٢٢، ١٩٧٨، تصدير ص ٦-٦١.

(٧٥) «وهكذا جمعت النزعة الإنسانية العربية بين تراث أثينا وتراث روما»، أروسيوس، تاريخ العالم.

المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ٨٢ ج١/١٩٨٢ تصدير ص ٥.

(٧٦) «وهذه النزعة الإنسانية العالمية - التي بشر بها الحلاج ومجدها ابن عربي ودعا إليها ابن سبعمين -

هي نتيجة منطقية لقولهم بوحدة الوجود وأنه ليس ثم إلا الله. فكيف يحق له بعد هذا أن يفرق بين

ناس وناس، وبين وطن ووطن. نعم إن حبههم الشامل يشمل الإنسانية كلها بل والوجود كله، وإن

نظرتهم وأفاقهم تنتظم الكون بأسره». رسائل ابن سبعمين، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٦٥ ص ١٦.

(٧٧) «أن لنا أن ننفذ إلى صميم الحياة الروحية في الإسلام» شخصيات قلقة في الإسلام، النهضة

المصرية - القاهرة ١٩٦٤ ص ٢ «لكن ليس معنى هذا أننا نلعن أمثال هذه الحركات كل اللعنة بل لا

نرى غضاضة في قيامها. ماذا أقول! بل نحن ندعو إلى إيجادها في اللحظة التي تكون النزعات

التأويلية المغالية قد استنفدت إمكاناتها في مرحلة ما من تطور الدين، لكن لاعلى أن تحل محل هذه

الأخيرة بل لتدعوا إلى تأمل نفسها وما قطعت من مراحل ولتزداد من معارضتها ومقاومتها قسوة

وصلابة، فلكي يتحقق هذا التوتر الحى الذى يدونه تكون هذه النزعات المغالية نفسها فى خطر الجروح

إلى التحجر فى طورها- إن صح هذا التعبير الذى قد يبنى على شىء من التناقض - كان لابد من

الإصابة بهذه الأمراض المؤقتة ولهذا فإننا ندعو إلى الاحتفاظ بكل النزعات المتناقضة حتى يكون فى

حدة توترها حياة غنية للدين الذى تقوم فى أحضانها» المصدر السابق ص (ج - د).

(٧٨) هذه النصوص هي:

١ - ماسنيون: سليمان الفارسي والبواكير الروحية للإسلام فى البداية

٢ - ماسنيون: دراسة عن المنحنى الشخصى لحياة: حالة الحلاج الشهيد الصوفى فى الإسلام

٣ - كوربان: السهروردى الحلبى مؤسس المذهب الإشراقى

٤ - السهروردى: (رسالة أصوات أجنحة جبرائيل) ترجمها من الفارسية بول كراوس وترجم بدوى

شرحها الفارسي وفصلاً من مقدمة كراوس وكوربان.

٥ - ماسينيون، المباشلة.

(٧٩) إن شخصية السهروردى «قد تنبئت - خصوصاً- إلى أصولها العنصرية فشأت أن تتصل

مباشرة بالينابيع الإيرانية الأولى، تستلهمها المقومات الجوهرية لتكوين المضمون الروحى للعقيدة ذات

المصدر العنصرى الأجنبى، حتى جاء توكيداً كاملاً فى ناحيتين: الطابع العنصرى الفارسي،

والروحانية الشرقية. لهذا جاء النموذج الأعلى للشرقى بالمعنى العميق الدقيق لأنه هو الذى أقام النزعة

الإنسانية فى الحضارة العربية مستمدة من أصولها الحقيقية، أعنى الشرقية الخاصة، المصدر

السابق ص (هـ).

(٨٠) «وإذا كان سيقدّر لنا - معشر العرب اليوم - أن ننشئ حضارة جديدة فإن مشكلتنا اليوم مع

الحضارة الأوروبية الحديثة المعاصرة - وهى الآن فى نور النهاية. وإفساح الطريق لحضارة مقبلة

سيزنغ فجر ربيعها فى نهاية هذا القرن أو مطلع الألف الثالث - هى بعينها نفس المشكلة التى عاناها

- أسلافنا الذين أنشأوا تلك الحضارة العربية. فهل لنا أن نستنبط العبرة من تلك التجربة الأليمة
البياسة التي عاينها أولئك الأسلاف» المصدر السابق ص ١٥-١٦
- (٨١) «وأنا زعيم كذلك بأن هذا المعنى - وهو وحده - خليق بأن يردنا إلى الجادة المستوية التي تقادتنا
صواها البارزة إلى الغاية التي نرغبها في غير ما صلف نافر ولا مرء بدون غناء» «روح الحضارة
العربية»، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٤٩ ص ١١ «والصلة طردية في التأثير عكسية في الأصالة»
المصدر السابق ص ١٢ «وكان الكفاح عنيفاً مريباً شائناً - في الوقت نفسه - بين ضرورة التأثير
اللازمة وبين نوازع الأصالة المتوثبة» المصدر السابق ص ١٢.
- (٨٢) روح الحضارة العربية، ص ١٢-١٣.
- (٨٣) روح الحضارة العربية ص ١٤ ص ١٥.
- (٨٤) «المسائل التي يثيرها ما هنا من الخطورة بحيث لا تحتل التخمين دون المناقشة والرد أحياناً،
أما وليس ما هنا مجال لهذا فمن الخير أن ندع الخوض فيها ولو إلى حين»، روح الحضارة العربية،
بيروت، دار العلم للملايين ١٩٤٩ ص ١٣٤.
- (٨٥) «القصود من الترجمة إغراء القراء بقراءة الكتاب الذي لا يقتصر فقط على الأوروبيين الذين يجدون
فيه صورة واضحة للتراث العربي بل يمتد إلينا نحن العرب» المصدر السابق ص ١٣٧.
- (٨٦) المصدر السابق ص ١٢٨ - ١٥١.
- (٨٧) «خليق أن يعرض للفري صورة دقيقة للحياة الروحية في الإسلام في إطاره العالمي، وخليق كذلك
أن ينقل إلى العربي في لغته كيما يجد فيه نفسه زاخرة بمعان تتلمس سبيلها في نطاق الروحية
العليا» المصدر السابق ص ١٥١.
- (٨٨) «الوثبة الكبرى التي تشاهدها البلاد العربية اليوم بسبيلها خليفة بأن تعيد التوازن مرة أخرى بين
العالم العربي والعالم الغربي بعد أن اختل، منذ انهيار الإمبراطورية الإسلامية في القرن الثالث عشر
الميلادي» المصدر السابق ص ١٤٥.
- (٨٩) التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت ط ٤. ويضم
أربعة فصول:
- ١- وارث ومورث، تراث الأوائل في الشرق والغرب لكارل هينرش بكر.
 - ٢- انتقال التراث: من الإسكندرية إلى بغداد، ماكس مايرهوف، التراجم الأرسطاطاليسية إلى ابن المقفع
ليول كراوس.
 - ٣- الدين والتراث: موقف أهل السنة القدماء بإزاء علوم الأوائل لأجنس جولدزيهر، بحوث في المعتزلة
لكارلو ألفونسو نلينو، العناصر الأفلاطونية المحدثة والفنوصية في الحديث لأجنس جولدزيهر.
 - ٤- معارضة التراث: محاولة إيجاد المسلمين فلسفة شرقية لكارلو ألفونسو نلينو مع ملحق وتراجم
المستشرقين الثلاثة، بكر، جولدزيهر، نلينو.
- (٩٠) «وما نحن أولاء نقدم هذه الترجمة لدراسته الرائعة عن الخوارج والشيعية، تقدمها خالصة من فصول
التعليقات الزائفة التي انتشرت بيننا، عادة حشو ترجمات كتب المستشرقين بها، انتشاراً يدعو إلى
بالغ الأسف، ونرجو أن تكون للقارئ العربي مصدراً ثميناً من مصادر العلم بتاريخ العرب والإسلام
ونموذجاً يحتذى مناهجه حين البحث في هذا التاريخ الذي لم نكُن نحن الباحثين العرب أن نسهم فيه
بما يُعتد به حتى اليوم، مع أنه تاريخنا نحن، وأخلق الناس بالمساهمة فيه»، فلهاوزن: الخوارج

والشيعة، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨ ص (ك).

(٩١) أسين بلاثيوس: ابن عربي، حياته ومذهبه، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت ١٩٧٩
تصدير ص ٧-٢٠.

(٩٢) وهما دراستان: نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين، مصدرها وتصديرها الشعبي لهانز هنريش
شيدر، الإنسان الكامل في الإسلام وأصاليته المنشورية للوى ماسنيون، بالإضافة إلى نصوص غير
منشورة حققها المترجم وملحق خطبة البيان، الإنسان الكامل في الإسلام، دراسات ونصوص غير
منشورة، النهضة، القاهرة، ١٩٥٠.

(٩٣) «بين تأليه الإنسانية وتأسيس الأوهية سعت فكرة الإنسان الكامل في الحضارة الإسلامية حتى عبر
هوة اللانهاية بين المخلوق والخالق، تلك الهوة التي انبثقت عن ينبوع الروح السحرية فكانت مصدراً
مزبوحاً لقطبين متناقضين لديانتها وإدانتها. وفي حنايا هذا السعي الجميل تلبثت مرارا لتستزج
أنسام الانعتاق من أسر العبودية التي فرضتها على نفسها أزلية أبدية، حتى عدت الحرية التي
استباحتها لذاتها في لحظاتها العالية لوناً من التجديف بل الكفران. فما من عجب بعد هذا في أن
يكشف لنا تطور هذه الفكرة عن مصير الوجود الإنساني في تلك الحضارة، أعنى عن مطامعه
ومصارعه، عن ملاهية ومأسية، والفكرة بدأت دنيوية وانتهت أخوية في توازن تام مع مال الروح
العربية التي استهلكت وجودها قوية، أعنى إنسانية، ثم خرت صريع العلة الأولى القاطنة، علة
الاستقطاب الذي مزقتها فأسلمها - في نهاية المطاف - إلى قوى خارقة، أعنى لا إنسانية، أفما أن لنا
اليوم معشر صحبي أن نستنبط العبرة كل العبرة من تطور تلك الفكرة؟» المصدر السابق ص ١٤.

(٩٤) شهيدة العشق الإلهي، رابعة العدوية، النهضة المصرية.

(٩٥) «وسنوالى دراسة سائر مراحل تاريخ التصوف الإسلامى، قرنين قرنين، حتى نستقصى تاريخ هذا
الجانب الأصيل العميق فى الحياة الروحية فى الإسلام» تاريخ التصوف الإسلامى من البداية حتى
القرن الثانى، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٥.

(٩٦) يتضمن مجرد أربعة فصول تقليدية أشبه بالمقررات الجامعية. الأول عن المصادر، والثانى عن زهد

النبي والصحابة، والثالث عن الحسن البصرى وأصحابه، والرابع عن كبار الصوفية فى القرن الثانى.

(٩٧) «قصداً إلى إحياء بعض من العناصر الممتازة الخليفة بالبقاء فى تراثنا العربى حتى نعانى من وراء

تمثله من جديد تجربة حية خصبة، من شأنها أن تهين لنا حاضراً أدياً، فى كيانه المتصل تجتمع

إمكانيات تطورنا الروحى القومى. فتتداعى اللحظات الزمانية لوجودنا الواعى وهو بسبيل الوثبة

الخارقة إلى نطاق المجد الحضارى المأمول، وفى أهدافنا إلى تلك الغاية حاولنا أن نتجافى عن

التمجيد الزائف بقدر ما نبذنا الأزدراء المتعالى، على الرغم مما قد يفيد كلامنا فى أحوال نحسب

أنفسنا قد صرنا من جانبنا بمعزل عنها: من فوقها أو من روائها سواء. فقد أن لنا أن نذر ذلك العهد

السلبى كى ما نشد خيوط المصير إلى نول الإيجاب والبناء» الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى،
وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ١٩٨٢ ص ٧.

(٩٨) «نقدم نموذجاً أولياً لما عسانا أن نقوم به فى هذا السبيل، ونقول: أولاً، لأنه لا تزال تعوزه الشجاعة

والحرية والتمرد والخصب، فعلينا أن نوغل فى هذا الطريق إلى أبعد حد غير مكثرين مطلقاً

لحشرجات الجيف الحية التى تزعم فى نفسها القدرة على الوقوف فى وجه التحرير الأكبر الذى نفذ

فى سبله رغما عنهم. وأشهد أنى توسمت هذا السيل يشق مجراه الظافر فى نفوس الصفوة من

شباب لبنان فإليهم وإلى أترابهم من شباب العرب في كل الأمصار أقدم هذه الصفحات التي تفيض بالإيمان بهم وبما ينتظرننا من مصير وضاء» المصدر السابق ص ٨ - ٩.

(٩٩) «ذلك الفعل الأصيل للإنسان في تحقيق ممكناته، ونعني به النزعة الإنسانية حتى تقوم هذه المرحلة التمهيدية الحاسمة على أساس ثابت يمتد فرعه إلى سماء التوثب المتصاعد في معراج اللانهاية» المصدر السابق ص ٧ - ٨.

(١٠٠) «ولما كانت النزعة الإنسانية تواكبها بالضرورة - كمعبر إلى الصورة الجديدة - نظرة صوفية تنبع من أعماق الوجود الأصيل للروح الحضارية وهي في دور تكوينها ونشوتها - إذ للصوفية أثر خطير في تشكيل تلك الروح في هذا الدور - فقد كان علينا أن نعود إلى تجربتنا الصوفية التاريخية لنستعينها في تجربتنا الحاضرة فنشجع فيها الحياة بفضل آخر صورة قدر لها الظهور في الحضارة المحتضرة، وهي المذهب الوجودي الذي يقوم على الحد الفاصل بين كلتا الحضارتين المتداعية والتاشئة، شأنه شأن الأفلاطونية الحديثة فيما بين الحضارتين المتداعية والعربية أو اليونانية والأوربية الغربية» المصدر السابق ص ٨.

(١٠١) «والشعر من غير شك هو التعبير العاطفي المناظر للتجربة الصوفية في الدور الأول للحضارة الوليدة. ولهذا كان عهد ازدهاره الأعلى في تلك الفترة في كل الحضارات.. وهو الشعر الوجودي» المصدر السابق ص ٨.

(١٠٢) وهنا يأتي الدين صورة ثالثة في تناظر كامل مع الصورتين الأخريين على أن يستحيل إلى تصور جديد تراعى فيه مقتضيات الروح الجديدة على الرغم مما قد ينال الصورة القديمة من تعديل بل من تحوير كامل يصل أحياناً حد النسخ المطلق وإلا لما كان فيه بعد غناء» المصدر السابق ص ٩.

(١٠٣) «وما نحن أولاء اليوم - معشر الشباب العربي المتوثب - بسبيل إيجاد نزعة إنسانية جديدة ولكننا لا نزال حيارى في معرفة الطريق إليها. إنما يخلق بنا أن نعتبر بالتجربة الإنسانية التي عاناها أسلافنا هؤلاء. تلك منى دعوة وتحذير معاً» المصدر السابق ص ٦٩.

(١٠٤) «إمكان اتخاذنا من الصوفية الإسلامية مصدراً نصدر عنه في مذهبنا الوجودي العربي الذي نريد إقامته فلسفة شاملة لجيلنا هذا في العصر لا يعني نبذ كبر كجارد وهيدجز وياسبرز فلولاهم لما عرفنا الوجودية وألبحث عن مصادرها العربية، هم المصدر الأصلي تتمثلهم حتى يتيسر لنا إقامة وجودية عربية راسخة الدعائم مثبتة القواعد، ثم لا ننبذهم بل نودعهم حتى آخر حدود بلادنا العربية بحضارتها الجديدة شاكرين لهم زيارتهم الخصبة المبدعة لعالمنا الفكري قائلين: إلى اللقاء في الميدان العام للروح الإنسانية الواحدة. ومن يدري لعلهم أن يصبحوا آنذاك هم الآخرون من عشيرتنا الأقرين» المصدر السابق ص ١٠٦ - ١٠٧.

(١٠٥) «فأية روعة في تقويم الحرية الفكرية نراها غير الرسول وأصحابه. إن في هذا لأنبيل نموذج لتقدير حرية الفكر وتقديس الكرامة الإنسانية. وإن فيه لأعمق عبرة نفيد منها في احتفالنا بمولده الكريم» المصدر السابق ص ١٦٠.

(١٠٦) «تلك هي الملامح الإجمالية العامة لصورة هرمس في تطورها حتى الفكر العربي، وفيها نبدي في الوقت نفسه المميزات البارزة للروح العربية، وبخاصة ما يتصل منها بالنزعة الإنسانية» المصدر السابق ص ١٧٥.

(١٠٧) «أولا يسع المرء إلا أن يمتلئ إعجاباً بهذا الجو الطليق الذي هيئه الإسلام للفكر في ذلك العصر،

مما يدل على ما كان عليه العقل الإسلامى فى ذلك العصر من خصب ونسوج. أترى يتحقق مثل هذا الجو مرة أخرى فى حضارتنا العربية التى نأمل فى إيجادها؟

من تاريخ الإلحاد فى الإسلام، دار سينا للنشر، ط ١ / النهضة ١٩٤٥، ط/٢، ١٩٩٣ ص ٢٦٣

(١٠٨) التأليف حوالى ٩٠ صفحة والترجمة حوالى ١٧٠ صفحة، أبى الضعف.

(١٠٩) (ابن المقفع) تأليف جابريللى ، (باب برزويه) تأليف بول كراوس، (تعليقات على ابن المقفع) تأليف تالينو.

(١١٠) المصدر السابق ص ٨٩ - ٢١٩.

(١١١) وسيجد القارئ أن أسلافنا هؤلاء بلغوا فى التحرر الفكرى فى أمور العقيدة مبلغاً عظيماً صرنا نتمنى اليوم أن نصل إليه بل أن نقرب منه. ونرجو من وراء هذا أن يكون وسيلة إلى تجديد التفكير الإسلامى بعامة بحيث يجعل نقطة انطلاقه من آخر مرحلة وصل إليها هذا الفكر المتعمق الواسع الأفاق بعد أن ران علينا خلال سبعة قرون أو يزيد جمود شديد. فمن هذه المناهل الثرية الأصلية المتدفقة ينبغى أن يكون نورنا واستلها منا، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت ج ١، ١٩٧١ تصدير ٣-٤.

(١١٢) ثم إنى - بطبعى - أرفض كل دعوى تدعى لنفسها أنها وحدها تملك الحق أو أنها وحدها تمثل الدين الصحيح، وشواهد تاريخ الأفكار أبلغ دليل على تهاقت هذا الادعاء، والخير كل الخير فى أن يكون الدين مفتوحاً لكل الاتجاهات، غنياً بشتى التجارب، حافلاً بديناميكية الحياة، إن تعثر فى الشكل نبذه أو استبدله. وإن افتقر فى المضمون أغناه وتعمقه» مذاهب الإسلاميين ج ٢ ص ٥-٦.

(١١٣) «وبالجملة ففى الكتابين أفكار سياسية عصرية إلى أقصى حد. ولو قدر لولاة أمور المسلمين أن يراعوها حق رعايتها لما انهارت بولة الإسلام انهياراً لم تنهض منه حتى اليوم. ونحن نرجى أن يكون فى تدبير المعانى العالية التى يتضمنها هذان الأثران النفيسان ما يحفزنا نحن العرب والمصريين بخاصة إلى أن ننشئ بولة الغد العربية الواحدة الشامخة والأصول اليونانية النظريات السياسية فى الإسلام» النهضة، القاهرة ١٩٥٤ ص ٧٥.

Défense du coran contre ses cirtiques unicitye Paris 1989 PP 4-8 (١٧٤)

ويضم:

- ١- ماذا يعنى الوصف «أمى» الذى يطلق على النبى محمد (ضد شبرنجر، فنسك، هوروفتزابول.
- ٢- الموازاة الخاطئة بين القرآن والعهد القديم (ضد جيجر، هيرشفيلد، سيدرسكى جانو-بل - أندريه - كليرمونت.
- ٣- معنى كلمة «فرقان» (ضد بلاشير).
- ٤- الافتراضات الخيالية لمرجوليوت.
- ٥- اجتنس جولديزهر والقياس الخاطى بين الإسلام واليهودية.
- ٦- الصابثون فى القرآن (ضد بيدرسون، كارادى فو).
- ٧- الرسل فى القرآن (ضد تخيلات فنسك).
- ٨- قراءة هللنيسيتية خيالية للقرآن (ضد موير - بل آرثر).
- ٩- هل للبسملة مصدر فى العهد القديم (ضد نولدكه - شقالى).
- ١٠- فشل كل محاولة لترتيب زمانى للقرآن (ضد نولدكه، جريمه، بلاشير، بل).

١١- مشكلة الألفاظ الأعجمية في القرآن (ضد دفورجك، فرانكل، جيفرى، مينانا)

١٢- حول النداء القرآني «يا أخت هارون» (ريلان، إيرهارت).

١٣- مشكلة هامان

Défense de la vie du prophète Muhammed contre ses detracteurs. (١١٥)

Ed.Afkar. paris 1990 pp 5-6.

ويضم ستة فصول ومقدمة.

مقدمة: أسطورة محمد في أوروبا، عشرة قرون من الكذب الشرير والتهم الكاذبة.

١- صدق محمد فيما يتعلق برؤاه للملائكة الأعلى.

٢- حسية الرسول المفترى عليها.

٣- سياسة محمد تجاه خصومه: محمد واليهود، محمد والمسيحيون، سياسة محمد تجاه العرب

٤- وفاء محمد بالعهد المعقود.

٥- النظم الإسلامية والتأسيس النهائي لها من الرسول: الصلاة، الصوم، الحج، الزكاة، الاختلافات بين

الإسلام والاشتراكية.

٦- نقد الصحة التاريخية للرسالة، خطب الرسول وأحاديثه.

(١١٦) «هذه صفحات أملتها قشعريرة فكر تجلى له الموت على قمة العدم، فأضاء لذات السبيل للكشف

عن الحياة الملبنة، وهي تتبع من عين الوجود. وها هي ندى تسلك الطريق إلى سدرة المنتهى حيث تلتقى

ذروة البقاء بهايوة الفناء «الموت والبعثية»، دار القلم، بيروت ص (ج).

(١١٧) من الغربيين يميل إلى ستفانز فايچ، وهيلدرن، وماربه بسكرنست، ونوفاليس، وأوغسطين، وموريس

دى جران، ومن العرب والمسلمين يميل إلى امرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة، والرازي وابن سينا

والحارث المحاسبي والغزالي وعبد اللطيف البغدادي ولسان الدين بن الخطيب وابن خلدون والجزري

والسخاوي والشعراني ومسكويه وحنين بن إسحق وابن الهيثم وعلى بن رضوان المصرى والبيهقى

والسموأل

(١١٨) «هذه دراسة بسيطة موجزة عن الوجودية قصدت منها إلى إعطاء القارئ العربى فكرة واضحة عن

المذهب الذى اختلط اسمه فى ذهنه بمعان ليست لها به أية صلة، رغم أن الوجودية مذهب فى الوجود

محدد تمام التحديد يقوم على مبدأ أساسى سهل بسيط، هو أن وجود الإنسان هو ما يفعله. فأفعال

الإنسان هى التى تحدد وجوده وتكونه. ولهذا يقاس الإنسان بأفعاله. فوجود كل إنسان بحسب ما

يفعله، وذلك ضد مذهب القائلين بالماهية، أى الذين يفترضون ماهية سابقة على وجود الإنسان وغنها

تنشأ أفعاله ووفقاً لها يحكم عليه وبها يحدده» دراسات فى الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية

للدراسات والنشر ط/١ ١٩٨٠ ص ٥.

(١١٩) فى الشعر الأوروبى المعاصر، الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٦٥، يتضمن دراسات عن رلكه فى

مصر، هيلدرن، ولوركا، وسان جون بيرس، وكوكتو الشاعر والنقاد. وكلوديل والشعر، ونيتشه،

وشوبنهور وهيجل وعلاقتهم بالشعر والموسيقى، وهرمان كوهن واشبنجر وعلاقتهم بالموسيقى.

(١٢٠) «الأدب الألماني فى نصف قرن»، الكويت ١٩٩٤ سلسلة عالم المعرفة ١٨١.

(١٢١) تضم المقدمة حياته وشعره، والعلاقة مع الأميرة ماريه تورن، وتاكسس وتنقلاته فى باريس،

وألمانيا، وسويسرا، ونشاطه إبان الحرب العالمية الأولى وعن قصائده الأخيرة ومرضه ووفاته.

(١٢٢) «والشخص المبدع هو الذى يعكس فى روحه كل خصائص الحضارة التى ينتسب إليها، وبدوره يعطيها خصائص جديدة. فهو إذن سلبى يخضع لخصائص الحضارة من ناحية، ومن ناحية أخرى إيجابى يخلق للحضارة ميزتها ويضع لها قيماً خاصة. ومعنى هذا أن للفردية والشخصية دخلاً كبيراً فى تكوين كل فلسفة. وبهذا نكون قد أرضينا النزعة الفردية، وعلى هذا المنهج الذى رسمه لنا اشبنجلر سنسير فى دراستنا لتاريخ الفلسفة اليونانية. (ربيع الفكر اليونانى، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٤٦ ص ٣٢)

(١٢٣) «وما نحن أولاء نجدد اليوم هذا النداء متوجهين به إلى المؤمنين بالروح الجديدة لحضارة جديدة، كى تثبت الإنسانية فى عرشها من جديد فى العصر الذى سادت فيه الآلية، فاخترت الإنسان تحت نيرها الجبار الذى لا يرحم. ولكننا أمل وثاب فى أننا نستطيع نحن المؤمنين بهذه الروح من أبناء هذا الجيل أن نقيم إن عاجلاً أو آجلاً عالماً ممتازاً من القيم الروحية الإنسانية العليا» المصدر السابق ص (ج)

(١٢٤) «وأفلاطون هذا الحى، هذا الملهم الأكبر، هو الذى تقدمه الآن إلى المؤمنين بالروح الجديدة لحضارة جديدة من أبناء هذا الجيل. تقدمه هنا مادة ساذجة حاولنا - قدر المستطاع - أن نستخرجها كما هى فى متحف التاريخ، أعنى كمضوحى فى روح الحضارة اليونانية. مثل - هو وأستاذه سقراط وتلميذه أرسطو - صيف هذه الحضارة - أى أوجها وأعلى ما بلغته من سمو حضارى، وهم - من أجل هذا - يكونون ثالثاً عضواً متحد الأقانيم، الأب فيه سقراط، والابن أرسطو، والروح القدس أفلاطون، إن جاز لنا أن نستخدم مثل هذا التشبيه. واستمنا فى إعداد هذه المادة بالنتائج التى انتهى إليها قرن من الدراسات الفيلولوجية الدقيقة استخلصناها نقيّة من غبار النقد الفيلولوجى وأشعنا فيها الحياة بفضل المنهج الحضارى والتجربة الحية، حتى أتت - فى النهاية - تمثالاً من المرمر الناصع لا أثر فيه لصناعة الفنان. لكنه تمثال على كل حال. فدع لأولئك المؤمنين أن يتمثوه فى نفوسهم حتى يستحيل إلى تجربة حية عميقة، ويشيع فى باطنهم روحاً جديدة، ويصورونه على غرارها، فيكون ينبوعاً دافقاً من ينباع الخلق الروحى المنشود».

أفلاطون، النهضة ط/٢، القاهرة ١٩٥٤، تصدير عام.

(١٢٥) «وما نحن أولاء نقدم لهذا المارد الفكرى صورة تحليلية دقيقة، راعينا فيها التطور الحى، أعنى الأشكال المستمرة والتوتر الفكرى الحاد والتناقض الخصب الذى ينحل على أساس المنهج التاريخى حتى نستطيع أن نجدد فى نفوسنا اليوم ما عاناه من تجربة حية هائلة لعلها أن تكون أعظم ما عرفته الروح الإنسانية من تجارب حتى الآن» أرسطو، النهضة المصرية ط/٢، ١٩٤٤ ص (ى).

(١٢٦) «فوداعاً إذن أيتها الروح الإلهية الخالدة، وداعاً أيتها المعجزة الإنسانية الكبرى، وداعاً أيتها الرمز الأعلى للنبل والحق والجمال. ها أنت قد حققت الصورة العليا للإنسانية وتجسدت كل القيم الأزلية، وهديت الإنسان سواء السبيل، وما على الأجيال المتلاحقة إلا أن تقيم لعبادتك المراسم والطقوس صادرة فى كل نبيل من الفعال عن وحيك. وما علينا - نحن المؤمنين بقداستك المستلهمين لروحك - إلا أن نحاول اليوم جهدنا أن نجددك وأن نخلق روحاً جديدة على غرارك، إن كان شىء من هذا فى الإمكان». خريف الفكر اليونانى، النهضة المصرية، القاهرة ط/٢، ١٩٤٦ ص (و).

(١٢٧) «وهكذا ينبثق من ظلمات أوائل العصور الوسطى فجر العلم والفكر الحديث، والفضل فى ذلك لرجال الفلسفة فى العصور الوسطى جميعاً. فبهم تخلصت الإنسانية من قيود العبودية الفكرية،

واندفعت إلى طريق الحرية التي تسير فيه قدماً إلى مستقبل وضاء».

فلسفة العصور الوسطى، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢ ص (يد)

(١٢٨) يضم (ربيع الفكر اليوناني) - بعد مناهج تاريخ الفلسفة والروح اليونانية - استعراضاً للمدارس الأيونية والفيثاغورية والإيلية وهرقليطس وأنبادقليس والذرين وأنكساجوراس والنزعة السوفسطائية التي تمثل عصر التنوير.

(١٢٩) سقراط، البداية والمنهج، ثم الأخلاق والطبيعات والإلهيات، حتى صحة المصادر. ثم حياة أفلاطون

والمشاكل الأفلاطونية، بداية نظرية الصور ثم الطبيعات والنفس والأخلاق والسياسة والدين والفن.

(١٣٠) لم نستطع - للأسف - الاطلاع على ثلاث دراسات له تمت في بنغازي بليبيا عن «الدرسة

القورينائية» بنغازي ١٩٦٩ كرنيداس القورينائي، بنغازي ١٩٧٢. سونسيسوس القورينائي، بنغازي

١٩٧٢.

(١٣١) وذلك مثل أوغسطين، أريجين، بونافنتورا، لا تسليم، إبيلا، توما الأكويني، ذنرسكوت، وليم أوكام،

كأعلام.

(١٣٢) «كشفت رائع عن جانب رائع من عبقرية هذا المفكر العربي الفذ الذي نحتفل بترائه العلمي هذه

الإيام»، نور العرب في تكوين الفكر الأروبي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت ط/٣،

١٩٧٩ ص ١٤٢.

(١٣٣) «لاستعدنا هذه المكانة في الفكر الإنساني في الحاضر والمستقبل، الذي نرجيه مشرقاً زاهراً

إنسانياً عالمياً كما كان في الماضي» المصدر السابق ص ١٦٦.

(١٣٤) «لئن كانت الحرب الماضية قد هيأت الفرصة لهذا الوطن كي يثور ثورته السياسية، فلعل هذه

الحرب الحاضرة أن تكون فرصة تدفعه إلى القيام بثورته الروحية. فليس من شك في أن هذا الوطن

في أشد الحاجة إلى الثورة الروحية على ما ألف من قيم وما اصطالح - حتى الآن - عليه من أوضاع

في أشد الحاجة إلى أن يطرح هذه النظرة القديمة في الوجود وفي النياة، كي يضع مكانها نظرة

أخرى كلها خصب وكلها قوة وكلها حياة. وفيها تعبير واضح عن كل ما يخالج ضميره من مطامح

نحو السمو ونحو العلاء، وشعور حي نابض بالنزوع إلى تطور روحي هائل تصاعد فيه قواه مندفعة

متوترة حادة متوثبة خالقة تبدع - في كل طور من أطوار هذا التصاعد - صوراً للوجود خصبة

سامية، وقيماً للحياة جلييلة عالية، في الإيمان بها إيمان بإمكان خلق جيل من أبنائه عظيم، وفي

تحقيقها تحقيق لنوع من الحضارة زاهر ممتاز. وليس من شك في أن الشعور بهذه الحاجة قائم في

نفوس أبنائه، تستطيع - إذا أرهفت النظرة - أن تكتشفه فيهم واضحاً حيناً، غامضاً في معظم

الأحيان، فهم لم يعودوا يمنحون القيم القديمة المساندة من الثقة والإيمان ما كانت تمنح من قبل،

واللوحة التي كانت مرتسمة في مخيلة آبائهم للحياة السامية والوجود الممتاز قد بهتت ألوان الكثير من

أجزائها، وانحسر عنها الضوء قليلاً قليلاً. وأصبحوا ينكرون اليوم ما كان أسلافهم يحتفلون له أشد

الاحتفال، ويتبرمون بأشياء كانت من قبل في موضع التقديس. وكانت نتيجة هذا كله أن أصبحت

الطبقة الممتازة من أبناء هذا الجيل تندفع نحو الشك في قيمة الكثير من مقدس الأشياء وتقتحم

عيونها طائفة من المسائل كانت في نظر السابقين مشاكل تقلق بالهم وتثير همومهم فكانوا يحيطونها

بهالة من الرهبة والإجلال. فهذه الطبقة على حال من الشك قد يبلغ عند البعض درجة اليأس والقنوط

في كل شيء من القلق قد يصل إلى حد العذاب وفي حيرة متذبذبة تدفع ذات اليمين وذات اليسار».

نيتشه، النهضة المصرية، القاهرة، ط/٣، ١٩٥٦ تصدير عام.

(١٣٥) «وهى - من أجل هذا كله - فى حاجة إلى اكتشاف نظرة فى الوجود جديدة تؤمن بها وتحاول تحقيقها فى الحياة، ويكون فيها عوض عن تلك النظرة القديمة التى لم تعد تؤمن بها لأنه ليس فى وسعها بعد هذا الإيمان. ولابد لهذه النظرة الجديدة أن تكون متفقة مع أحوال العالم الحاضر، محققة لمقتضيات هذا العصر، باذلة جهدها فى التوفيق بين متناقضاتها وفى حل ما تستطع من مشكلاته، حاسبة حسابها لكل ما يعج به من مسائل وكل ما يضطرب فيه من أحداث. فليس حلاً للمشاكل أن تلغىها أو تفر منها وتتناساها. فلكى تضمن - إذن - لهذه النظرة الجديدة الحياة، ولكى تكون لها قيمة - حقاً - فى السمو بالحياة والارتفاع بدرجة الوجود ولكى تكون قادرة على إشباع هذه الحاجة التى تشعر بها نحو خلقها وإيجادها، لا مناص لنا من أن نجعلها شاملة تواجه كل مشاكل هذا العصر بما فيه من أشكال وتعقيد. أما هذه الطول السانجة الهيئة التى تحل مشاكل العصر حلاً وهمياً بالفرار منها أو بإلغائها فلا نفع فيها ولا غناء، بل فيها الضرر كل الضرر والخسران كل الخسران. فلنكن على حذر من دعائها ولنحاربهم بكل ما نستطيع، فليس فيما يدعوننا إليه من رجوع إلى نظرات فى الوجود قديمة، عشنا عليها حيناً، واستطعنا من قبل أن نبني عن طريق الإيمان بها مجداً إلا الضياع والخسران المبين. وليس هؤلاء الدعاة - فى الواقع - إلا دعاة اضمحلال بشيوعون روح الانحلال ويخدرون أعصابنا بلحن الغناء الذى انحصرت مهمتهم فى الحياة.

وإلى التمهيد لإيجاد هذه النظرة الجديدة قصدنا، حين فكرنا فى هذا المشروع الضخم، مشروع تقديم خلاصة الفكر الأوروبى إلى أبناء هذا الجيل. فنحن نريد عن طريقه أن نعرض عليهم العقل الأوروبى. وهو يناضل ويجاهد فى سبيل إعطاء نظرة فى الحياة وفى الوجود من شأنها أن تخلق طابعاً ممتازاً من الإنسانية وصورة جليلة سامية من صور الحضارة. نريد أن نبين لهم كيف يفكر هذا العقل ويبدع ويخلق، وكيف يتطور فتتطور معه صور الوجود وقيم الحياة. نريد أن نورد لهم هذه اليتابيع الفياضة الحية التى تتبثق من الرجل الأوروبى فى تدفق وباستمراره. المصدر السابق، تصدير عام.

(١٣٦) «ولسنا نريد منهم أن يؤمنوا بمذاهب هذا الفكر ويسيروا فى الاتجاه الذى فيه سار، دون افتراق عنه أو محاولة لإنكاره ومخالفته. فليس يعنيننا من أمر هذا الإيمان شئ. وإنما الذى يعنيننا والذى من أجله أخذنا أنفسنا بمهمة العرض والتحليل لهذا الفكر هو أن نمهلهم على أن يفكروا فيما فكر فيه العقل الأوروبى، ويتأملوا فى المشاكل التى أثار، والحلول التى قدم وأن ينظروا نظراً عميقاً فيه حرص وفيه جد فيما أتى به من نظرات فى الحياة وفى الوجود، كى يتخذوا من هذا النظر وذلك التأمل والتفكير دافعاً ومادة وأداة، من أجل إيجاد هذه النظرة الجديدة التى باسمها سيعطون ثورتهم الروحية المنشودة. نحن لا نقدم إذن حلولاً قد تم صنعها وإعدادها فأصبحت صالحة للاستهلاك. ونحن لا نتقدم إليهم بنماذج نهائية كاملة وليس عليهم من بعد إلا التقليد والاحتذاء. إنما نضع فى متناول أيديهم مادة ثمينة للتفكير الحى الخصب، وتحت أنظارهم أمثلة خليق بهم أن يتأثروا ويستلهموها وصوراً حية قوية آخر ما وصل إليه الفكر الإنسانى فى تطوره وسموه كى يبدؤوا نحوهم منها بعد أن يهضموها ويتسلطوها ويعلموا عليها بعد أن يكونوا قد بلغوها. ومن أجل هذا كله قد اخترنا من موضوعات هذا الفكر الأوروبى ما يمثله أحسن تمثيل، ويعبر عن سموه أصدق تعبير. فاخترنا الفلاسفة والمفكرين والشعراء الفلاسفة. ومن هؤلاء جميعاً لم نختر إلا أقدريهم على الإلهام وإثارة التفكير وأقربهم إلى روح العصر وأعظمهم أثراً فى تطور أوروبا الروحية وأشدهم عناية بمشاكل

الإنسانية الحقيقية وأحرصهم على أن يكون فكرهم حياً ينبض بدماء الحياة خصباً يقدر على النمو من بعدهم والإنتاج، جريئاً يهاجم المشكلات، حراً يبدد ما قدس من أوهام، ثم اخترنا - من بعد هؤلاء - روح الحضارة الأوروبية نعرض تطورها ونحلل أنوارها، ونكشف عن جوهر كل واحدة منها، حتى تكون لدينا صورة كاملة للروح الأوروبية في نموها ووقوفها ومدعها وجزرها ومنحنيات تطورها. وما نحن أولاء نضع الآن بين يديك أول صورة من صور الفكر الأوروبى، صورة حية قوية فيها عنف وفيها قوة وفيها تناقض وفيها اضطراب وفيها خصب وفيها حياة. ونحن نعلم - مقدماً - أنك لن تطمئن إليها، وأن الكثير من القلق سيساور نفسك بإزائها. ونخالنا نرى عينيك الآن وهما تتسعان دهشة واستغراباً ونحس بقلبك وهو يهتز جزعاً منها وقشعريرة، ولكننا نعلم - أيضاً - أن هذه الهزة هي القدرة - وحدها - على انتشالك من ظلمة الهوة التي أنت فيها إلى حيث نور الفكر الحر والنظر الصحيح إلى الأشياء، وأن هذه القشعريرة هي الخليفة وحدها بأن تدفعك إلى الخلق المستمر والإبداع. وتلك الصورة صورة فكر نبتشه» المصدر السابق، تصدير عام.

(١٣٧) يبدأ الكتاب بنظرة أولى لدورة التطور من اليونان إلى شوينهور، ثم أربعة أقسام: الأول: طبيعة خارقة (وراثة متبناة، صورة قلقة، أزمة روحية، صداقة مآكرة، وحدة ضرورية، وهن صحى، الثقافة سريعة) وعصر مضطرب (قرن معقد، أعراض انحلال)، تحطيم الأصنام (أصنام الأخلاق، أصنام الفلسفة)، وحى زرادشت (إرادة القوة، هذا الوجود، الإنسان الأعلى). ويضع شعار القسم الثانى، «حضارتنا الأوربية تضطرب كلها منذ زمان فى عذاب توتر يزداد سنة بعد سنة، كأنها موشكة على كارثة عظيمة فى خلقة».

وشعار القسم الثالث «عيفة مندفة ومثلها مثل السيل يندفع نحو النهاية.. خاف أن يراجع نفسه». وشعار القسم الرابع «أنا شدمك يا أخوتى أن تظلوا إلى الأرض مخلصين».

(١٣٨) «كى نستخلص منه دروساً لعلها أن تكون قاسية وشديدة الوطأة على دعاة الانحلال، ولكنها - من غير شك - أثنى ما نحتاج إليه فى هذه السطور من دروس»

اشبنجر، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٨٢ ص ٧ «تلك هي الدروس العالية التي يلقيها علينا اشبنجر فلنأخذ بما فيها، إن كنا نريد حقاً أن نكون للتاريخ خالقين» المصدر السابق ص ١٠.

(١٣٩) «كل هذا يدل على أن العذاب الذي تعانیه الحضارة الأوربية اليوم ليس عذاب أزمة طارئة لابد يوماً أن تزول، وإنما هو عذاب كارثة هائلة بها تنتهى مأساتها الطويلة الرائعة. لكن نداء غامضاً يساعد من أعماق الوجود الحى أذاناً بميلاد روح حضارة جديدة - هل سمعت يا مصر هذا النداء» المصدر السابق، آخر صفحة ص ٢٠٥.

(١٤٠) يتضمن الكتاب ثلاثة أقسام: الأول الثورة الكوبرنيقية الثانية، والانتقال من التصور الالى القديم

إلى الرؤية الحيوية الجديدة عند الرومانسيين هيجل وهيلدرن، وفلاسفة الحياة: دريش وبلتاي وزمل وبرجسون، وثورة علوم الحياة على النموذجين الرياضى والطبيعى، والانتقال من العلية إلى المصير. والثانية روح الحضارة، والحضارة هي اللغة التي تعبر بها الروح عما تشعر به. وهي الظاهرة الأولية، الخلية الحية الأولى فى الجسم. وهي مستقلة عن المادة. فقد حافظت غرناطة علي روحها العربى فى القاهرة وبغداد، حتى بعد مغادرة العرب الأندلس. ولها نواتر منعزلة منفصلة كالكاكن الحى، هي الوجود الحقيقى، بتعبير هيدجر وكيركجارد. ويعرض لظاهرة التشكل الكاذب لتفسير التداخل الحضارى، والرموز الكونية، فكل فان رمز كما يقول جوتة. ويصف الحضارة العربية بأنها حضارة

الكهف وحضارة السحر والقباب والتزيين والموزاييك، في حين تطور الغرب إلى روح فاوست. والثالث قوى التاريخ، وهي الحياة الفعالة فيه، وكذلك الجنس وإرادة القوة وليس المخترعات والمال. الإنسان كون أصغر، حيوان مفترس في بيولوجيا السلطة والزمان. والتاريخ في الدم والأرض. أما النبالة فتنشأ في الأرض بواسطة إرادة البقاء، وينتهي الكتاب بثبت عربي بمؤلفات شينجلر.

(١٤١) «ولكل أن يفهمها كما يريد وأن يستخلص من النتائج منها ما يشاء. أما أنا فأزريدها لشيء واحد هو أن أحيا الوجود روحياً بعمق» شوينهور، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت ص ١٦.
(١٤٢) يُذكر حوالي ثمانية عشر شاهداً شعرياً من أبي العلاء وشاهد واحد من عمر الخيام. أشهر شواهد أبي العلاء مثل:

تعب كلها الحياة فما أعجب إلا لرأغب في ازدياد

وكل الشواهد من أبي العلاء تنور حول التشاؤم، وخطيئة آدم وترك الإنسان في العالم بون عون، وتمنى عدم آدم، وعدم الإنجاب، وترك الذرية، فالأفضل قطع هذا الحبل، وأن الإنسان ما خلق إلا ليهلك، وتامل قسوة الموت، والألام، وخداع السعادة، وهم اللذة، والشر أصل الوجود، والناس أشرار، وعن العزلة، والحب، والموت، والجبر - وأن الميلاد للموت. المصدر السابق ص ٢٢٨-٢٣٩، ص ٢٥٩-٢٦٩، ص ٢٧٨-٢٨٢.

(١٤٣) «في هذا الزمان الذي طغى فيه الاقتصاد على الفكر، والإنسان الاقتصادي على الإنسان العاقل، والقيم المادية على القيم العقلية، وصار كل شيء يُقوّم بالكم دون الكيف، والإنتاج العلمي لا النشاط النظرى، حتى صارت البطون هي الغايات والعقول والقلوب وسائل لغايات. في مثل هذا الزمن لا شيء، أنجع في رد الإنسان إلى مكانه الحقيقي أعني رده إنساناً، أولاً يتميز عن سائر الكائنات بالفكر ويسعى إلى الغايات العليا التي استهدفتها الإنسانية ممثلة في الصفوة من كبار مفكرها على مر العصور؟ نقول لا شيء أنجع من الفلسفة المثالية والمثالية الألمانية منها بخاصة ممثلة في أقطابها الكبار الثلاثة: فشته وهيجل وشلنج» شلنج، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط/٢ بيروت ١٩٨١ ص (د).

(١٤٤) تذكر الخصائص العامة لفلسفة فشته ومراحل حياته ثم التركيز على نظرية العلم. كما تُذكر حياة هيجل ومؤلفاته وفلسفته ومذهبه. ثم يفصل شلنج، حياته ومراحلها ومذاهبه: فلسفة الطبيعة، وفلسفة الهوية، والأخلاق والدين.

(١٤٥) يتضمن سبعة فصول لكل منها مرحلة من حياته: الطلب والتنقل، وبيننا، وبامبرج، وتورنبرج، وهيدلبرج، وبرلين. حياة هيجل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠ ط/١

(١٤٦) «ننبه هنا إلى وهم شائع خصوصاً في البلاد العربية وهو تصور أن الوصف بالعظمى يتعلق بالمكانة السياسية وإنما الصحيح أنه يتعلق بأرض إنجلترا في مقابل أرض فرنسا في شمالها الغربي المسماة باسم بريتانى». فلسفة القانون والسياسية عند هيجل، دار الشروق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، دار الفارس، عمان ط/١-١٩٩٦- ص ١٨٨.

(١٤٧) يرصد مراجع متتالية عن مفهوم الدولة للعلم وليس للاستعمال، المصدر السابق ص ٨٦/١١٢/٩١
١١٢/٢١٥/١٦٦. كما يحيل إلى هومش قليلة إلى هارتمان: فلسفة المثالية الألمانية، وإلى ناشر فلسفة الحق لهيجل وإلى بعض المراجع التي يحيل إليها هيجل نفسه.

(١٤٨) «على القارئ العربي إذ يتذكر وهو يقرأ هذا الفصل أن عروض الشعر الأوروبى يختلف كل

الاختلاف عن عروض الشعر العربي، إذ يقوم النظم في الشعر الأوديبى على الإيقاع، والإيقاع يقوم على المقاطع الطويلة والقصيرة وعلى الفاصلة في وسط البيت وعلى التبرة». فلسفة الجمال والفن عند هيجل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الشروق، بيروت، دار الفارس، عمان ط/٢- ١٩٩٦ وتصدير عام باريس ١٩٩٣ ص ٣٠٢.

(١٤٩) يتضمن الكتاب قسمين بلا عنوانين: الأول فصول عن التمهيدات، وشروط الفن، والجمال، والمثل الأعلى والجمال الفنى والفعل والعالم الخارجى والفنان. والثانى عدة فصول عن الفن الكلاسيكى (الفن المثالى) والرومنتيكى والشعر الملحمى والفنائى والمسرحى.

(١٥٠) «تنبية: أرسطو في العصر القديم وكانط في العصر الحديث، هما قمنا الفكر الفلسفى، وقد كررنا لأولاهما ما يزيد عن خمسة عشر كتاباً فلا أقل من أن نخصّ ثانيهما بهذا الكتاب المتعدد الأجزاء أمانويل كانط، وكالة المطبوعات، الكويت ط/١، ١٩٧٧.

(١٥١) الأخلاق عند كانط، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٩.

(١٥٢) قام المؤلف بمراجعة ترجمة د. عبد العفار مكاوى «أسس ميتافيزيقا الأخلاق» الدار القومية، القاهرة ١٩٦٥.

(١٥٣) فلسفة القانون والسياسة، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٩.

(١٥٤) للأسف لم نستطع الاطلاع على الجزء الرابع «فلسفة التربية والدين» لعدم توافره، وأغلب الظن أنه مكتوب بنفس طريقة الجزأين الثانى والثالث.

(١٥٥) «تنبية: هذا مدخل جديد إلى الفلسفة عرضنا فيه آخر تصورات الفلاسفة لحقيقتها وحدودها ومنهجها وغايتها ودفاعنا فيه ضد هجمات المنتقسين منها أو المزيغين لماهيتها وأهدافها. وأكدنا أهميتها الكبرى فى الثقافة الإنسانية وما تقوم به من دور بالغ فى تحقيق معنى الإنسان وإدراك مدلول الحياة وسر الوجود. ثم قفينا على ذلك بعرض مشاكلها الرئيسية الثلاث: مشكلة الوجود، ومشكلة المعرفة، والإلهيات وحرصنا فى هذا العرض أن نبرز - خصوصاً - آراء المعاصرين حتى يعرف القارئ ما انتهى إليه الفكر الفلسفى فى هذه المشاكل، ونبين المكانة العظمى التى لاتزال الفلسفة تمثلها فى الفكر الإنسانى وفى فروع المعرفة على اختلافها. . . وسيجقق هذا الكتاب الغاية منه إن استطاع أن يبصر الناس بحقيقة الفلسفة وأن يحثهم على التفكير فيما تثيره من مشكلات وأن ينجحوا نهجها فى كل ما يتناولونه من وسائل وما يفكرون فيه من أمور الحياة» مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، الكويت ط/١، ١٩٧٥، ط٢/ ١٩٧٩.

(١٥٦) ويحيل إلى الجوينى والرازى وابن سينا وابن رشد والثعالبى والسيوطى وابن الحاجب وابن جنى وابن قتيبة وابن الأنبارى والسكاكى.

(١٥٧) «حتى نظل فى ميدان النظر المحض بعيدين كل البعد عن التعزير والوعظ، مما هو مزلق الخطر فى كتب الأخلاق. وهدفنا هو أن نوقظ فى القارئ الإحساس بعمق المعانى الأخلاقية، وأن ندفعه إلى الأمل المستمر فى سلوك الإنسان» الأخلاق النظرية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٧٥.

(١٥٨) فى القيم الاخلاقية يحيل إلى نيتشة وشيلر وهارتمان وسارتر وفى مبادئ الحياة الاخلاقية يذكر أخلاق المنفعة (الذة والمنفعة والرواق)، والعقل (كانط) والطبيعة (آدم سميث، روسو، جويو، شوبنهاور، اشقيتسر)، والإرادة (نيتشة)، والشخص (مونييه، شيلر).

(١٥٩) فى العقل كأساس القيمة يشير الى الحسن والقبح عند المعتزلة، وفى الإنسان يحيل الى التصوف.

الإسلامي ودور المحبة فيه . وتعريف الحارث المحاسبي لها من «الرسالة القشيرية» وتعريف الجنيد مقارنة بأوغسطين، وكذلك المحبة الإنسانية العالمية عند البسطامي وابن عربي . وفي التواضع يذكر آداب الصوفية عند الجنيد والبسطامي والفضيل بن عياض، وفي السخاء يحيل إلى تحليلات الصوفية في الرسالة القشيرية

المصدر السابق ٩٥-٩٦/٢٠٣-٢١٩/٢٠٤ - ٢٢٠

(١٦٠) «قصدت في هذا الكتاب أن أعرض موضوعات المنطق الصوري والرياضي عرضاً شاملاً متصلاً، استقصى فيه المسائل في تطورها حتى أبلغ بها إلى آخر صورها ومختلف الآراء التي أدلى بها كبار المناطق في العصر الحديث، متخذاً في معظمها موقفاً جزئياً خاصاً يتناسب مع سياق العرض، دون أن ألتزم موقفاً موحداً يستهدف الأصالة أكثر مما ينشد الاستقصاء لأنني لم أرد به أن يكون تعبيراً عن الفلسفة التي أو من بها وأشار في إيجادها والتي أعلنت في برنامجي لها في «الزمان الوجودي» عن منطق خاص بها ينبثق عنها لأن هذا المنطق الذي أعلنت عنه لا يزال عندي في دور التكوين» . والمنطق الصوري والرياضي، النهضة ج٢ / ١٩٦٣ .

(١٦١) يحيل إلى التعريفات للجرجاني ، وشرح القطب على الشمسية ، والتوحيدى في الإمتاع والمؤانسة، ومنطق المشرقيين لابن سينا، وحاشية الشريف الجرجاني على شرح مطالع الأنوار، والبصائر النصيرية للساوي، والسلم المندرق، والمناظرة بين السيراقي وأبي بشر، والسرخسي ، ويحيى بن عدى والرماني، ويأتي بأمثله من الشعر العربي (الفرزدق) لبيان الأفراد والاستقراق، ومن القرآن للشريطية المتصلة، ومغنى اللبيب لابن هشام، وابن حزم ، والغزالي ، وراى المستشرق تولدك في أثر المنطق الأرسطي على المنطق العربي، والمراجع الأجنبية، المصدر السابق ص ١٠ .

(١٦٢) «وعسى أن يكون فيه ما يفيد في توجيه البحث العلمي الذي لم يثمر بعد في العالم العربي ثماره المرجوة على المنهج السديد» مناهج البحث العلمي النهضة ١٩٦٣ ص ٨

(١٦٣) جان بول سارتر. الوجود والعدم ، دار الآداب، بيروت ط٢، ١٩٦٦ .

(١٦٤) ألبرت اشفيتسر: فلسفة الحضارة، المؤسسة المصرية ، القاهرة ١٩٦٣ .

(١٦٥) بنزوي: مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا . المجلس الأعلى لرعاية العلوم والفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، الأنجلو المصرية ١٩٦٤ .

(١٦٦) «وكلاهما (النقد التاريخي ومنهج التاريخ) لم ينفذا بعد النفاذ الكافي في الدراسات العلمية بالعربية ... وجل مانشر في العربية حتى الآن من أبحاث تاريخية أو تحقيق لنصوص عربية مصاب بأفة مستعصية من جزأء هذا الافتقار إلى المنهج في دراسة التاريخ وتحليل النصوص وإلى هذه الغاية من تمكين الدارسين من القيام بأبحاث تاريخية علمية سليمة المنهج محكمة النتائج قصدت من ترجمة هذا المجموع» . لأنجلو اديسونويوس : النقد التاريخي ، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٨١ ، تصدير عام ص ٩-١٤ .

(١٦٧) «ولأخير علينا من اتخاذا هذا الدرس في الحياة، فإن المصير يضعنا أحيانا في مأزق وجودية لا سبيل إلى الخلاص منها إلا بالزهد والعزوف والاستشهاد» جوته: الأنساب المختارة ، النهضة ١٩٤٥ تصدير عام ص(ج) .

(١٦٨) «وكان الناشر فرومان - شأنه شأن كبار الناشرين في أوروبا وفي العالم العربي في عصره الزاهر - رجلاً واسع الاطلاع» ، المصدر السابق ص (ح) .

(١٦٩) هناك أبيات صدى لسورة الفاتحة وأخرى للسور «ولقد خلقنا الإنسان من صلصال مسنون»، «هل أتبؤمكم على من تنزل الشياطين»، «تنزل على كل أفك أقيم»، «يلقون السمع وأكثرهم كاذبون»، «والشعراء يتبعهم الغاؤون»، «ألم ترأنهم في كل واد يهيمون»، «يقولون مالا يفعلون»، «من يعمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها» «وماريك بظلام للعبيد»، «من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فليظنر هل يذهب كيد»، «إن أوهم البيوت لبيوت العنكبوت»، «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح عيسى بن مريم»، «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً بعبوضة»، جوته : الديوان الشرقي .

(١٧٠) يسمى جوته أسماء أجزاء ديوانه بأسماء إسلامية مثل كتاب حافظ، كتاب تيمور، كتاب زليخا، كتاب البارسي . وبعض أسماء الكتب موضوعها إسلامي مثل كتاب (المغنى) موضوعه الهجرة، وكتاب (التفكير) من أقوال الفريوسى والرومى، وكتاب (الحزن) من أقوال النبى وتيمور . وكتاب (الحكم) من أقوال أنورى، وكتاب (الخلد) عن أهل الكهف. الديوان الشرقي للمؤلف الغربى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ ط٢/ ص ١٠١/٩٨/٧٦ / ١٨٠/١٩٢/٣٥/٣٤٦/٣٥٠ .

(١٧١) جوته: جيتس فون برلشنجن، الكويت ١٩٧٩ سلسلة المسرح العالمى ١١٧
(١٧٢) جوته: فاوست، الكويت ١٩٨٩ (ثلاثة أجزاء) . وللأسف لم نستطع الاطلاع على الجزء الأول الذى يتضمن مقدمة المترجم للمسرحية .

(١٧٣) برشت : الأم شجاعة وأولادها ، الإنسان الطيب فى ستسوان : النهضة، القاهرة ١٩٦٥ .
(١٧٤) وإذا كان النجاح فى واقع الحياة من حظ من يسلكون مسلك سنشوينتا فتباً لهذا النجاح الوضيع الدنى بل تباً للإنسانية كلها إن صارت كلها من نوع سنشويانثا وعدمت كل دون كيخوته»، ثريانتر، دون كيخوته، النهضة القاهرة ١٩٦٥ .

(١٧٥) «وحسبنا هذا القدر فى تقويم هذه التحفة الرائعة من تحف الأدب الأسباني التى ترجمناها ها هذا إلى العربية لأول مرة ، التى تعد - على صغر حجمها - من روائع الأدب العالمى «حياة لثريودى تورمس، باريس ، الكويت ١٩٧٦ ص٣٣ وهى من منشورات المعهد الأسباني العربى للثقافة فى مدريد . كلا سيكيو فى اللغة الأسبانية، الكتاب السادس .

(١٧٦) لم نستطع للأسف الاطلاع على باقى الترجمات المعلن عنها فى الروائع المائة وهى إيشندورف من حياة حانرباثر، فوكيه : أندين، بيروت : أسفار أنتشيلدهارولد، لوركا: مسرحيات، برشت: دائرة الطباشير القوقازية، درنمات : علماء الطبيعة، هيلدرلين : هيبيريون، رلكة: صحائف مالتى برجه، أيونسكو : فتاة للزواج

(١٧٧) لم نستطع للأسف الاطلاع على ديوانى الشعر المعلن عنهما «مرأة نفسى»، «نشيد الغريب» وكذلك على القصص الثلاث: «التسلسل»، «ان أختار»، «جابر بن حيان» .

(١٧٨) «فإن وجد فيه الشباب القلق من أبناء هذا الجيل صورة صادقة لشيء ما يجول فى نفوسهم حينما ينظرون عليها ويفتشون فى أتاييها، وكان فى هذا بلسم لقلوبهم المكلومة بجراح الشك والحيرة والتوثب نحو المجد ونشدان البطولة فى أروع معانيها، فيها ونعمت. وإن رأوه من القتامة والغموض والإسراف فى القلق والقسوة فى تشريح الحياة، بحيث لا يتصل بنفوسهم القائمة الراضية السميئة فهنيئاً لهم هذه البرمة والصفاء، ولست ألتمس منهم أن يعكروها بقراءة مثل هذا الكتاب . وكل ما أسألهم إياه أن يضعوا إكليلا من الزهر الأزرق على قبر الشهيد إن مروا به عابرين» هموم الشباب.

(١٧٩) «إهداء: إلى الأفي الرهيبية التي أوردتني موارد الخطيئة في جحيم الشهوات فاقتحمت على برجي العاجي، أنا الأعزل، واختطفتني ثم قذفت بي من حالق في التيار المتدفق لنهر الحياة، وما كنت أعلم السباحة، فهويت في القاع مرات كانت تنتشلني فيها بشقها الذهبي الزائف، فلا ألبث حتى أغوص من جديد في أسوأ قرار إلى أن أسدل الستار على ختام تلك المساء، إليها أهدى هذه الصفحات التي سطرتها بيمينها سائلاً الله لها الغفران ولي الرضوان. شهيد الشباب» المصدر السابق، الإهداء.

(١٨٠) تقول كارمن:

الحب طير مريد
إن لم تقع في غرامى
لكن إذا همت فاحذر
ويقول الفردو: ذات يوم طاف من أعلى الأثير طائف النشوة قى القلب الكسير
نشوة الحب لها وقع كبير

المصدر السابق ص ١٠ / ١٧.

(١٨١) «إلى سلوى، ابتهاج واعتراف

أعيش في وطني، ووطني منقاي، تمرح الدنيا حولي وكأني أنا وحدي الذي أنوح، أنا موحد وفي توحيد حيوية الوثنية

بل أناوثى وفي وثنيتي صفاء التوحيد

توحيدى حرية الخالق بإزاء المخلوق. أما غيرى فتوحيدى عبودية المخلوق للخالق والخالق للمخلوق
سواء وثنيتي تقدس اللبس وتفرغ من طغيان البصر

وثنيتي تمجد الجسد وتهزأ بدعوى الروح

أجل في كيانى عصارة حياة لن أبتاع بها كوثر الأوهام.

«الحور والنور»، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت ١٩٧٩ ص (و).

(١٨٢) «غاية الوجود أن يجد ذاته وسط الوجود. وما هنا صورة إجمالية لمذهب فسرنا فيه الوجود. على أساس الزمان وحاولنا تحقيق هذه الغاية للإنسان»

الزمان الوجودى. النهضة، القاهرة ١٩٤٥.

(١٨٣) مثل تور اندريه: شخصية محمد في مذهب أمته واعتقاداتها. جولديزهر: العناصر الأفلاطونية الحديثة والفنوصية في الحديث.

(١٨٤) تلك هي الخطوط العامة لمذهب في الوجود جديد سنجعل مهمتنا في الحياة تفصيل أجزاءه حتى نستطيع أن نحقق للإنسان هذه الغاية التي قلنا إنها غاية الوجود،

«موسوعة الفلسفة» ج ١ ص ٣١٧.

obeikandl.com

عبد الرحمن بدوي:
الفيلسوف المتوحد

د/ أحمد صبحي

obeikandi.com

أمر يحيرنى: لماذا أنجبت مصر - فى زماننا المعاصر - ما لم تصل إليه جميع الدول العربية من المفكرين الناخبين؟

أريد أن أتحرر من أى تحيز. ولا أحب أن أكرر مقولة مصطفى كامل: (لو لم أكن مصرياً لوددت أن أكون مصرياً) فهذه مقولة قالها فى زمن جثم فيه الاستعمار على معظم أرجاء العالم الإسلامى ووجه سهام نقده إلى مصر، باعتبارها مهد الحضارة، إن الإنسان يرغب أن يرضى بما أراد الله له من حيث المنشأ والموطن، وعليه - بعد ذلك - أن يسعى للتحرر من العوامل الجغرافية والاقتصادية والسياسية، إن كانت معوقة لتبوغه. إننا لو استعرضنا أسماء كبار أساتذة الفلسفة فى العالم العربى فى القرن العشرين فلن نجد من يطاول زكى نجيب وعبد الرحمن بدوى.

هل أقول مقولة الصديق عبد الغفار مكاوى: «مصر ولادة» أى ولود، ولكن ذلك لا يفسر الأمر إلا بأنها إرادة الأقدار [يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيماً].
فلا فضل لأم البنين فيما أنجبت، كما لا ينبغى أن تتحمل العقيم أدنى قدر من الزاوية.

هل نرد الأمر إلى (عبقرية المكان) كما فعل جمال حمدان، فنقول باجتماع موقع جغرافى أمثل مع وضع طبيعى مثالى فى تناسب وتوازن، ربما، وإن كانت عنده قد تفسر ذبوع الشهرة وعلو الصيت، فربما كان الشوكانى أغزر إنتاجاً وأعمق فكراً من الشيخ محمد عبده، ولكن الأول لم يبلغ صيت الأخير ولا شهرته، ولكن الأمر بالنسبة لزكى نجيب وعبد الرحمن بدوى ليس كذلك إن قارناهما بسواهما من أساتذة الفلسفة فى العالم العربى، ولكنها العبقرية الحقة فى نموذجين فريدين.

وقد أضاف العقاد إلى التساؤل بعداً آخر فى حديثه عن الشيخ محمد عبده^(١) حين أشار إلى أن معظم مفكرينا نشأوا فى الريف ثم كان ظهورهم وتبوغهم فى المدينة، وهو أمر يصدق تماماً على الاثنين، فما عسى أن يكون ذلك التفاعل بين الريف

والمدينة، فى نبوغ الناخبين وظهور المفكرين؟ لست أدرى!

هذه مقدمة كان لابد منها قبل الحديث عن عبد الرحمن بدوى الذى أغنانا عن التنقيب عن سيرته بما كتبه عن نفسه فى موسوعته الفلسفية التى انفرد بتأليفها، وفيها يتبين أنه ألف أكثر من مائة وعشرين كتابا حتى عام ١٩٨٤ إلى جانب مئات المقالات والأبحاث التى ألقاها فى المؤتمرات الدولية بالعربية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والأسبانية.

وقد يظن من يسمع هذا عنه أنه تفرغ تماما للفلسفة كما تفرغ جمال حمدان للجغرافيا، وأنه لم يشغل نفسه بشيء سوى العلم، غير أن من يعرفه فى شبابه، ومن اطلع على سيرته، يعرف أنه خاض فى السياسة وأنه كان عضوا فى حزب (مصر الفتاة) (من ١٩٢٨ - ١٩٤٠) ثم عضواً فى اللجنة العليا للحزب الوطنى (من ١٩٤٤ - ١٩٥٢) [ص ٢٩٦ من المجلد الأول من موسوعة الفلسفة] وأنه اختير عضواً فى لجنة الدستور التى كلفت - فى يناير ١٩٥٢ - بوضع دستور جديد لمصر.. وأنه أسهم - خصوصاً - فى وضع المواد الخاصة بالحريات والواجبات، وأتمت اللجنة وضع الدستور فى أغسطس ١٩٥٤ ثم يعلق قائلاً: «ولكن القائمين على الثورة لم يأخذوا به لما فيه من تقرير وضمانات للحريات والحكم الديمقراطى السليم، ووضعوا بدلا منه دستور ١٩٥٦ الذى صادر الحريات وكان مسندا للطغيان الذى استقر بعد ذلك لعدة سنوات» [نفس الصفحة السابقة]، ولنا على هذه الفترة من اشتغاله بالسياسة ملاحظتان:

الملاحظة الأولى: تتعلق بانضمامه إلى حزبين عرفا بالتطرف الوطنى - إن صح التعبير - فهل كان ذلك إيمانا منه بالعبرة التى أوردها فى كتابه عن رابعة العدوية: «إن الاعتدال من شأن الضعفاء والتافهين، أما التطرف فمن شيمة الممتازين الذين يبدعون ويخلقون التاريخ»^(٧).

الملاحظة الثانية: إن استقرار الطغيان - الذى أشار إليه - أدى إلى تفرغه التام للعلم، تماما كما أدى استيلاء معاوية على السلطة إلى أن طلق نفر من المعتزلة

السياسيين السياسة واشتغلوا بالعلم والعبادة، كما ورد في تفسير نشأة المعتزلة. ويعلق الدكتور على النشار على هذه الرواية بقوله: كثيراً ما يصحب السخط على مجريات أمور السياسة.. اعتكاف على العلم(٣)..

وقد جعله تكوينه الفكري جامعا بين الأصالة والمعاصرة، الأصالة حين تتلمذ على الشيخ مصطفى عبدالرازق، الذي يصفه بأنه كان مثالا كاملا للإنسان، نبالة نفس ومكارم أخلاق، كما كان عالما بالعلوم الإسلامية..... والمعاصرة حين تلقى العلم على أيدي نخبة من كبار أستاذة الفلسفة الفرنسيين وعلى رأسهم لا لاند.

ولكن هل كان بدوي مائلا إلى نهج المستشرقين في ميدان الدراسات الإسلامية وعلى رأسهم باول كراوس، إنه يشير إلى أن لكرواس اليد الطولى في توجيهه في ميدان انتقال التراث اليوناني إلى العالم الإسلامي، بفضل علمه الهائل ومنهجه الفيلولوجي الدقيق ومكتبته الحافلة بأعمال المستشرقين، فضلاً عن أنه - في ترجماته لدراسات المستشرقين - لا يلجأ إطلاقاً إلى التعقيب عليها من منظور إسلامي كما فعل الدكتور عبد الهادي أبوريده رحمه الله، ولكن من الخطأ أن يؤخذ ذلك عليه أو أن يتهم بضعف عقيدته، إذ كان ذلك هو منهجه في كتب التراث، أن يقدم النص في أمانة وموضوعية، يستوى عنده أن يكون حديثه عن المعتزلة أو الأشاعرة أو الإسماعيلية، اللهم إلا إذا كان النص يثير لديه الشكوك.

كما فعل في حديث فريد الدين العطار، فيما نقله عن رابعة العدوية، والذي وصف ما يرويه بأنها أساطير، إذ الأمر هنا لا يتعلق بالعقيدة وإنما بالحقيقة المجردة التي يرى أنها أولى بالاتباع، وفقاً لمنهجه، فهو يرى أنه لا يكتب للمسلم بخاصة، وإنما للمثقف بعامه.

ومن ناحية أخرى ليس من بين مؤلفاته باللغة العربية كتاب له طابع أيديولوجي على خلاف الأمر لدى زكي نجيب الذي تعد معظم مؤلفاته - منذ الستينيات - متعلقة بمشكلة الأصالة والمعاصرة حيث لجأ إلى دراسة نقدية لتراثنا الفكري، والمنهجان - في رأبي - متكاملان ومطلوبان.

وبصفتي مشتغلاً بالفلسفة الإسلامية فإنني أقرر أنه بالرغم من أن عبد الرحمن بدوي كان موسوعة كاملة في مختلف فروع الفلسفة مؤلفاً و مترجماً من عدة لغات أوروبية، فإن فضله على المشتغلين بالفلسفة الإسلامية لا يجارى، فما كتبه في غيرها كان يمكن أن يقوم به غيره تأليفاً أو ترجمة، أما ما قام به في نطاق الإسلاميات - وبخاصة تحقيقاته على مخطوطات - فإنه ينوء به فريق كامل من المشتغلين بها، ولا يقدر على ذلك غير عبد الرحمن بدوي، وهذا بعض ما كتبه فيها، تأليفاً أو ترجمة أو تحقيقاً:

١- من تاريخ الإلحاد في الإسلام

٢- أرسطو عند العرب

٣- الإنسانية والوجودية في الفكر العربي

٤- شخصيات قلقة في الإسلام

٥- منطق أرسطو

٦- رابعة العدوية

٧- شطحات الصوفية

٨- منطق أرسطو (الجزء الثاني)

٩- روح الحضارة العربية

١٠- الإشارات الإلهية، للتوحيدي

١١- الإنسان الكامل في الإسلام

١٢- منطق أرسطو (الجزء الثالث)

١٣- الحكمة الخالدة، لمسكويه

١٤- فن الشعر، لأرسطو

١٥- البرهان من الشفاء، لابن سينا

١٦- عيون الحكمة، لابن سينا

١٧- في النفس، لأرسطو

- ١٨- الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام
- ١٩- الأفلاطونية المحدثة عند العرب
- ٢٠- أفلوطين عند العرب
- ٢١- مختار الحكم، للبشر بن فاتك
- ٢٢- الخوارج والشيعية، لفلهاوزن
- ٢٣- الخطابة، لأرسطو طاليس
- ٢٤- تلخيص الخطابة، لابن رشد
- ٢٥- مخطوطات أرسطو في العربية
- ٢٦- مؤلفات الغزالي
- ٢٧- مؤلفات ابن خلدون
- ٢٨- فضائح الباطنية
- ٢٩- دور العرب في تكوين الفكر الأوربي
- ٣٠- رسائل ابن سبعين
- ٣١- فن الشعر، لابن سينا
- ٣٢- ابن عربي.. لأسين بلاثيوس
- ٣٣- الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي
- ٣٤- مذاهب الإسلاميين
- ٣٥- شروح على أرسطو مفقودة في اليونانية
- ٣٦- التعليقات، لابن سينا
- ٣٧- رسائل الكندي والغازابي وابن باجة وابن عدي
- ٣٨- مذاهب الإسلاميين ج٢
- ٣٩- أفلاطون في الإسلام
- ٤٠- صوان الحكمة، لأبي سليمان السجستاني
- ٤١- تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى القرن الثاني
- ٤٢- دراسات ونصوص محققة في تاريخ الفلسفة والعلوم عند العرب.

وترجمة عن الفرنسية:

- 1- La Transmission de la Philosophie grecque au monde arabe.
- 2- Philosophie et theologie de L' Islam a L'epoque classique.
- 3- Histoire de la philosophie en Islam 2 vols.
- 4- Quelques Figures et thèmes de la philosophie Islamique.

فضلا عما كتبه عن بعض مفكرى الإسلام فى كتاب:
History of Muslim philosophy.

هذا ما كتبه فى الفلسفة الإسلامية حتى ١٩٨٤ نقلا عن سيرته الذاتية فى موسوعة الفلسفة التى صدرت ١٩٨٤ وأعتذر عن عدم متابعة ما ألقه بعد ذلك. إنه - حقا - من فضل الله علينا - نحن المشتغلين بالفلسفة الإسلامية - أن ظهر عبد الرحمن بدوى، نمط فريد من الأساتذة والمفكرين يتعذر أن يكون له مثيل. لقد سعدت بالعمل مع أستاذى الدكتور عبد الرحمن بدوى أربع سنوات من أواخر عام ١٩٦٩ إلى صيف ١٩٧٣ فى ليبيا، وما من أحد يسمع منى ذلك الا ويقول: وكيف تعاملت معه؟، فالانطباع السائد عنه أنه متجهم مترفع عن صحبة الناس وإنك إن اقتربت منه فقد تمسك سخريته اللاذعة دون مناسبة، وحقيقة الأمر أنها غلالة رقيقة يخفى بها عبد الرحمن بدوى حقيقة مشاعره وخصاله التى تماثل خصال جماعة الملامتية، تلك الطائفة من الصوفية التى قيل عنها إنها كانت تظهر شراً وتضمير خيراً وتحرص على أن يلومها الناس، اهتك عنه تلك الغلالة الرقيقة من التجهم والترفع، حينئذ سيتفجر لك: ينبوعاً من العلم فى شتى جوانب المعرفة. قد تعرفون عن عبد الرحمن بدوى أنه شاعر وأديب، كان الشعراء فى ليبيا يدعونهم إلى مجالسهم ليثقفهم فى علم العروض والأوزان والقافية، بل كان أساتذة اللغة العربية من دار العلوم يسألونه فى مشكلات لغوية فى صميم علوم اللغة وفقهاها.

ويذكرني عبد الرحمن بدوي^(١) وما عاناه من أيام سيئة في آخر مقامه بليبيا، وقد تعرض للاعتقال ومصادرة كتبه واقتحام بيته في حركة همجية بربرية من جانب اللجان الشعبية، على أثر وشاية خسيصة، يذكرني بما وقع للغزالي الذي يروى عنه أنه تعرض لعصابة من قطاع الطرق في طريقه إلى الحجاز، وبعد أن سلبته كل ما يملك اندفع إلى رئيس العصابة قائلاً: خذ متاعى ومالى ولكن دع لى هذه الكرايس التى فيها العلم الذى أفنيت فيه عمرى، فما كان من رئيس العصابة إلا أن ضربه على رأسه قائلاً: كيف أنت عالم إذا لم يكن العلم فى رأسك، يقول الغزالي: فأليت على نفسى - بعدها- أن أحفظ كل كتاب يقع تحت يدي حتى لا يسلبنى العلم قاطع طريق»، أقول: كان بدوي أشد حرصاً من الغزالي فقد استوعب الدرس قبل مصادرة كتبه- وقد كانت تملأ كل جوانب شفته- ومن ثم لا تجد انقطاعاً فى التأليف بين سنتى ١٩٧٣، ١٩٧٤ وإنما تواصل وعطاء، فإن له ذاكرة يُغبط عليها مكنته من معرفة اللغات الأوروبية التى يعرفها، وقد أضاف إليها الفارسية حين انتدب للتدريس فى إيران عام ١٩٧٤، كما مكنته أن يستوعب كل ما يعى من معارف متنوعة فى شتى العلوم.

- ٢ -

وصف عبد الرحمن بدوي كتابه: (مذاهب الإسلاميين) بالقول: «كتاب يشتمل على أعلام أصحاب المذاهب الذين أنشأوا أنظمة فكرية استندت إلى التراث اليونانى من ناحية، والتراث الفكرى الإسلامى من ناحية أخرى، وتنتج عن هذا التأثير المزدوج مركب فكرى خاص امتاز بالأصالة إذا ما قورن بسائر التيارات الفكرية فى تاريخ الإنسانية، ومن هنا فإن من الواجب أن يدرس قائماً برأسه بوصفه إسهاماً خاصاً فى الفكر العالمى».

١- يقع الكتاب فى مجلدين كبيرين: يقع المجلد الأول فى ٧٥٠ صفحة، وقد صدرت طبعته الأولى عن دار العلم للملايين فى بيروت فى يناير ١٩٧١ عن المعتزلة والأشاعرة، وقد تناول فيه الأصول الخمسة لدى المعتزلة ثم أهم الشخصيات: كواصل

بن عطاء وأبى الهذيل العلاف وإبراهيم بن سيار النظام ثم أبى على الجبائى وابنه أبى هاشم، عارضاً لجليل الكلام، أو بالأحرى (الإلهيات)، ثم دقيقه أو (الطبيعيات) وقد استغرق هذا الجزء ٤٨٥ صفحة، ولما كان أعلام المعتزلة من البصريين فإنه لم يفرد لمعتزلة بغداد مكاناً فى كتابه.

ثم انتقل إلى أعلام الأشاعرة بدءاً بمن تنسب الفرقة إليه وهو أبو الحسن الأشعري ثم الباقلانى والبغدادى والجوينى، ويقع حديثه عنهم فى ٢٦٠ صفحة. ولما لم تكن للأشاعرة آراء متميزة فى دقيق الكلام فإنه لم يلتزم بتصنيفه السالف بصدد المعتزلة، من تقسيم الكلام إلى جليل ودقيق، حيث طغت موضوعات أخرى كنظرية (الكسب) لدى الأشعري ونظرية (الإمامة) لدى الباقلانى، ثم تحديد الأصول التى اجتمع عليها أهل السنة والجماعة لدى البغدادى، وأخيراً دخول الأشاعرة معترك الرد على الفلاسفة فى شخص الجوينى.

وهو فى هذا - كله - يستند إلى كل المصادر المتاحة، لا يكاد يفوته منها كتاب، وكذلك إلى المراجع الهامة، عربية وأجنبية.

ومع أنه يمكن أن يعد كتابه وثائقياً، لكثرة ما أورده من نصوص فإنه لا يخلو من تعليقات مفيدة كالرد على من نسبوا حرية الإرادة لدى القدرية والمعتزلة إلى يوحنا الدمشقى أو إلى الأثر المسيحى.

ومع أن من وردت أسماؤهم من أعلام المعتزلة والأشاعرة قد ورد الحديث عنهم فى كتب أخرى فإن كتاب الدكتور عبد الرحمن بدوى أكثر شمولاً وأوفى بالغرض، حيث يعرض لأمر لا أظنها فى كتب غيره، فإن ورد الحديث عن ردود المعتزلة على المرقونية أو الديصانية أو المانوية فإنه يعطى القارئ فكرة مفصلة عن هذه النحل. وإن ورد ذكر أن نفقة أبى الحسن الأشعري كانت سبعة عشر درهماً فإنه يوضح للقارئ قيمة هذه العملة بالفضة آنذاك (ص ٥٠٣).

وإن ذكر أن عبد القاهر البغدادى عاش فى خراسان، ومع أن الكتاب فى العقائد وليس فى التاريخ السياسى، نحو ما ذكر، فإنه يتوسع فى الحديث عن خراسان [من

ص ٦٤٨ - ٦٦٠] بحجة أن خراسان لم تلق عناية كافية من الباحثين، مع أنها كانت أخصب البلدان الإسلامية بالتيارات الكلامية.

على أن هذا التوسع قد جاء على حساب موضوعات أخرى تفوقها أهمية، فهو لم يشر مثلاً إلى معتزلة بغداد، أو بالأحرى لم يفرد لهم مكاناً في كتابه مع أنهم قد أثاروا المشكلات الكلامية التي أحدثت جلباً مثل مشكلة (خَلْقِ القرآن)، كما أنه توقف بضد الأشاعرة عند الجويني، ومعلوم أن من جاءوا بعده كانوا أشد تأثيراً في الفكر الإسلامي مثل الغزالي، أو أقوى جدلاً مع الفلاسفة مثل الشهرستاني، ولكن الدكتور بدوى توقف حيث كنا نطمع منه إلى مزيد، سواء بالنسبة للمعتزلة أو الأشاعرة، بل إننا كنا نطمع منه عن أن يحدثنا عن فرق إسلامية أخرى كالظاهرية ومذهب السلف، ذلك أن حديثه له مذاق مغاير عما كتبه الآخرون ففيه التزام بالنزاهة التامة في العرض والحياد في الرأي وانتهاج للمنهج التاريخي الفيلولوجي ومن ثم فإن الشمول الذي يتعذر أن نجد له مثيلاً في كتاب آخر.

٢- يتبادل الدكتور بدوى في المجلد الثاني الإسماعيلية والقرامطة والنصيرية والدروز، وهذه تمثل تيارات الباطنية الرئيسية، يجمعها كلها تأويل النصوص المقدسة، أو شبه المقدسة، تأويلاً باطنياً يختلف عن المعنى الظاهر ابتغاء التوفيق بين هذا المعنى وبين المطامع المستترة، إذ ارتبطت هذه الفرق باتجاهات سياسية واجتماعية واقتصادية خطيرة.

يعد الدكتور بدوى هذه التيارات أيديولوجيات أكثر منها مذاهب فكرية، وما الأيديولوجية إلا البطانة النظرية للحركات السياسية والاجتماعية. وقد رأى الدكتور بدوى التوسع في تاريخها السياسي الذي يتعذر فهم أفكارها وأرائها دونه. ويشير الدكتور بدوى إلى اهتمام فريق من المستشرقين منذ القرن التاسع عشر، فضلاً عن بعض الكتاب - يقصد اليساريين - بهذه الفرق بأقوى من اهتمامها بمذاهب المعتزلة، أهل السنة، ويصف هذا الاتجاه بأنه حب استطلاع مرضى يحفل بالأفكار الغربية والمذاهب الشاذة..... ويمتاز هذا المجلد باعتماده على عدد كبير من مخطوطات لم يسبق نشرها.

وقد انتهج المنهج التاريخي الفيلولوجي - تماماً كما فى الجزء الأول - ويفسر اختياره لهذا المنهج بأنه مؤرخ أفكار لا شأن له بالحكم عليها من منظور دينى أو مذهبى حتى لا يحيد عن الموضوعية أو يجانب الأمانة العلمية، فضلاً عن أنه ليس من حق فرقة بعينها أن تدعى أنها تملك - وحدها - الحق أو أنها تمثل الدين الصحيح، وهو فى ذلك محق إذ لم يلزم عن هذه الدعوى إلا اعتقاد كل فرقة أنها وحدها الناجية دون سائر فرق المسلمين.

ويمهد الدكتور بدوى للحديث عن الفرق المذكوره بتقديم التصورات الآتية:
١ - التأويل الباطنى لدى اليهودية والمسيحية دون أن يعنى ذلك حكماً بتأثر فرق الباطنية فى الإسلام بها، إذ التأويل الباطنى قائم فى كل دين (ص ١٥).
٢ - لما كان التشيع - وبخاصة فكرة تأليه على لدى بعض الغلاة - ترد إلى ابن سبأ فقد تتبع أمره وفكره.

٣ - وتأليه إنسان إنما يعنى التجسد - تجسد اللاهوت فى الناسوت - كما سترد لدى النصيرية: حيث تأليه على، أو الدروز: حيث تأليه الحاكم بأمر الله، وقد اقتضى ذلك الحديث عن عقيدة التجسد.

٤ - وتتبع فكرة المهديّة منذ نشأتها لدى الكيسانية إلى أن خرجت من نطاق الشيعة المحدود لتصبح معتقداً إسلامياً عاماً لدى كثير من فرق المسلمين.
يشرح الدكتور بدوى فى حديثه عن الإسماعيلية بدعوة القرامطة التى اشتهرت بأمرين: بطابعها الاجتماعى من جهة، وبأخذهم الحجر الأسود من مكة من جهة أخرى، فيشرح بالتفصيل مراتب دعوتهم ومؤلفاتهم، وقد شغلت هذه الفرقة ما يقرب من مائة صفحة من الكتاب (ص ٩٢ - ص ١٨٧)

ويعد الفصل الذى عقده الدكتور بدوى عن أعلام الفكر الإسماعيلية وعن آرائهم من أهم فصول الكتاب لنا نحن المشتغلين بالفلسفة الإسماعيلية، وقد ذكر ستة عشر شخصاً من أعلامهم من أهمهم: أبو حاتم الرازى وأبو يعقوب السجزى. وحميد الدين الكرمانى والقاضى النعمان وناصر خسرو، ذاكراً أهم مؤلفاتهم.
أما آراؤهم فقد قسمها إلى ثلاثة مباحث:

١- فى الإلهيات ٢- فى النفس الإنسانية

٣- فى الإمامة

ويعقد مقارنة دقيقة بين آراء الاسماعيلية وكل من إخوان الصفا وابن سينا فى الإبداع، ثم موازنة بين عالم الأفلاك وعالم الديانة.
وفى فكر أيديولوجى كان لابد من ذكر الواجبات نحو الأئمة ومفهوم كل من (الولاية) و(المعادلة).

ويؤكد فى الفصل الخاص بالأخرويات رفض الإسماعيلية لعقيدة (التناسخ) بالرغم من أن معظم عقائدهم يمكن أن ترد إلى مصادر أجنبية، غير أنه لما كان الاعتقاد بالتناسخ يتعارض تماما مع الاعتقاد بأن الثواب والعقاب فى اليوم الآخر فإنهم التزموا بالأصل الإسلامى.

يشغل الفصل الخاص عن أعلام الإسماعيلية من ص ١٨٨ - ٢١٥، أما آراؤهم الفلسفية ومعتقداتهم المذهبية فتشغل من ص ٢١٩ - ص ٣١٥.

والتزام الدكتور بدوى بالموضوعية المطلقة دعاه إلى استبعاد التعبير المستهجن الذى يطلق على إحدى صور الإسماعيلية وأعنى بذلك (الحشاشين)، وإنما يستخدم تعبير: (إسماعيلية الموت)، ولما غلب على هذه الطائفة الجانب السياسى والحربى فقد أفرد الدكتور بدوى مكانا لنشاطهم السياسى. غير أن الذى هم الباحث فى الفلسفة من طائفة إسماعيلية الموت أكبر عالم عاش بين ظهرانهم فترة طويلة واعنى به نصير الدين الطوسى (ت ٦٧٢ هـ) فيؤكد أنه كان اثنى عشرىا وليس إسماعيليا، ومن ثم لم يتوسع فى الحديث عن كتابه «تجريد العقائد» والشروح عليه لأنه يحمل طابعاً اثنى عشرىا.

ولا يجد النصيرية^(٧) غرابه فى تأليفهم عليا فكما تجسد جبريل فى صورة أعرابى ممثلاً للخير، وكما تمثل الشيطان فى صورة بشرية ليعمل الشر، ولما لم يكن بعد الرسول من هو أفضل من على، وقد ظهر فى صورتين: صورة بشرية، إلى أن خلصه ابن ملجم من صورته الناسوتية، فالنصيرية من أقدم صور غلاة الشيعة، وما زالت قائمة إلى يومنا هذا فى بلاد الشام، ويحبون أن يتسموا باسم العلويين وألا يتم

تمييز بينهم وبين سائر فرق الشيعة^(٨).

وقد ذكر الدكتور بدوى عاداتهم وأعيادهم وتتبع تاريخهم فى عصرنا الحاضر. ويقع هذا الجزء فى حوالى ٨٠ صفحة (ص ٤٢٥ - ص ٥٠٦)

وقد خصص الدكتور بدوى أكثر من ثلاثمائة صفحة لعرض ديانة الدرؤز (التوحيد) لا لاشتمالها على أفكار فلسفية أو كلامية وإنما لأنها أكثر العقائد غرابة وشذوذاً وتناقضاً.

وإذا كان التأليه لازماً عن غلو فى التقديس، فليس فى سيرة الحاكم بأمر الله ما يدعو إلى تقديسه أو يبرر تأليهه: شخصية سادية متناقضة شاذة باعثة على السخرية، ينشئ المساجد ويبطل المكوس ويسرف فى الكرم والتعبد وينزل أشد البطش والعقاب باللصوص والغشاشين، ويسرف أيضاً فى سفك الدماء بالقواد والوزراء والعلماء دون مبرر، ولم تأتنا سيرته من الخصوم والأعداء حتى يعد ذلك افتراء عليه، وإنما لم ينكر ذلك دعائه مثل حمزة بن على ومحمد الدرؤزى. وانعكس ذلك التناقض على الأتباع، أما عقال المذهب ابتداءً بجمال الدين التنوخى (ت ٨٨٤هـ) وانتهاءً بالشخصية المعاصرة كمال جنبلاط، فشخصيات عرفت بالعلم والزهد والتقشف والعناية بأخبار الأولياء والصالحين، وأما العوام أو الجهال فنجد نقض أحكام الشريعة والقول بإسقاط التكاليف.

لقد تركنا الدكتور عبد الرحمن بدوى - بعد قراءة هذا الفصل الطويل عن الدرؤز - فى استغراب وعجز عن التفسير أو حتى التبرير ولكن يبدو أن الواقع يشتمل على غرائب تحير عقول المفكرين.

وبعد:

فكتاب الدكتور عبد الرحمن بدوى «مذاهب الإسلاميين» - وبخاصة الجزء الثانى - كتاب فريد، لا يقوى على تأليفه غير عبد الرحمن بدوى، ليس فحسب للموضوعية والحياد، حيث غايتها العلم ولا شىء غيره، وإنما لاستناده إلى حشد من المؤلفات والمخطوطات التى لا تتاح لأحد غير فيلسوفنا المتوحد «عبد الرحمن بدوى» جزاه الله عما قدم لنا - نحن المشتغلين بالفلسفة الإسلامية - جزاء العلماء العاملين المخلصين الصادقين ومتعه بالصحة والعافية والمزيد من العطاء

الهوامش

- (١) عباس محمود العقاد: الشيخ محمد عبده (مجموعة أعلام العرب)
- (٢) عبد الرحمن بدوي: شهيدة المشق الإلهي ص ١٧ الطبعة الثانية ١٩٦٢.
- (٣) الملطي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع.
- (٤) علي سامي النشار: نشأة الفكر ج ١ ص ٤٢٠.
- (٥) عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ص ٢٩٥.
- (٦) يذكر اسمه على أغلفة كتبه مجرداً من لقبه العلمي «دكتور» وذلك لأن المفكرين قد بلغوا مرحلة تجاوزوا فيها بكثير هذا اللقب.
- (٧) سمووا كذلك نسبة إلى نصير غلام الإمام علي.
- (٨) يتشبهون بالشيعة في الفقه الجعفري غير أنهم يخالفونهم في تأكيه على وفي الاعتقاد بالتناسخ، وإليهم ينسب رئيس جمهورية سوريا الحالي.

obeikandi.com

عبد الرحمن بدوى
فيلسوف الحضارة

د. أميرة حلمي مطر

obeikandi.com

من العسير على باحث أن يلم إلماماً تاماً بفكر وإنتاج المفكر والفيلسوف الكبير الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوي، فدائرة معارف بدوي لا تقل في حجمها عن دوائر المعارف الفلسفية المعروفة عالمياً، بل تجل عن الحصر التام، إذ هو مبدع في الأدب والشعر، ومؤرخ وناقد لتراث الإنسانية بأجمعه، من العصر اليوناني إلى العصر الحاضر وله في الإسلاميات باع المحقق الناشر المخطوطات لم يسبقه إليها أحد، أما الترجمات فتكون روائع قصد أن يبع بها المائة... ويكفي أن نقف عندلحات من رؤيته للحضارات الإنسانية وعنايته بروحها، وتأثره بأهم فلاسفاتها الألمان أمثال هيجلر واشبنجلر وشفيتزر.

وبداية بالفلسفة اليونانية، رأى بدوي أن الفلسفة قُدر لها أن تبلغ في هذه الحضارة اليونانية قمة^(١)، وعلى الرغم مما جاءت به من مذاهب في الوجود والأخلاق والسياسة والمعرفة إلا أن هناك مشاكل ظلت دون حل، على رأسها تلك الثنائية بين الروح والمادة أو بين الهيولى والصورة، وهي الثنائية التي أكدها أفلاطون ولم يستطع أرسطو - رغم ما قام به من نقد لمذهب أفلاطون - أن يقضى عليها. كذلك فإن المنهج العقلي الجدلي الذي سناد هذه الفلسفة شابه التجريد المطلق وعدم إمكان الرجوع إلى التجربة.

وحين غزت الأفكار الشرقية الروح اليونانية جاءت بفكرة الانفصال بين المتناهي واللامتناهي، ووجدت فكرة المتوسطات مجالا واسعا في تصورات هذا العصر كما نجد في الفتوحى السكندري ولم يكن الفكر اليوناني كذلك، لأنه لا يميز تمييزاً كبيراً بين الإنسان والآلهة بل يقول باتصال وتطور مستمر^(٢).

وإذا رجعنا للتمييز الذي يراه بدوي بين روح الحضارة في بدايتها وروحها في نهايتها، فإننا ننتقل من دور الخلق والإبداع - في الدور الأول - إلى دور الاستهلاك والتبديد - في الدور الثاني - الذي يطلق عليه اسم (دور المدنية)، ففي دور الحضارة لا ينفصل المعقول عن اللامعقول، وعلى العكس من ذلك نجد النزعة العقلية التي تحل

وتتقد تغلب على دور المدنية.

وحين يتناول نشأة الفلسفة اليونانية فإنه يحسم السؤال الخاص بما إذا كانت هذه الفلسفة قد نشأت بطبيعتها من تربة يونانية، أم من تأثرها بالأفكار الشرقية. ويرى أن نشأة هذه الفلسفة ترجع إلى طبيعة وخصائص الشعب اليونانى نفسه، ومن الظروف الحضارية التي وجدت في القرن السادس قبل الميلاد في بلاد اليونان، ويظهر تأثره بنيتشة في قوله بالمصدر الصوفى الذى نشأت عنه الفلسفة، كما نجد في كتابه الفلسفة في العصر التراجيديدى لليونان، ويظهر تأثره أيضاً بباروين روده في كتابه عن النفس، حيث سادت الفلسفة اليونانية أفكار صوفية لاهوتية.

على أى الحالات يفسر بدوى هذه النشأة بفكرته عن روح الحضارة المسيطرة على فكره، ويدلل على ذلك بأفكار مثل فكرة القدر والعدالة والقانون الكلى الذى يحكم الكون والإنسان على السواء.

وإذا كنا بصدد تلك الحضارة اليونانية فلا بد أن نقف وقفة أخرى إزاء ما تعد لحظة هامة في تاريخ اليونان الروحي والحضارى، لحظة نشأة النزعة السوفسطائية وتشابهاها بعصر النهضة في أوربا. فهاتان اللحظتان الحضاريتان - كما يقول «اشينجلر» - متوافقتان في كل من الحضارة اليونانية والحضارة الأوروبية، وقد تميزتا بنزعة إنسانية أرجعت المعايير للإنسان واحتفلت به احتفالا شديداً. فكذاك فعل السوفسطائيون حين نقلوا البحث من الطبيعة إلى الإنسان وأرجعوا إليه مصدر القيم، سواء في ذلك قيم الحق أو الخير أو الجمال، بل إن ما تميز به عصر النهضة الأوروبية من عناية بالخطابة والنثر وجد أيضاً لدى السوفسطائيين.

ومع ذلك فإن حركة السوفسطائيين في القرن الخامس قبل الميلاد، وعصر التنوير في القرن الثامن عشر في الحضارة الأوروبية، يشتركان في صفات متشابهة تتلخص فيما يعرف بنزعة التنوير (Aufklärung) ومن أهم خصائصها الإيمان بالتقدم المستمر نحو الفاعلية الأصلية للإنسانية وجعلها في العقل، واعتبار العقل حكماً مطلقاً في كل شيء، وإخضاع التقاليد والعادات الموروثة لحكم العقل، ثم النزعة

الفردية التي تجعل من الفرد وحرية الأساس لكل تقويم، سواء في الفن أو في الأخلاق أو في المعرفة أو الدين، فهذه خصائص نجدها متوافقة في الفترتين^(٣). وإذا كان لكل حضارة روح، إذ الحضارات - في رأى بدوى - كالكائنات الحية. لها ما لكل كائن حي من ميلاد ونمو وانحلال، تنشأ - على حد قول اشبنجلر - في اللحظة التي تستيقظ فيها روح كبيرة، وتموت عندما تحقق هذه الروح كل ما بها من إمكانات، فترجع إلى الحالة البدائية، أى بعد أن تنشأ شعوب ولغات، ومذاهب في الدين والفن، ودول سياسية.

وتتلخص خصائص الروح اليونانية - في رأى بدوى - في: الانسجام التام بين العالم الخارجى والعالم الباطنى، بين العالم الأكبر والعالم الأصغر، ونتيجة لهذه الروح لم تُعن الفلسفة اليونانية - في بداية نشأتها - بالأخلاق الفردية، وإنما ظهرت في دور المدنية، حين زاد التمييز بين الذات الفردية، وبين الواقع الخارجى، أى بعد أن تخطت دور الحضارة إلى دور المدنية. أى بعد فتوح الإسكندر الأكبر واختلاط هذه الحضارة اليونانية بثقافات الشرق، ونتيجة هذا التزاوج أصابها الاضمحلال الذى أدى بالفرد أن ينشد السعادة الخاصة بنفسه وانصرف عن الاشتغال بالسياسة وحقوق المواطنة. من هنا نفهم لم زادت العناية بالسلوك وقواعد الأخلاق والبحث عن السعادة الفردية، على نحو ما نجد عند الرواقيين والأبيقوريين، اللذين كانوا ينشدون الطمأنينة السلبية على صورة (الأتراكيا) فى الأبيقورية و(الأباثيا) فى الرواقية، ثم التوقف وتعليق الحكم عند الشُّكَّاك.

وبعد أن يعرض فيلسوفنا لتاريخ الفكر اليونانى، فى ربيع وخريفه، وقمته عند أفلاطون وأرسطو، يعنى بالإسهام الذى حققه هذا التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ويفرد لهذا مساحة فائقة الحدود، تتجلى فيما قام به من تحقيق ونشر لمخطوطات جمعها من أنحاء العالم، ومن ترجمات عن اليونانية، فنذكر فى هذا المجال «منطق أرسطو» (٣ أجزاء) ومقالات أرسطو فى العالم العربى (أرسطو عند العرب)، «فن الشعر» لأرسطوطاليس وشروحه العربية، «أرسطوطاليس الخطابة»،

«تلخيص الخطابة لابن رشد»، «أرسطوطاليس في النفس» مع الآراء الطبيعية، لفلوطرخوس، وكتاب «النبات والحس والمحسوس» لابن رشد، «أرسطوطاليس الطبيعية» بشروحه العربية القديمة، «أرسطوطاليس في السماء والآثار العلوية»، «مخطوطات أرسطو في القرية». «رسائل الأسكندر الأفروديسي»، «المثل العقلية الأفلاطونية»، «أفلوطين عند العرب» «الأفلاطونية المحدثة عند العرب»، «الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام» - ويتناول أبحاث كبار المستشرقين الألمان فيترجمها وينشرها في مؤلفه الهام «التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية».

ويأخذ - في بحثه الخاص بأثر الحضارة اليونانية على الحضارة الإسلامية - بوجهة نظر شبنجلر من أن الحضارات مستقلة بنفسها تمام الاستقلال، وأن ما يظهر من تشابه بين حضارة وأخرى إنما هو تشابه ظاهري وحين تأخذ حضارة عن أخرى فإنما تأخذ بعد انتقاء وتمييز لأنها لا تأخذ إلا ما يتفق وروحها، ولنا مثلاً لذلك الحضارة اليونانية وتأثرها بالمصرية القديمة، فهي لم تأخذ من الفن المصرى أهرامه ومعابده أو مسلاته وإنما أخذت شيئاً من أسلوب الأعمدة والتماثيل، وهذا أيضاً بدلته تبديلاً، إذ ما أبعد الأعمدة المصرية عن الأعمدة الدورية.

كذلك إذا نظرنا إلى الصلة بين الحضارة الإسلامية والحضارة اليونانية فإننا نجد أن روح الحضارة الإسلامية لا تأخذ من الحضارة اليونانية إلا ما ليس بمقوم جوهرى لهذه الحضارة، تأخذ عنها العلوم التى هى قدر مشترك بين الناس جميعاً ولا تأخذ منها الفنون والعلوم الروحية، ويظهر التباين بين الحضارة اليونانية والحضارة الإسلامية فى أن الروح اليونانية تتميز بشعور الذات الفردية، بينما نرى الذات فى الحضارة الإسلامية تفنى فى الكل، كل يعلو على الذوات كلها، ولذلك فالروح الإسلامية تنكر الذاتية، وإنكار الذاتية يتنافى مع إيجاد المذاهب الفلسفية كل المنافاة، ولذلك فقد أتت الروح الإسلامية بفكرة الكلمة، الكلمة التى تفنى فيها الذوات جميعاً، ولما كانت الروح الإسلامية منافية لطبيعة الفلسفة ولا تنفذ إلى الروح اليونانية، فلم يكن لو احد من المشتغلين بالفلسفة اليونانية من المسلمين روح فلسفية،

بالمعنى الصحيح، وإلا لتمثلوا هذه الفلسفة وأنتجوا فلسفة جديدة.
كذلك فالفن اليوناني منافٍ لطبيعة الروح الإسلامية، لأن الفن اليوناني - عامة - يقوم على الذاتية، بل من السخف القول بأن عدم إيجاد فن إسلامي يرجع إلى النواهي الدينية، لأن النواهي الدينية لم تمنع أشياء أخطر من الفن آلاف المرات، مثل الإلحاد والظلم في الدين وفي النبوة.

إن السبب في عدم إيجاد فن إسلامي هو أن الفن منافٍ للروح الإسلامية، وليس الفن الإسلامي خليقاً بأن يسمى فناً، إنه نوع من التزييق..
ولذلك إذا أردنا أن نعرف مصادر الفرق الإسلامية فليس أمامنا أن نلتمس مذاهب اليونان وإنما نلتمسها في كلمة الله نفسها في القرآن، فعنه - لا عن المذاهب اليونانية - صدرت الفرق الإسلامية المختلفة.

وأخيراً فإن ما أخذته الحضارة الإسلامية عن الحضارة اليونانية هو ما كان دخيلاً على هذه الروح اليونانية، فهي تأخذ تلك العناصر الشرقية التي امتزجت بالعناصر اليونانية، ولم تأخذ شيئاً مما يميز الروح اليونانية. وفي ذلك تعليل واضح للنجاح الهائل الذي لقيته الأفلاطونية الجديدة في العالم الإسلامي، أما أرسطو اليوناني فلم تستطع الروح الإسلامية أن تهضمه، واستعانت على هضمه بالأفلاطونية المحدثه^(٤).

وإذا انتقلنا - أخيراً - إلى الحضارتين الإسلامية والأوروبية في تأثرهما بالحضارة اليونانية، فإننا نلاحظ أن التراث اليوناني قد نجح في أوروبا في إيجاد النزعة الإنسانية، بينما هذا التراث عينه لم يؤد إلى نزعة مشابهة في البلاد الإسلامية.

وإذا كانت الحضارتان الإسلامية والأوروبية متأثرتين بالحضارة اليونانية الرومانية، إلا أن ثمار هذا الأثر قد جاءت مختلفة ربما لعوامل تاريخية وجغرافية وجنسية، أو إلى ما هو أهم من ذلك كله: اختلاف العقليتين، لأن العالم الإسلامي لم يأخذ من التراث اليوناني إلا ما كان ذا نزعة عقلية منطقية، فكل ما كان يونانياً

بحتا، كآلهة هوميروس والأدب المسرحى وكبار مؤرخى اليونان كل هذه ظلت أبوابها موصدة أمام الشرق، بينما تعلق عصر النهضة فى أوربا - أكثر ما تعلق - بهذه الأشياء التى تعبر تعبيراً حميماً عن الروح اليونانية، وكان تعلقه بها هو الطابع الرئيسى لعصر النهضة، لأن النهضة الأوربية لم تكن - فى الواقع - علمية بقدر ما كانت فنية.

والواقع أن الباحثين - حين ذهبوا إلى القول بأن الحضارات تأخذ الواحدة منها عن الأخرى - أجهدوا أنفسهم فى اكتشاف هذه الاستعارات والسراقات، حتى جعلوا الحضارات والناس - جميعاً - لصوصاً ناهبين، وأعمتهم هذه النزعة عن التمييز الصحيح، لذلك لا يجب أن نخدع إذاً بتأثير حضارة على أخرى ولا نستطيع أن نرجع الحضارة الإسلامية ونعدها جزءاً من الحضارة الأوربية، وبهذه الرؤية اختلف بدوى عن رؤية طه حسين الذى عد الحضارة الإسلامية جزءاً من حضارة البحر المتوسط، أما الحضارة العربية فقد ورثت حضارات الفرس واليهود والكلدان، وبلغت أوجها بظهور الإسلام، وامتدت فى المكان الذى يشمل كل منطقة الشرق الأوسط والأدنى حتى إيران وأنطاكية والأسكندرية وكل المنطقة التى صبغها الأسكندر بالهللينية ولكنها لم تؤذن بالذبول إلا حين طرق الصليبيون أبواب بيت المقدس.

وأهم ما يميز هذه الحضارة من خصائص يتلخص فى التفرقة بين النفس والروح، وهى تفرقة تظهر فى كل مظاهر هذه الحضارة من فن وعلم ودين وقانون وسياسة، فالروح مصدرها الله أو الملكوت الأعلى، بينما النفس مختلطة بالجسم وتعلوها الظلمة، الأولى مصدر الخير والثانية مصدر الشر، وكل ما صدر عن الأولى هو خير، وما صدر عن الثانية شر وقبح، والناس ينقسمون إلى نفسانيين وروحانيين، ولما كانت الروح صادرة عن الله فهى واحدة بينما النفوس فردية، والجميل هو ما مثل هذه الروح، والمعرفة الحق تصدر عن هذه الروح المشتركة، أى عن الإجماع لا الحكم الفردى، ومن نتائج هذه القسمة فى الفن فقدان الذاتية، فاندعت الفنون التجسيمية فى الحضارة الإسلامية من تصوير ونحت، لأن فن تصوير الجسم المستقل

والشخصية المستقلة تعبير عن الذاتية، وهذا ما لا يتفق وهذه الروح وإنما أنتجت هذه الروح نوعاً خاصاً هو أكبر توكيد للروح النافية للذاتية العاملة على القضاء عليها، وذلك النوع الذي يسميه الأوروبيون «الأرابيسك».

وفى الدين تكون التفرقة واضحة، أما فى القانون فإذا كان القانون اليونانى الرومانى صادراً عن الذاتية، لأن الأفراد هم الذين يوجدونه نتيجة لتجاربههم العملية، إلا أن الروح العربية تعتبر القانون صادراً عن القوة العليا: عن الله. وإذا كان القانون صادراً عن الله فهو يصدر عن المقدس وإذا لم يكن فى كلام الله ما ينطبق على الحالات المعروضة على القاضى فليس له أن يحكم بنفسه بل لابد من الإجماع. كذلك الحكم يكون مستمداً من القوة العليا، ولهذا اعتبر الحاكم دائماً رجل دين، وجمع الحاكم فى نفسه بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية، وجاءت فكرة الخلافة الإسلامية أوضح مثال لذلك، كما أن الدولة ليست فى حدودها السياسة فحسب بل الدولة هى الأمة المؤمنة. أما إذا رجعنا إلى العوامل الجنسية فى الحضارة الإسلامية ظهر أن العرب هم الذين يكونون الشعب الرئيسى لهذه الحضارة، فما هى خصائص الرجل العربى؟

يورد فيلسوفنا رأى «لسن» فى أن الطابع المميز للعربى هو سيادة الإرادة على ملكتى العاطفة والعقل، لذلك كان صاحبها أقدر على الحياة العملية، أعجز فى القيام بالأعمال الروحية والنظرية، ولذلك كان أصحاب هذه الحضارة أغنياء فى العلوم العملية فقراء فى العلوم النظرية.

وإذا كانت العاطفة فى مرتبة وسطى، فصاحب هذا التركيب يعوزه الخيال، لأن الخيال مزيج من العاطفة والعقل، وإذا نظرنا إلى مظاهر هذه الحضارة نجد أن أهم مظهر للفن يتصف بالنقص فى إنشاء الملاحم والروايات، لأن العربى يعوزه الخيال وهذا رأى طالما رده المستشرقون.

ويلاحظ أن العلوم النظرية فى الحضارة الإسلامية لم يشتغل بها إلا غير العرب من فرس ومغول، فاعلة فى ذلك هى تلك الخاصة التى ذكرناها وهى سيادة الإرادة.

وقيام العقل في المرتبة الأخيرة، وهذا ما يفسر - أيضاً - أن ثروة العرب كانت في الشريعة وهي علم عملي.

تلك - في النهاية - خلاصة فلسفة في الحضارة تقوم على نظرية أخذ بها بدوي، تأثر فيها بالمثالية الألمانية عند «هيجل» وأتباعه وعلى رأسهم «شينجلر» وهي فلسفة عضوية ترى الحضارة على نحو أساسه خصائص الروح، أكثر مما تفسرها على ضوء الظروف المادية الخاصة بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والانثروبولوجية.

الهوامش

- (١) خريف الفكر اليوناني، مكتبة النهضة ص ٣، إلى ص ٨ طبعة ثانية
- (٢) المرجع نفسه، المقدمة.
- (٣) ربيع الفكر اليوناني، مكتبة النهضة سنة ١٩٤٦ ص ١٧٩، ص ١٨٠.
- (٤) التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، دراسات كبار المستشرقين، دار العلم بيروت طبعة سنة ١٩٨٠ - المقدمة.

الفلسفة السياسية

في كتابات عبد الرحمن بدوي

عبد المنعم تليمة

obeikandi.com

قلة عناصر السياسة العملية والنظرية فى كتابات عبد الرحمن بدوى - هى بذاتها- موقف سياسى، وشحوب الفلسفة السياسية فى مذهبه الفلسفى هو - بذاته - موقف فلسفى. ولنبسط القول فى هذا التصدير العام نرى أنفسنا إزاء أمرين أولهما البنية السياسية المصرية المحيطة بمشروع بدوى الفلسفى، وثانيهما مكونات هذا المشروع وصلته - فى جملة - بتلك البنية قوة وضعفاً: إن مشكل البنية السياسية المصرية يجد تجليه (الظاهر) فى أن مسعى المصريين المحدثين - منذ نهايات القرن الثامن عشر إلى نهايات هذا القرن العشرين - إلى إقامة أعمدة المجتمع الحديث (المؤسسات الحديثة - الثقافة العقلانية العصرية - سلطة الشعب) قد تعثر لأن الاستبداد (الخارجى والمحلى) قد كان عقبة كبرى دون تحقيق هذا المسعى. لكن الشأن ليس سياسياً ظاهرياً فحسب، إنما هو شأن ثقافى صميم. إن لمصر موروثات ثقافية هائلة ترتد إلى عمق تاريخى بعيد، وتجعل هذه الموروثات - خاصة المتأخرة ذات الطابع الريفي شبه الإقطاعية - من مصر نموذجاً للمجتمع التقليدى الذى ينتج المحافظة الحازمة والسلفية الغالية. بيد أن هذه الموروثات الهائلة، قديمة ومتأخرة، يمكن أن تكون قاعدة مكيئة من قواعد التحديث لو تناولها النهج النقدى العقلانى التقويمى الذى يدرسها فى تاريخيتها. لكن هذه العملية العقلانية لم تتم إلى يوم الناس هذا، ومن هنا ظلت التقليدية مناوئاً ثقيلاً للتحديث. إن المثل السياسى لدى هذه التقليدية هو (المستبد العادل)، فهى تنتج الاستبداد المحلى وتعيد إنتاجه، وهو يُبَنِّتُها ويحميها. إن التقليدية تنتج - سياسياً - الحكم الشمولى المطلق، كما أنها تنتج - فكرياً - الأيديولوجيا الشمولية المطلقة. ولا مخرج للمصريين من هذه الدائرة المغلقة إلا بإصلاح ثقافى عميق شامل. إن الأسس الجديدة للحياة المصرية - فى الحال والاستقبال - لابد أن تنهض على قاعدة واحدة عريضة مكيئة، هى الإصلاح الثقافى. فالإصلاح الثقافى أساس كل إصلاح، وهو قاعدة التغيير العميق والبناء الجديد. ذلك أن الإصلاح الثقافى - بمعناه الشامل الذى نقصد إليه هنا -

يفسر تاريخ الجماعة ليحدد قانون ماضيها، وليضيء حقيقة حاضرها وليستشرف أفق مستقبلها. إنه - بهذا التفسير - يصوغ هوية الجماعة ويبين دورها في التاريخ البشرى، وهي - بوعيا بهذا الدور - تنهض بمبادرتها في حاضرها ومستقبلها في عالم اليوم وعالم الغد القريب والبعيد.

والإصلاح الثقافى الشامل يخضع (البنية المفهومية) للبحث والنظر والمناقشة والدرس، لتصنع المفهومات الأساسية فى الوجود البشرى: (الكون، الوجود، الله، الحياة، الموت، الدين، الرسالة... إلخ) والمفهومات الأساسية فى النشاط البشرى (المجتمع، العمل، العلم، الفن، الفكر... إلخ)، والمفهومات الأساسية فى العلاقات البشرية: (الحكم، الدولة، السياسة، السلطة، الحق، الحرية، القانون، الأغلبية والأقلية... إلخ). والمفهومات الأساسية فى الحياة البشرية: (الأسرة، الزواج، الحب، الجنس... إلخ). والإصلاح الثقافى الشامل يهز (البنية الذهنية) الموروثة لدى الجماعة ويتصدى لعناصر التخلف بها بالنقد والتعديل والتقويم والتغيير، لتنتصب ناهضة معايير التجريب والبحث والتفكير والتعقيل. والإصلاح الثقافى الشامل يهز (بنية القيم) الموروثة لدى الجماعة ويتصدى لعناصر التخلف لها بالنقد والتعديل والتقويم والتغيير، لتنتصب ناهضة قيم المواطنة والعمل المؤسسى والعمل المنتج والعمل العام. والعمل الثقافى الشامل يهز (بنية التجميد والتثبيت والمحافظة) الموروثة لدى الجماعة، ويتصدى لعناصر التخلف بها بالنقد والتعديل والتقويم والتغيير، لتنتصب ناهضة قيم الكشف والتجديد والابتكار والإبداع.

ويستطيع راصد التفكير الفلسفى فى مصر الحديثة - فى الثقافة العربية الحديثة بعامة - أن يقع على محاولات واجتهادات تصلح أسانيد أولية للمفهومات والعلاقات السياسية والاستراتيجية السالفة. دارت المحاولة المبكرة حول تأسيس علم كلام جديد عصرى، وراها الإمام محمد عبده فى رسالة التوحيد وتفسير القرآن الكريم ومحاوراته مع أعلام المفكرين والساسة الأوربيين. كان علم الكلام القديم يثبت الإيمان فى قلوب المؤمنين ويدفع شبه الجاحدين والمنكرين، أما علم الكلام الجديد

«غيا أن يكون مدار التفكير الشئون المستحدثة في المجتمع الحديث. وانتهت محاولة الإمام عبده - عبده - إلى رافدين كبيرين: أولهما سلفى حازم سعى إلى وصل إدارة المجتمع الحديث باجتهادات الأقدمين من أصوليين وفقهاء وعلماء. وكان محمد رشيد رضا رأس هذا الرافد، الذي نما عبده لدى أخلافه ممن زاوجوا بين الفكر والعمل المباشر، فكان ما كان من شأن ما يسمى اليوم بالإسلام السياسى. وثانيهما - وهو ما يعنيها هنا - عقلانى عصرى، وكان رواده مصطفى عبد الرازق وإبراهيم بيومى مذكور وعبد الرحمن بدوى. تنكب مصطفى عبد الرازق - كتاب (تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية)، القاهرة ١٩٤٥م - طريق الغربيين من علماء ومستشرقين، وكان هؤلاء يجدون - فى درس الفلسفة الإسلامية والتاريخ لها - فى أن يقعوا على آثار أجنبية فى تكوين هذه الفلسفة، لينتهوا إلى ردها إلى أصول غير عربية إسلامية. ذهب عبد الرازق مذهباً آخر، فرأى أن يرجع إلى النظر العقلى الإسلامى فى بواكيره الأولى، وأن يتبعه فى تطوره، وأن يفسر علل هذا التطور، قبل العرض على الثقافات الأجنبية السابقة. وجرى إبراهيم بيومى مذكور نفس المجرى، فى رسالته المبكرة عن الفارابى (جامعة السوربون، ١٩٣١م)، وفى كتابه (فى الفلسفة الإسلامية، منهج وتطبيقه)، واتسعت أمداد هذا الرافد اتساعاً فى أعمال عبد الرحمن بدوى وتلاميذه. عبر العقود الستة الأخيرة. شغل بدوى بإحياء التراث الفلسفى وتحقيقه ونشره حسب الأصول العلمية والإجراءات المنهجية المعتمدة فى الدوائر الأكاديمية الحديثة، وأنجز دراسات موسعة فى موضوعات مخصوصة من هذا التراث، وعمل على بيان صلة هذا التراث بالتفكير القديم، ودوره فى تكوين الحضارة الأوروبية الحديثة. لا جرم أن كان لهذا الرافد العقلانى صداه، ولو من بعيد، فى تأسيس البحث الفلسفى الأكاديمى، وفى السياسة العملية بتوجيهها - ولو بصور غير مباشرة - إلى إدارة شئون المجتمع مدنياً، أى حسب الحكمة العملية. وقد وازى الرافدين السابقين - السلفى والعقلانى - وواكبهما تيار آخر، وهو تيار التصوف السنى. ففى ذات العقد الذى تقدم إبراهيم مذكور إلى جامعة السوربون برسالته للدكتوراه عن الفارابى،

تقدم عبد الحليم محمود - الإمام الأكبر الأسبق - إلى ذات الجامعة برسالته للدكتوراه عن الإمام الحارث المحاسبى رأس التصوف السنى، ففتح بذلك سبيل الأسس الأخلاقية المتطهرة للسياسات العملية. ولد أبو عبد الله الحارث بن أسد العنزى بالبصرة سنة ١٦٥ هـ (٧٨١م)، وانتقل إلى بغداد حيث أخذ عن جملة صالحه من شيوخ العلم وحيث اتصل بجملة من مصادر الثقافة. وهناك سطع نزوعه الوعظى التصوفى، ونضج نهجه الأخلاقى ومذهبه الروحى، ثم أثر أن يعتزل، فخلا إلى نفسه فى الأعوام العشرة الأخيرة من عمره، وأخلص نفسه للتأمل والعبادة ومات فى بغداد سنة ٢٤٣ هـ (٨٥٧م). لقب بالمحاسبى لأخذه نفسه بالحزم ودوام المحاسبية على طريق الزهادة، تلك الطريق التى بدأت فى عصر النبوة، ورادها من عرفتهم الحياة الروحية بالزهاد والنسك والبكائين والوعاظ والعباد، وكان من طليعتهم صهيب وحذيفة وأبو الدرداء وأبو ذر وأضرابهم من جلة صحابة الرسول ورجال الصدر الأول. كان يتقرأ نقرأ، يتنكسك ويتفقه، معتمداً القرآن والسنة، فهو من أوائل من أقاموا نهج التصوف السنى، الذين يستلهمون حقائق التقوى من المصدر القرآنى والحديثى، ويقيمون أصول الذكر والعمل على التطهر الخلقى، بغير غلو ولا جنوح. وقد ساعده الاعتدال على المشاركة فى تأسيس كثير من العلوم الإسلامية. فكان من أوائل المتكلمة والأصوليين والمتفلسفة، وله جهده فى ضبط المصطلح الفلسفى المبكر. وربما أضاء هذا الاعتدال شيئاً من موقفه بين مفكرى عصره وشيئاً من مواقفهم من سبيله ومذهبه. فهو ممن اعتدوا بالعقل ومع ذلك خاصم المعتزلة وخاصموه، وهو من أصحاب الحديث ومع ذلك خاصمه الحنابلة وهاجموه. ورسائل المحاسبى تتجاوز الوعظ والهداية المباشرين إلى أداء الغاية بأساليب بليغة فنية، فهو يطلب من مستمعه أو قارئه أن يعمل خياله لينكشف لبصره وبصيرته الحق مجسداً، وهو نفسه يصطنع ذات الأداة ليترجم لنفسه وما تعاور عليها من مجاهدات ووجدانات وأشواق وتجارب. هذه الأساليب هى التى تفسر نفوذ هذا الفكر إلى أوسع التيارات الأدبية والفكرية زمن الازدهار العباسية. فطرائق الأداء هذه هى التى

أشارت إلى سبق رسالته (التوهم) للمعري في الرحلة إلى العالم الآخر، وهي التي تفسر مسالك فكره إلى الأشاعرة، بل هي التي نضجت في أعمال الغزالي الكبرى. لقد اصطنع المحاسبي التفلسف لمخاضة الفلسفة واصطنع منطق الفلاسفة لبيان تهافتهم كما كان يرى، وسرى هذا النهج مسراه حتى بلغ ذراه عند الغزالي. لكن الأهم أن أساليب المحاسبي في أداء هذا كله - فنياً - قد نمت وربت في بناء عمل الغزالي، كما لاحظ الدارسون والعلماء. لقد اعتد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥هـ) بعمل المحاسبي واعتمد عليه زماناً قبل أن يصوغ أعماله الكبرى، لكن رسالة المحاسبي (الوصايا) التي يترجم فيها لنفسه ويصطنع فيها ضرباً من الاعتراف لوصف تجربته كانت - فنياً - باباً أفضى إلى (المنقذ من الضلال)، كذلك فإن رسالة (الرعاية لحقوق الله) التي يؤصل فيها المبادئ والمناهج الصوفية في الذكر والسلوك كانت - فنياً - باباً أفضى إلى (إحياء علوم الدنيا)، وقد لغت هذه الأمور بعض الباحثين، خاصة في دوائر الاستشراق، فتوفروا عليها بالتحقيق والدرس واستخلاص النتائج. كتب لويس ماسينيون Louis Massignon ١٨٨٢ - ١٩٦٢م عن تلك المراحل والأصول الباكرة للتصوف الإسلامي في دراسته الواسعة عن الحلاج، ثم خص الإمام المحاسبي بمادة إضافية في دائرة المعارف الإسلامية. لكن مدرسة نيكلسون Nicholson ١٨٦٨ - ١٩٤٥ غلبت في التعريف بالمحاسبي ودرس أثره وأثاره. وفي عمل نيكلسون عن التصوف الإسلامي - نقله إلى العربية أبو العلاء عفيفي - مادة طيبة، وواصل تلاميذ نيكلسون عمله، فنشر تلميذه أربري. أ.ج. Arberry, A.J كتاب (التوهم) للمحاسبي سنة ١٩٢٧م بالقاهرة. أما تلميذته مرجريت سميث Smmith Margaret فكانت تخلص حياتها العملية كلها على درس المحاسبي وتحقيق آثاره ونشرها: وضعت أول كتاب عنه

An early Mystic of Baghdad, a study of the life and teaching of Harith

b.Asad AL- Muhasibi, London, 1935.

ثم كتبت: المحاسبي رائد الغزالي سنة ١٩٢٦م. ونشرت كتاب (الرعاية) سنة

١٩٤٠م. ولا يزال عمل الأساتذة المصريين - والعرب - في هذا الميدان - بروافده الفلسفية والتصوفية - نشطاً، بيد أنه لم يصل إلى بناء تاريخ النظر الفلسفي في ثقافتنا، ولن يصل هذا العمل إلى تأسيس هذا البناء ما لم تندرج جهود العلماء الآحاد المحدودة في خطط منضبطة عامة تنهض بها جماعات بحثية جادة. بل إن الأمر لن يصل إلى غايته ما لم يتسع التصور ليمتد مداه إلى الأبنية الثقافية العتيقة في عالمنا القديم، وادي النيل والشام ووادي الرافدين، قبل الإسلام بخمسة آلاف سنة، لأن بنيتنا الثقافية الراهنة إنما هي ثمرة لتفاعل كل عناصرها في كل مراحلها. لقد شهدت حركة إحياء النظر الفلسفي - التي وصفناها في السطور السابقة - (تجديداً) لدى بعض روافد هذه الحركة، وقد وجد هذا التجديد مجاهه في الأخذ بطرائق الدرس الحديث من تاريخية وعقلانية. بيد أن مجمل ثقافتنا الحديثة قد شهدت - إلى جانب تلك الحركة وتجلياتها - (جديداً) في حقول العلم والفكر والإبداع. لكن هذا الجديد تعثر - ولا يزال - لتلك العلة التي نصصنا عليها في موضع سابق، علة البنية الثقافية المتوارثة ذات الطابع الريفية شبه الإقطاعية، البنية التي تنتج التقليدية في كل ميادين النظر والبحث والإبداع، كما تنتج الاستبداد في كل منحى من مناحى إدارة الحياة بدءاً بالبيت والمدرسة وانتهاء بالحكم وإدارة البلاد. ويعنينا هنا أن هذا الجديد الشامل - المتعثر - قد وجد نفسه في مجال النظر الفلسفي في ثلاثة تيارات واضحة: الماركسية، والوضعية المنطقية، والوجودية. ولدينا الفرصة لنقف عند واحد من هذه التيارات الثلاثة، عند الوجودية، لأن رأسها في ثقافتنا الراهنة هو عبد الرحمن بدوي، موضوع هذا البحث. وقبل هذه الوقفة عند جهد بدوي، نتم - مسرعين -

- تقويم المشهد الفلسفي في تاريخنا الحديث:

لا ريب في أن هذا المشهد - تجديداً وجديداً - قد كان - من إحدى الزوايا - استجابة لمطالب النهوض، كما كان - من زاوية أخرى - ثمرة لهذه المطالب. كان المشهد من بعيد أحياناً ومن قريب أحياناً موازياً فكرياً - في الفلسفة السياسية - للأنظار التي انتهت إلى تحديد غايات النهوض بأربع، تحرير الوطن، وتحديث

المجتمع، وتعقيل الفكر، وتوحيد الأمة. وكان المشهد، ولو بصورة غامضة، وراء التيارات السياسية الأربعة التي رشحها التاريخ المصرى الحديث، الليبرالية، والاشتراكية، والسلفية، والقومية. كما يمكن لراصد متأن أن يلمح المقولات العريضة للمشهد سابقة ومواكبة ولاحقة، وأحياناً ملهمة ومرشدة، والحركات الجذرية الأربع التي تكون - فى مجموعها - ثورة مصر الحديثة ومبادراتها فى التاريخ الحديث، خروج المصريين ضد الفرنسيين فى ثورتى القاهرة الأولى والثانية، وخروجهم ضد الإنجليز فى ثورة عرابى، وخروجهم ضد الإنجليز فى ثورة ١٩١٩م، وخروجهم ضد الإنجليز والقصر فى يولية ١٩٥٢م. بذور كل ذلك سبقت أو واكبت ولحقت تبلور المشهد الفلسفى فى النصف الأول من هذا القرن العشرين، فى الروافد والتيارات الفكرية والنظرية والفلسفية التى رصدناها فى موضعها السابق من هذا البحث. وثمة رجال لم يكونوا من محترفى صناعة الفلسفة، بيد أن جهودهم النظرية والعملية ساعدت فى بلورة تيارات هذا المشهد. كان رفاعه الطهطاوى وجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وأحمد لطفى السيد ورشيد رضا وطه حسين وسلامة موسى وعباس العقاد وحسن البنا وتوفيق الحكيم، من رجال الفكر والعمل، ولم يكن واحد منهم بعيداً عن واحد من تلك التيارات التى جاء أهل الاختصاص من أصحاب صناعة الفلسفة ليجعلوها تيارات واتجاهات فلسفية، بالمعنى الاصطلاحي.

ويعكر هذا المشهد الفكرى، فى ثقافتنا الحديثة والمعاصرة، ثلاثة أمور: أولها فقر هذا المشهد فى النقد والتقويم والإضافة. بغير النهج النقدى التقويمى يصير التراث عبئاً وعقبة دون نهوض حقيقى. وبغير إضافة تصير التيارات الفلسفية الحديثة «عولمة» بدون دور وجهد فكرى مرموق منا. وثانيها الخلط بين طرائق البحث الفلسفى الأكاديمى وحاجات الواقع العملى السياسى المعيش، هذا يفسد الأمرين جميعاً، إذ هو يجعل من الباحث داعية ويجعل من الداعية مدعياً. ننص على هذا الأمر ونحن أبعد الناس عن الفصل بين النظر والواقع، بيد أننا نفرق بين ضرورة أنشغال النظر بتحليل الواقع والتنظير والتأصيل لقضاياها، وبين الاستجابة لمقتضيات العارض

الجزئى من العمل السياسى . وثالثها عجز هذا المشهد الفكرى عن صياغة أديبات
عصرية راقية للحوار بين تياراته المختلفة، فراح كل تيار يدعى امتلاك الحقيقة
المطلقة، وفى هذا ما فيه من فساد الرأى والرؤية والحقيقة جميعاً. هذه الأمور الثلاثة
التي تعكر مشهد الفكر الفلسفى النظرى، هى موازاة فكرية لما عليه القوى الفاعلة فى
السياسة العملية. تصطنع هذه القوى التناحر اصطناعاً، ولذا فقد عجزت عن
المصالحة السياسية على أسس المحاوراة الوطنية العظمى. كل هذا - فى النظر
والعمل - يعطل تغيير البنية الثقافية الموروثة التي تلد التقليدية فى النظر والاستبداد
فى العمل. ولقد نصصنا- فى غير موضع - أن السبيل هو الإصلاح الثقافى
الشامل.

أين عبد الرحمن بدوى من كل ذلك؟ ذكرت فى صدر هذا القول إن السياسة -
بمعناها الفنى - فى كتاباته تشغل موضعاً محدوداً. غير أننا لو توسلنا بمفهوم
واسع ينتظم المفهومات والعلاقات التي تقوم عليها التنظيمات والإدارات، لوجدنا فى
معمله الفلسفى زاداً وفيراً وسنرى.

...

يرفض عبد الرحمن بدوى - بحزم - الماركسية والوضعية جميعاً ويؤسس - منذ
سنة ١٩٢٨م، تاريخ نشر أول كتبه - مذهباً فى الوجود، ومصادر وجوديته علمان من
أعمدة التفكير الحديث

فردريك قلهلم نيتشه Friedrich Wilhelm Nietzsche ١٨٤٤ - ١٩٠٠

ومارتن هيدجر Martin Heidegger ١٨٨٩ - ١٩٧٦

بيد أننا نجد - كما سنرى - أنه لا يفلت من مناخ النهضة المصرية وغاياتها فى
مواضع من مذهب، من ذلك أنه يطابق بين (الوثبة) النفسية الوجدانية الذاتية
و«النهضة» العامة، فهو هنا يفارق أستاذه «نيتشه» الذى يغلو فى تقدير الذاتية
والإنسان الأعلى والنخبة، ومن ذلك أن بدوى يفارق أستاذه هيدجر فى طبيعة الزمان،
فهيدجر يقصر «الآن» على المستقبل، أما بدوى فيجعل الآن منتظماً للحظات الثلاث،

الماضى والحاضر والمستقبل، فهو - بدوى - يصطنع (التاريخية) اصطناعاً. بدوى بمفارقتة لأستاذه فى الأمرين السالفين - وفى غيرهما - إنما يؤسس وجودية عقلانية، وهو - بهذا - غير بعيد عن حاجات النهوض المصرى عامة، ويعيننا هنا - حسب موضوع بحثنا - من كل جهده الفلسفى العريض ثلاثة مفهومات نعدها أسانيد لرؤيته السياسية النظرية.

الشخصية: علاقة الفرد بالجماعة محور الفكر السياسى، وعلاقة الذات بالموضوع محور الفكر الفلسفى. يؤكد الفكر السياسى العقلانى شخصية Personality الفرد الإنسانى، لكن هذا الفرد يميل إلى جعل ذاته مركزاً Egocentrism، وقد يصل هذا الميل إلى درجة مرضية، فتكون الأنانية Egoism. ويصوغ هذا الفكر السياسى العقلانى الأمر صياغة «أخلاقية» راشدة بجعل السلوك «جماعياً اجتماعياً»، أى بالتزام الأفراد بمجموعة من القواعد القانونية تعصم الفرد من العزلة وتعصم المجموع من التناحر.

وينفى بدوى ثنائية الفرد والجماعة لأن الفردية لديه هى الوجود الحق وينفى - فلسفياً - ثنائية الذات والموضوع لأن الذات لديه هى الوجود الحق. وثمة - عنده - ما يهدد الشخصية «الفردية» بالإضعاف. ويتجلى هذا التهديد فى حالتين: حالة إفناء الشخصية فى روح كلية، وحالة إفناء الشخصية فى «الناس»، المجموع. وينقد بدوى «هيجل» (١٧٧٠ - ١٨٣١م) Georg Wilhelm Friedrich Hegel لأن الحالة الأولى بلغت أعلى صورها فى مثاليته. فالفرد عند «هيجل» ليس له وجود حقيقى فى ذاته، وإنما الوجود الحقيقى هو وجود المطلق، ولا قيمة وجودية للفرد إلا من حيث كونه مشاركاً فى وجود المطلق. أما لدى بدوى فإن الميزة الأولى لوجود الذات هى أن الذات يعرف ذاتها، ففيه الذات - الأنا فى نسبة مع نفسه، والإحالة فيه، لا من الذات إلى الغير، بل من الذات إلى الذات، وهى إحالة لا تتسم بسمة الأداة، بل بسمة التوتر الحى والكلية الخصبة التى تحاول أن تفض مضمونها بواسطة الإيغال المستمر فى الاستبطان الذاتى. فوجود الذات - إذن - وجودٌ شاعرٌ بوجوده، مُحيلٌ إلى نفسه.

الوجود الحقيقي الأصيل للذات هو الوجود الماهوى، لأن الصلة فيه بين الذات وبين نفسها. وهذه الذات - إذن - فردية إلى أقصى حدود الفردية. وهذه الفردية المطلقة. أو هذا الأنا، هو - إذن - الوجود الأصيل الذى أصدر عنه فى كل أفكارى وأفعالى. وهى - حينئذ - فى حالة عزلة كاملة، وحيدة مع مسئوليتها الهائلة، شاعرة بأن لها معنى لا نهائياً، شعوراً يصدر إليها من كون حريتها مطلقة. أما جدل الذات والموضوع فيتبدى لى بدوى فى أن الوجود وجودان: وجود الذات، ووجود الموضوع. ولكن الوجود الأصيل - بالنسبة للإنسان على الأقل - وهو وجود الذات، حتى لتنتهى إلى قصر الوجود على وجود الذات. وفى تعرف الذات على الموضوع ينفى بدوى ثنائية الوجدان والإدراك، لأن التعرف الحق إنما يكون عن سبيل الوجدان. عنده أن العقل المنطقى ليس هو الملكة الوحيدة التى يستطيع المرء بها أن يدرك حقيقة الوجود الحى. إن الشعور بالوجود لا يكون قوياً عن طريق الفكر المجرد، لأن الفكر المجرد انتزاع للنفس من تيار الوجود الحى وانعزال فى مملكة أخرى تذهب منها الحياة المتوترة الحادة، ولا يسودها فعل وحركة، بل صيغ خارجية عن الوجود الحى لا تنبض بدمه إنما يتم هذا الشعور - حقاً - فى حالة الفعل الباطن المنشب أظافره فى الحياة المضطربة، فى حالة التجربة الحية التى نستطيع فيها أن نكون على اتصال مباشر بالوجود فى توتره. وهذا إنما يتم بمملكة خاصة غير العقل، هى مملكة «الوجدان». الوجدان هو الملكة التى نعانى بها الوجود بما هو عليه فى نسيجه المتوتر على حال العاطفة وقوة الإرادة. وأهم نتائج القول بمملكة الوجدان عند عبد الرحمن بدوى إزالة المشكلة الكبرى فى نظرية المعرفة، مشكلة الذات والموضوع. يرفض بدوى المشكلة على أساس أنها مشكلة تتصل بالوجود الفيزيائى لا بالوجود الذاتى، لأنه إذا كانت ثمة إحالة فى هذا الوجود الذاتى، فذلك إنما يكون من الذات إلى الذات، فلا معنى - بعد - للانقسام إلى ذات وموضع، فضلاً عن أن التجربة هنا مباشرة فيها تحضر الذات نفسها بلا واسطة من صور أو كليات. والوجدان يكون - إذن - عالماً للإدراك يختلف تماماً عن عالم الإدراك الذى يكونه العقل، ولكن ليس معنى هذا أنهما

مستقلان تمام الاستقلال، بل عالم الإدراك العقلى فى خدمة عالم الإدراك الوجدانى.
العقل فى خدمة الوجدان.

وهذا الغلو فى تقدير الذاتية والفردية والوجدانية يقرب عبد الرحمن بدوى من أفق
الشاعر المتصوف. ولنا فى هذا الشأن قول بعد وقتين عند المفهومين الآخرين.

الحرية: الحرية نقيض القيد والنظام نقيض الفوضى. فحرية الفرد - مدنية
وسياسية - فى الفكر السياسى العقلانى هى التزامه بالقواعد المتفق عليها اتفاقاً
حرأً، وهذه القواعد هى جوهر «النظام» الذى شارك أحاد الجماعة فى إقامته
إشتراكاً مباشراً أو بواسطة ممثلين مختارين اختياراً حرأً. وحرية الفرد - فلسفياً -
هى الحد الأعلى لاستقلال إرادته الواعية بذاتها وغاياتها. ويكاد عبد الرحمن بدوى
يتململ من هذا (الالتزام) السياسى، بل يكاد ينكره إنكاراً ويزور عنه ازوراراً، أما
الإرادة - فلسفياً - فهو يدفعها دفعاً إلى أقصى إمكاناتها. إن الحرية - لديه - هى
الصفة الأولى لوجود الذات. ويرى أن المثالية الألمانية، خاصة عند فشته Johann
gottlieb Fichte 1762-1814م هذه المثالية الألمانية قالت بالحرية لكنها لم تفهمها
على أنها الحرية الفردية وإنما فهمتها على أنها الحرية الكلية. هذه المثالية الألمانية
تقول بحرية بالنسبة إلى الله وبالنسبة إلى الكل، الأنا المطلق أو الروح المطلقة، لا
بالنسبة إلى الإنسان الفرد. وأما ما هناك من حرية فى الأفراد فما هى إلا مظاهر
متعددة لحرية واخذة هى الحرية الكلية. أما بدوى فيقرن الأنا بالحرية بالإرادة.
وينتقد ديكارت René descartes 1596 - 1650 فى مقولته الجهيرة (أنا أفكر، إذن
أنا موجود). عند بدوى أن الذات هى الأنا المرید. والشعور بالذات إنما يتم فى هذا
القول: (أنا أريد). ولكى يجد المرء ذاته فعليه أن ينشدها فى فعل الإرادة، لا فى
الفكر كفكر، أى كحالة لا كعملية. ومن هنا كان الخطأ الأكبر فى مقالة ديكارت
المعروفة. لأن الفكر كفكر لا يمكن مطلقاً أن يؤدى إلى الوجود، وبالتالي إلى إثبات
وجود الذات، اللهم إلا إذا فهمنا الفكر بمعنى فعل الفكر، فبهذا وحده يمكن إنقاذ
مقالة ديكارت. ولكنه إنقاذ لا يمكن أن يفيد فى شىء، لأننا سنكون حينئذ بإزاء

مصادرة على المطلوب الأول أو بإزاء تحصيل حاصل على أقل تقدير. إنما يتم الشعور بالذات - حقاً - فى فعل الإرادة، فهو شعور بالأننا المرید. ولما كانت الإرادة تقتضى الحرية ولا تقوم إلا بها، فالشعور بالذات يقتضى الشعور بالحرية ومن هنا فإن الذات والإرادة والحرية معان متشابكة يقتضى بعضها بعضاً. ولذا فإن الشعور بالذات يزداد بمقدار ازدياد الشعور بالحرية. والذات الحققة، الذات البكر التى تستمد وجودها من الينبوع الصافى للوجود الحقيقى، هى الذات الحرة إلى أقصى درجات الحرية، الحاملة لمسئوليتها بكل ما تتضمنه من خطر أو قلق أو تضحية، لكن الحرية تقتضى الإمكانية، لأن الحرية تتضمن الاختيار، وكل اختيار هو اختيار بين ممكنات. فإذا كان جوهر الذات فى الحرية، فما هيته تقوم - إذن - فى الإمكانية. وهذه الإمكانية ليست مطلقة، أى خالية من كل تحقق، بل لابد لها من أن تتحقق، ومعنى تحقيقها أن تختار من بين الممكنات، حتى إذا ما تم الاختيار انتقلت الذات من حالة الحرية إلى حالة الضرورة، والضرورة - هنا - هى تحقق الإمكانية على هيئة وجود فى العالم.

التاريخ: الزمان نوعان: زمان فيزيائى، و زمان ذاتى، هو الزمان الوجودى، إن مشكلة الزمان مرتبطة تمام الارتباط بمشكلة الوجود، فالزمان عامل جوهري مقوم للوجود. وعلى هذا فلكى نفس حقيقة الوجود عامة لابد أن تلجأ إلى الزمان فنفسر الوجود من ناحيته، وسنرى - حينئذ - أن الزمان يمكن أن يفسر به الطابع الأسمى للوجود، لكل ما فى الوجود. وعدم تفسير الوجود على أساس الزمان هو العلة فى إخفاق كل ما قال به الفلاسفة من مذاهب فى الوجود. والذين حاولوا منهم إدخال الزمان - إلى حد ما - فى تفسيرهم لبعض أنحاء الوجود لم يفهموا الزمان بمعناه الحقيقى، بل كانت لديهم عنه فكرة إما زائفة وإما ناقصة. ذلك أنهم فهموا الزمانية بمعنى الوجود فى الزمان، ووفقاً لهذا قسموه أقساماً: فقسم من الوجود يخضع للزمان ويجرى فيه كأحداث الطبيعة والتاريخ، وقسم لا يخضع له ولا يرتبط كالنسب الرياضية، وكل هذا فى داخل هذا الوجود.

ثم قسموه قسمة ثنائية أخرى إلى وجود في الزمان، وهو الوجود الفانى، ووجود فوق الزمان هو الوجود الأزلى الأبدى، وبينهما هوة حاول البعض اجتيازها بسلسلة من المتوسطات، وقال البعض الآخر إنه ليس من الممكن عبورها. والوضع الصحيح أن نفهم الوجود على أنه زمانى فى جوهره وبطبيعته. وتبعاً لهذا فإن كل ما يتصف بصفة الوجود لا بد أن يتصف بالزمانية. وليس معنى الزمانية مجرد الوجود فى الزمان وكأن الزمان إطار يجول فيه الوجود. وإن ما يدعى أنه (فوق الزمان) أو (خارج الزمان) هو أيضاً زمانى ما دمنا نعزو إليه صفة الوجود. وصفة الزمانية - إذن - تطبع كل موجود وتشيع فيه كروحه الحقيقية فالزمان هو المقوم الجوهري لماهية الوجود والعامل والفاعل فى تحديد معناه وتفسير الوجود على هذا النحو فيه ثورة لا تقل فى عنفها وخطر نتائجها عن تلك التى قام بها كوبر نيك فى علم الفلك. فإذا كان كانت Immanuel Kant ١٧٢٤ - ١٨٠٢ قد نعت مذهبه النقدى بأنه ثورة كوبرنيكية فى نظرية المعرفة، فإن عبد الرحمن بدوى ينعت مذهبه بأنه ثورة كوبرنيكية فى علم الوجود. بل إنه ليرى أن مذهب هذا شاهد على أن الحضارة الأوروبية الراهنة فى طور نهايتها، كما أن مذهبه بشير بميلاد حضارة جديدة.

قدم عبد الرحمن بدوى - فى النسق السالف: الشخصية، والحرية، والتاريخ - الذات الفردية تقدماً غالياً، وجعل هذه الذات فى العالم قيمة مطلقة، وجعل جوهر هذه الذات يتبدى فى الشعور والوجدان، وجعل الإدراك فى خدمة الشعور، والعقل فى خدمة الوجدان. ولقد ذكرنا - فى موضع سلف - أن هذه الصيغة أدنى إلى غزارة الشاعرية وحدسية التصوف منها إلى البسط والضبط الفلسفيين. ويمكن للتأويل السياسى الذى يعتد بـ «ظاهر» هذه الصيغة أن ينتهى إلى أنها استعلانية تنطلق من الذات الفردية لتقفز مباشرة إلى النخبة أو الصفوة تون نظر إلى السواد، المجموع، الشعب. بيد أن ثمة قراءة ثانية غير قراءة الظاهر القريب المباشر، هذه القراءة الثانية تصنع صيغة عبد الرحمن بدوى الفلسفية السالفة فى «تاريخيتها»: كانت مصر الحديثة - ولا تزال - تفتش عن «الذات»، والمغزى العميق لهذا التفتيش تحرير ذات

المصرى من كوابح التقليديّة الموروثة عن العصور المتأخرة، وتحرير ذات مصر من قهر تلك الموروثات ذاتها مع قهر الاستبداد المحلى والخارجى. هذا التفتيش عن الوجدان الذاتى والجماعى وجد مجلاه فى حركة رومانتيكية عريضة تبدت فى كافة الابداعات الأدبية والتشكيلية والموسيقية، كما تبدت فى الصياغات الفكرية، بل وتببت فى مناهج البحث والتفسير والتأويل، ولم تقع الرومانتيكية المصرية التى برزت وذاعت فى النصف الأول من هذا القرن العشرين، فيما وقعت فيه الرومانتيكيين الغربية فى العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين. بدأت الرومانتيكية الغربية بتوهج الذات الحرة المتفتحة، وانتهت لدى صغار الرومانتيكيين المتأخرين إلى الذات الضيقة الأنانية المعزولة. إن حاجات النهوض عصمت الإبداع الرومانتيكى المصرى من عزل الذات عن سواد الناس ومن استعلاء الفرد الأعلى والأقوى على المجموع. زاوجت الرومانتيكية المصرية بين الوجدان الذاتى والوجدان الجماعى، استجابة لمطالب النهوض وحاجاته فى التحرير والتحديث والتعقيل والتوحيد. وفى قلب هذا التوهج الرومانتيكى المصرى كانت صيغة عبد الرحمن بدوى ضرورة فكرية وروحية معاً. ولا تتجلى تاريخية صيغة عبد الرحمن بدوى فى ظرفها المحلى المصرى فقط، بل إنها لتتجلى فى ظرفها العالمى كذلك: نشط عبد الرحمن بدوى مع بداية الحرب العظمى الثانية، وتنامى نشاطه أثناءها وبعدها. هيمنت فى تلك اللحظة من التاريخ الحديث والمعاصر الميكافيلية - نسبة إلى ميكافيللى Niccolo Machiavelli ١٤٦٩ - ١٥٢٧م صاحب كتاب «الأمير» - على السياسة العملية العالمية بصعود النازية والفاشية. وجوهر الميكافيلية نفى (الأخلاقية) فى الفعل السياسى. نص ميكافيللى على أن الغاية تبرر الوسيلة، وأن (للأمير) أن يتوسل بكل وسيلة لتحقيق غاياته، وأن عليه أن يجمع فى سياسته بين القوة والدهاء، وأن له أن يتخذ الموقف وضده. يسند هذا التوجيه نظر فى الطبيعة الإنسانية يرى أن البشر يجمعون فى سلوكهم وقيمهم بين الجبن والنفاق، وأنهم لا يخضعون إلا للقوة، وأنهم يسيرون ويجرون وراء الأقوياء. واجتهد المفكرون فى حل معضلة صلة الأخلاق بالسياسة. ووجد بعض هؤلاء المفكرين أن الفعل الأخلاقى الفردى، مثل الجود

والإقدام، لا يتم إلا إذا كان لصالح المجموع الذى ينتمى إليه الفرد، بل ولصالح المجموع الإنسانى كله. ووجد هؤلاء المفكرون أن الصراع أصل فى حياة البشر. ويمكن تنظيم هذا الصراع - سلمياً - بالاتفاق العام على قواعد وضوابط لإدارته ديمقراطياً، ولا ريب فى أن ما سلف إنما يوازن بين الأخلاقى والسياسى فى مبادئ راشدة. ولاريب كذلك فى أن صيغة عبد الرحمن بدوى التى أعلنت من شأن (المسئولية) - كما سلف فى عرضنا لها - لم تكن بعيدة عن هذه الاجتهادات.

تذييل

نص عبد الرحمن بدوى - فى سيرته - على أنه شارك فى السياسة الوطنية المصرية، فكان عضواً فى حزب مصر الفتاة (١٩٣٨ - ١٩٤٠)، ثم عضواً فى اللجنة العليا للحزب الوطنى الجديد (١٩٤٤ - ١٩٥٢م). واختير عضواً فى لجنة الدستور التى كلفت فى يناير سنة ١٩٥٣ بوضع دستور لمصر. وكانت تضم صفوة السياسيين والمفكرين والقانونيين (خمسین عضواً). وأسهم - خصوصاً - فى ضوع المواد الخاصة بالحريات والواجبات. وأتمت اللجنة وضع الدستور فى أغسطس سنة ١٩٥٤م. ولكن القائمين على ثورة يوليو لم يأخذوا به لما فيه من تقرير وضمانات للحريات والحكم الديمقراطى السليم.

وقد استقدت بهذه السيرة التى حررها بدوى فى:

الموسوعة الفلسفية، دار الفارابى، بيروت، سنة ١٩٨٠
واعتمدت - أساساً - على أعماله التى تتصل بموضوع قراعتى لفلسفته السياسية، من هذه الأعمال:

- الزمان الوجودى، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٥٥

- الأصول اليونانية للنظريات السياسية فى الإسلام، دراسة وتحقيق. القاهرة،

١٩٥٥م.

- فلسفة القانون والسياسة عند كانت، الكويت، سنة ١٩٧٩م.

- تاريخ العالم لأوروشبوس، دراسة وتحقيق، بيروت، سنة ١٩٨١م.

- فلسفة الحضارة لأشفيتر، ترجمة وتقديم، بيروت، سنة ١٩٨٠م.

Ob e i k a n d i . c o m

«كشوف حساب» فلسفى

مع الدكتور عبد الرحمن بدوى.. ومع نفسى

أ. محمود أمين العالم

obeikandi.com

فى ديسمبر عام ١٩٤٥ ألقى محاضرة فى الجمعية الفلسفية بكلية الآداب، جامعة القاهرة [فؤاد الأول آنذاك] بعنوان «اللامعقول فى الطبيعة والفن». وأذكر أن رئيس الجمعية - آنذاك - الزميل [الدكتور الآن] كمال دسوقى اكتفى بالتعليق على المحاضرة بعد انتهائى منها، معذراً للحاضرين - بلباقة - عن شططها وجفافها..

ولم تكن هذه المحاضرة إلا خلاصة رحلتى الفلسفية عند تخرجى فى قسم الفلسفة فى ذلك العام، وإن تكن امتداداً لرحلة بدأت - فى الحقيقة - منذ منتصف مرحلة دراستى الثانوية فى السنة الثالثة من تلك المرحلة الثانوية عثرت فى مكتبة شقيقى الأستاذ محمد شوقى أمين على أعداد من مجلة الرسالة التى كان يصدرها الأستاذ محمد حسن الزيات، وجدت فيها ترجمة فيليكس فارس لكتاب «هكذا تكلم زرادشت» لنييتشه، فرحت أقرأ بنهم وتوتر لآحد لهما فصول الكتاب فى أعداد المتابعة لمجلة الرسالة. وتصادف أن كان مدرس اللغة الفرنسية - وهو مواطن فرنسى - من المعجبين بنييتشه، فعندما حدثته - عرضاً - عن قراعتى لكتاب «هكذا تكلم زرادشت» فتح لى أفقاً جديدة للمعرفة بفلسفة نييتشه. وكان ذلك منطلقى إلى بعض الكتب الغربية التى تؤرخ للفلسفة عامة، ولللسفة الأوروبية الحديثه بوجه خاص، ثم منطلقى بعد ذلك - رغم معارضة أسرتى - إلى الالتحاق بقسم الفلسفة بعد حصولى على الشهادة الثانوية التحقت بقسم الفلسفة متأبطاً أول كتاب باللغة العربية عن نييتشه فور صدوره عام ١٩٣٩. وكان مؤلف هذا الكتاب هو الدكتور عبد الرحمن بدوى، وطوال دراستى فى قسم الفلسفة كان عبد الرحمن بدوى عندى هو التجسيد المثالى لنييتشوى الحى. على أن الدكتور عبد الرحمن بدوى كان يمارس نييتشويته ممارسة استعلانية تقيم بينه وبين طلبته والآخرين عامة مسافة شاسعة غامضة، أو هكذا كنت أشعر آنذاك. وقد كنت أرى فى ذلك معنى نييتشويا أصيلاً، أفهمه وأقدره وأتأمله فى رهبة! على أنى - فى الحقيقة - كنت أستشعر نييتشويته على نحو مغاير. كانت أقرب عندى إلى المغامرة الحية التى تسعى إلى تجاوز كل ما هو سائد متعارف عليه، وكل ما هو ركيك مبتذل ضعيف، ولكن برفيف شعري روحى

رومانسى، فقد كنت فى مرحلة مبكرة قد عرفت «الحلاج» فى كتاب ماسنيون عنه، وعشت أشعاره معايشة حميمة، وأحسست بقاء عميق بين شطحاته الروحية وحبل نيته المنصوب فوق هاوية فى الطريق إلى الإنسان الأعلى! ولهذا رحت أقتات منها غذائى الروحى اليومى الذى كان يصل بى أحياناً إلى حافة الغيبوبة أو الهوس الشعورى والفكرى والتأزم النفسى الحاد. وكان خلاصى - فى أغلب الأحيان - يتحقق فى كتابة الشعر وفى الاستغراق الطويل فى الشطرنج، وفى التسكعات الطويلة فى الكتب وفى الشوارع وفى التجمعات السياسية الوطنية التى كان يحتدم بها الواقع المصرى فى الأربعينيات.

وكنت أبحث خلال هذا كله عن الموضوع. ومازلت أذكر بيتاً من قصيدة كتبتها - آنذاك - معبراً عن هذا أقول فيه «لم تبق إلا خطوة أو خطوتان على الموضوع»، ولكن هيهات لى فى هذه السنوات وفى غمرة هذا التأزم أن أصل إلى وضوح! وكان من الطبيعى أن أرسب فى العام الدراسى الأول نتيجة لذلك. ولهذا سعت أسرتى إلى إلحاقى بعمل إدارى فى وزارة التربية والتعليم «المعارف آنذاك» تأميناً لمستقبلى.

على أن ذلك مما ضاعف من تأزمنى، وإن شحذ إرادتى لمحاولة الجمع بين العمل الإدارى والدراسة الجامعية، ووراء محاولة الجمع هذه ملابسات بالغة التعقيد والغرابة مما ضاعف كذلك من تأزمنى، ولا مجال هنا لتفاصيل ذلك. على أنى فى العام الدراسى التالى التقيت فى السنة الأولى التى أعيدها فى قسم الفلسفة بعدد من الزملاء، اكتشفنا أننا نحمل نفس الهم الفلسفى والتأزم الروحى، وإن تراوحت مواقفنا بين الشطح الروحى الوجودى والقلق الرومانسى والتوازن العقلانى. أذكر من هؤلاء الزملاء الأعداء بدر الديب ويوسف الشارونى ومصطفى سويف وعباس أحمد وبهيج نصار ومحمد جعفر وأمين عز الدين، فضلاً عن توفيق حنا الذى كان يكبرنا ويسبقنا فى الدراسة. على أننا رغم ما كان بيننا من تفاوت وتراوح بل واختلاف فى الرؤية، كنا نجمع - كما ذكرت فى مقال قديم^(١) - «بين التأمل العقلى والشطح الصوفى والاهتمام بالتجارب والخبرات العملية. كنا جميعاً نعبّر عن تجاربنا

ومجاهداتنا الفكرية بالشعر والقصة والمقالة والبحث العلمى، وفى كثير من الأحيان بالتسكع طول الليل فى شوارع القاهرة فى حالة قصوى من الوجد والتوتر والسهلة الفكرية» وكنا - كما ذكرت كذلك فى ذلك المقال القديم^(٢) - «نبحث وجدانيا عن مغامرة كونية كبرى. كانت فى ضمائنا معركة حادة على نطاق الكون كله، والحضارة كلها، كنا نبحث عن إجابات نهائية لكل شىء، كانت الفلسفة والمعاناة الوجدانية وسيلتنا فى رحلة البحث عن يقين.... وما أكثر ما تشردنا وتنكب بنا الطرق، وسدّت أمامنا السبل، وامتلات حلوقنا بالمرارة، ونفوسنا بالعجز وعقولنا بالذهول وضمائنا بالتخبط والحيرة. كنا نريد أن نعيش كما علمنا نيتشه: أن نبعث بسفائننا إلى البحار المجهولة، وأن نبني بيوتنا فوق قمة بركان فيزوف، وننتظر اللحظة المناسبة كى نموت. كنا فرسان ليل نبحث غمرته عن المستحيل.

وكان القمر أمامنا فى كثير من الأحيان - كما ذكرت ذلك فى قصيدة من قصائدى - نحسن به يتحدى قدرتنا على الصعود والسمود. وكان المعجز والمغز والغامض والرهيّب والشع والمخيف فى كل شىء يدعونا ويلح فى الدعوة وفى الإغراء والإغواء! وكان بعضنا يعب من كل ما يمكن أن يبلغ به مرتبة المحو.. أجل المحو! أن نمحو ذلك - على طريقة المتصوفة - بالفكر، بالتأمل، بالوجد، بالمغامرة، بأردأ أنواع الخمر... حتى نصل إلى النور الغريب فى نهاية المطاف! وكان بعضنا يتطلع إلى بناء حضارة العلم والاشتراكية، وبعضنا يتطلع إلى بناء تلك الحضارة الجديدة السحرية التى أخذ يبشر بها شبينجلر - فى لغتنا العربية - على لسان الدكتور عبد الرحمن بدوى. وكان بعضنا يسعى لإرساء أخلاق السادة التى بشر بها نيتشه، وبعضنا يسعى إلى بناء القلعة التى لم يستطع كافكا بلوغها فى روايته «القلعة» وكنا نمرض حتى الموت مع كيركجور، ونرفض أن نقول معه أن الشىء إما كذا وإما كذا، وكلاهما ناقص. وكنا نقول أو البعض منا يقول: «الشىء ليس بكذا ولا بكذا» [وكان ذلك عنوان قصيدة من قصائدى حينذاك] ولا هو بأى شىء آخر.. أى لا خلاص، ولا مهرب ولا أمل لا بالحب ولا بالموت! لا خلاص بغير احتضان المستحيل، احتضان اللامعقول، لا خلاص بغير اليأس المطلق المطبق! وكان كيركجور، ونيتشه وكافكا

ويبرجسون ودوستيو فسكى، طلائعنا إلى أين؟ لا نعرف إلى أين ولا كيف ولا حيث، بل حركة انتحارية، بل فعل عشوائى نبحث به عن الحقيقة، عن طريق معاشة أى شىء، عن طريق رفض العقل والعلم والمنطق»^(٣).

كانت هذه هى رحلتنا المتوترة طوال سنوات الدراسة الأربع فى قسم الفلسفة من عام ١٩٤٠ حتى عام ١٩٤٦ ولهذا لم أكن مغاليا عندما ذكرت - فى بداية هذه الكلمة أن محاضرتى فى الجمعية الفلسفية بقسم الفلسفة فى ديسمبر عام ١٩٤٥ كانت خلاصة رحلتى الفلسفية التى شاركت فيها هذه المجموعة من الزملاء الأعزاء، وإن كان أقربهم إلى جانبها الشاطح، من بين هؤلاء الزملاء، بدر الديق بتجربته الشعرية المبكرة الفريدة «حرف الحاء» وعباس أحمد بقصصه القصيرة الفريدة أيضاً لعل أبرزها «البيرر وغطاه» فضلا عن معاشته المتوترة شبه الصوفية لتأملاته الفلسفية.

فى هذه المحاضرة حول «اللامعقول فى الطبيعة والفنون» لم أقف لأحلل اللامعقول فحسب، وإنما وقفت أمجده، فى بعض فقراتها: «إن اللامعقول هو كل ما يرفض فى الوجود الخضوع والانصياع لقوانين العقل المنطقية (...) إذا كنا نجد دائماً (...) هؤلاء الأبطال الذين يقاومون كل استبداد، فلاشك أننا سنجد هذا الكائن العجيب الذى ظل وسيظل دائماً يقاوم أعظم طغيان لأقوى قوة فى الوجود - وأعنى بها قوة العقل - وإذا كنا نعتبر أبطالنا الأحرار عباقرة الإنسانية، فلاشك فى أننا سنعتبر هذا الكائن العجيب، أنه حامل لعبقرية الوجود. أما هذا الكائن العجيب فهو اللامعقول الذى تحدى العقل، وظل عاريا عن كل عنصر عقلى، حاملا شعلة التحرر والانطلاق...» ثم أخذت المحاضرة تثبت اللامعقول بأخر نتائج العلم، بنظرية الكم والنظرية النسبية والميكانيكا الموجية. ولكنها تنتهى إلى تأكيد عجز العلم عن المعرفة، وأنه لا سبيل إلى إدراك اللامعقول إلا بالفن. بل اللامعقول هو الموضوع الأصيل للفن^{(٤)؟؟}

وأذكر أنه فى ذلك العام عام ١٩٤٥ أصدر الدكتور عبد الرحمن بدوى كتابه «الزمان الوجودى» فاشتريناه، عباس أحمد وأنا، وذهبنا إلى مقهى فى أحد أزقة شارع فؤاد (٢٣ يوليو الآن) وقرأناه فى جلسة واحدة خلال بضعة ساعات ونحن فى

حالة وجدٍ وتوتر. على أننا عندما وصلنا إلى الفصل الخاص بوضع التجربة الوجودية في مقولات، أصبنا بخيبة أمل، بل أحسنا بأن عبد الرحمن بدوي قد خان التجربة الوجودية الحية! ذلك لأنه راح يصبها في نظم وقوالب ومقولات، أى يمنطقها عقلياً؟ وعندما انتهينا من قراءة الكتاب كله، قررنا اقتحام الدكتور عبد الرحمن بدوي في منزله، ومحاكمته على ذلك. واشترينا «فياسكة» نبيذ، شربنا نصفها، ثم اخفينا الزجاجاة الضخمة في حقيبة عباس وإن أطلت رقبة الزجاجاة بارزة في الحقيبة، واتجهنا إلى منزل الدكتور عبد الرحمن بدوي وطرقنا باب شقته. ولحسن الحظ خرج إلينا شقيقه الأصغر، ونحن في حالة واضحة من السكر. طلبنا مقابلة الدكتور بدوي، فاعتذر إلينا عن ذلك بأنه غير موجود. وأذكر أننا ذهبنا بعد ذلك إلى الصديق فرحات توما، وكان - آنذاك - موظفاً في مكتبة الجامعة وصديقاً عزيزاً، وأخذت أبكى عنده من خيبة أملى في الدكتور عبد الرحمن بدوي، وما أكثر الملابس الأخرى التي تعبر عن مدى المعاشة الحميمة الحية المتوترة لما كنا نعتنقه من أفكار فلسفية. على أنه برغم خيبة أملنا في الدكتور عبد الرحمن بدوي - بعد قراءتنا لمقولاته الوجودية - فإننا لم نفقد تقديرنا العميق له وحبنا الخالص له، ورهبتنا الدائمة من شخصيته.

ولكن لم تكن معاشتنا الحية للوجودية، خالية من الالتباس والإشكالية. فلقد كنا على ارتباط عميق وانخراط عملي بالحركة الوطنية التي كانت - محتدمة في الأربعينيات - ضد الاحتلال البريطاني والحكم الملكي والأحزاب المتواطئة مع الاحتلال والملكية، بعضنا كان مرتبطاً بالحركة الماركسية آنذاك ملتزماً بفلسفتها وأنشطتها، وبعضنا - مثل عباس وأنا - يقف عند حدود الدلالة الوطنية الخالصة للحركة.

ومع ذلك، فإنني أذكر أننا رشحنا عباس أحمد ممثلاً لقسم الفلسفة في انتخابات اللجنة الوطنية للطلبة والعمال في فبراير ١٩٤٦ التي كانت تسيطر عليها الحركة الماركسية، وبرغم أنني - في ذلك الوقت - كنت أختلف فكرياً مع الماركسية لغلبة الطابع الاقتصادي والمادى عليها وفقدانها العمق الفلسفي والأخلاقي والروحي، كما كنت أعتقد آنذاك، على أن الانخراط في النشاط السياسي الوطني جنباً إلى جنب مع

ممثلى الحركة الماركسية كان مصدراً من مصادر الالتباس والإشكالية فى توجهى الوجودى. وإلى جانب هذا كنا على ارتباط حميم مع أستاذ آخر فى قسم اللغة الإنجليزية كان قادماً من إنجلترا وكان متواضعاً، وحريصاً - على خلاف الدكتور بدوى - على الحوار واللقاء مع الطلبة داخل الجامعة وخارجها، وكان ذا توجه اشتراكى ديمقراطى غير محدد الملامح، هو الدكتور لويس عوض، وكان هو أيضاً من مصادر الالتباس فى توجهى الوجودى فضلاً عن الالتباس فى تفهمنى للماركسية والاشتراكية. أذكر أنه كان - وهو الاشتراكى - فخوراً بدراسة أعدّها، وكان يناقشنا فيها، حول نقده للمنهج المادى الجدلى والمادى التاريخى فى الماركسية.

وهكذا بين مقولات عبد الرحمن بدوى الوجودى للوجودية، وانتقادات لويس عوض الاشتراكى للأساس المنهجى الجدلى للاشتراكية، ازدادت شقة الالتباس وتعمقت الإشكالية فى توجهى الوجودى.

على أنه بين الدكتور عبد الرحمن بدوى والدكتور لويس عوض أخذ يطلّ علينا موقف ثالث يتمثل فى الدكتور يوسف مراد، كان أستاذاً فى علم النفس وكان يبشر بمنهج جديد هو علم النفس التكاملى، أو المنهج التكاملى عامة، الذى يسعى لأن يكون منهجاً عاماً أكبر من حدود علم النفس. على أنه فى حدود علم النفس كان يسعى لأن يقيم مركباً منهجياً يجمع بين المنهج التحليلى الارتقائى والمنهج الجشطلتى الطوبولوجى، وبين البيولوجى، والنفسى والاجتماعى. وكان هذا المركب المنهجى، وتطبيقات الدكتور يوسف مراد عامة تستفيد - إلى حد ما - من بعض جوانب المنطق الهيجلى. وكانت مجموعتنا تلتف باحترام ومحبة حول الدكتور يوسف مراد وكان لنا اجتماع فى بيته كل أسبوع لمناقشة بعض القضايا العليا، بل ومشاركة فى مجلته التى أخذ فى إصدارها وهى مجلة «علم النفس التكاملى»

وهكذا، فى غمرة هذه الجبهات الأربع: جبهة الحركة الوطنية المحتدّمة، ببعدها الماركسى، وجبهة الفكر الوجودى الذى يمثله الدكتور عبد الرحمن بدوى، وجبهة الفكر الاشتراكى الديمقراطى الذى يمثله الدكتور لويس عوض، وجبهة المنهج التكاملى الذى كان يمثله الدكتور يوسف مراد، كنت ما أزال متمسكاً فكرياً بالمفهوم

الوجودى المثالى الذى عبرت عنه في محاضرتى عن اللامعقول فى الطبيعة والفن «التي ألقيتها فى ديسمبر ١٩٤٥، وإن كان تمسكاً مازوماً ملتبساً قلقاً. وأذكر أنني فى تلك المرحلة، وفى غمرة هذا كله، قمت مع عباس أحمد وأمين عز الدين وبعض زملاء المجموعة بإصدار مجلة اسمها «البشير»، أذكر أن أمين عز الدين هو الذى اختار اسمها، وتمسك أن تكتب اسمها بالإنجليزية كذلك أى The Herald.

وأذكر أنني كتبت للعدد الأول من هذه المجلة افتتاحية كان عنوانها «نحن أبناء ضالون»، ولم تختلف الافتتاحية عن محاضرتى السالفة الذكر، اللهم إلا أنني استخدمت كلمة المصادفة إلى جانب كلمة اللامعقول، باعتبار أن المصادفة هى النقيض للضرورة الموضوعية المزعومة فى العلم. وفى إطار هذا كله اخترت مع الدكتور يوسف مراد موضوعاً لرسالة الماجستير فى الفلسفة حول «المصادفة فى الفيزياء الحديثة ودلالاتها الفلسفية». لأتخذ من «المصادفة» معولاً لتحطيم المفهوم الموضوعى للعلم. على أنى بدأت هذا البحث وأنا فى غمرة هذه الأزمة الفكرية والروحية بحثاً عن وضوح. ولهذا ذكرت فى مقدمة الرسالة عن أسباب اختياري للموضوع هو أنني كنت مازوماً أزمة تختلط فيها المفهومات الفكرية والقيم الاجتماعية والخلقية (...). ولكنى كتبت منتسباً انتساباً كاملاً إلى تيارات فكرية غير علمية، وكان هذا الانتساب الفكرى عقبة منهجية تردنى عن الاستبصار السليم بالبحث الذى أستهدفه. كنت أتحرّك بإرادة «نيتشه» وأتعرّف بحدس «برجسون» وطفرتة الحية، ولا أبصر فى الواقع غير لا معقول «مايرسون»، وهكذا جعلت من البحث عن «الدلالة» رحلة استبطانية، وجعلت من العقل إطاراً محدوداً قاصراً، ومن الحياة جبلاً منصوباً فوق هاوية. ولهذا كنت متحمساً لتجريح العلم، حريصاً على تكشف مثالبه، واصطناعها (...). ورحت أتسلح بالمعرفة العلمية وبتنتاجها الحديثة بنوع خاص لكى أتخذ منها معاول لتقويض العلم نفسه... بل لتقويض الحياة كذلك. وكان الشاعر «ت. س. إليوت» لحنى الجنائزى المفضل، كنت أعمل بضمير مازوم يرتبط فيه الإشكال العلمى بالانهيار النفسى، والرغبة فى المعرفة بالرغبة فى التكامل والاستقرار»^(٥).

على أنى فى مرحلة متقدمة من البحث عن مفهوم المصادفة، كنت أطلّ على أواخر

القرن التاسع عشر، أناقش أفكار «بيرسون» فى إنجلترا و«دوهيم» و«بنكاريه» فى فرنسا، و«ماخ» فى ألمانيا، التقيت بكتاب يتعرض لهؤلاء بالنقد. فرأيت أن أقرأه استكمالاً لمراجعى عن هذه الفترة. والكتاب هو «المادية والنقد التجريبي» لفلاديمير إيليتش لينين»، الذى قادنى بدوره إلى كتاب «جدل الطبيعة» لفريدرك أنجلز» وكان الكتابان حدثاً فكرياً فى حياتى، قلب تصوراتى الفلسفية رأساً على عقب. فأمسكت بالمعقول نفسه ورحت أقوض به الفكر المثالى الذى كان يستغرقنى تماماً. واقتضانى هذا سنوات أخرى أخذ فيها أنسج البحث منذ البداية على نول موضوعى جديد، بل رحت أجدد كذلك حياتى الفكرية عامة، وأبدأ مرحلة جديدة من الحياة»^(٧).

واقتضت هذه المرحلة الجديدة من حياتى الانغمار فى النضال السياسى والاجتماعى والفكرى، والفصل من الجامعة بعد أن كنت قد عينت مدرساً بقسم الفلسفة، كما اقتضتني بعد ذلك السجن والتعذيب والتغرب خارج مصر، ومعايشة تجربة وجودية حية حقيقية، ولكنها لا تقوم على الذاتية المطلقة وإنما على الموضوعية والعقلانية والعلم وإرادة تغيير الحياة وتجديدها لمصلحة المجتمع والوطن الذى انتسب إليه، وللمصلحة الإنسانية جمعاء، ولهذا كان من الطبيعى أن تتحول رسالتى من رسالة عن «المصادفة فى الفيزياء الحديثة». لتقويض العلم، إلى رسالة عن «المصادفة الموضوعية» - التى هى الوجه الآخر للضرورة الموضوعية - لحسن تفهم العلم وتنميته وتجديده وإشاعته فكراً وممارسة. ولهذا - كذلك - كان من الطبيعى أن أراجع فكرى الوجودى السابق، الذى كان بداية رؤيتى الفلسفية مراجعة نقدية حتى يكون انخلاءً عنه وتجاوزى له مؤسساً على وعى عقلانى نقدي موضوعى، وكان من الطبيعى كذلك أن يتم ذلك عبر قراءة جديدة لكتابات الدكتور عبد الرحمن بدوى - أساساً -، وكتابات بعض الفلاسفة الوجوديين.

- ٢ -

ما إن انتهيت من رسالة «المصادفة» وتمت إجازتها فى يونية ١٩٥٢ حتى بدأت أولى كتاباتى النقدية لوجودية عبد الرحمن بدوى. وكان ذلك فى مقال بعنوان «هذه الأخلاق الوجودية»^(٨) نشر عام ١٩٥٤ يناقش رسالة صغيرة نشرها الدكتور عبد

الرحمن بدوى عام ١٩٥٢ بعنوان «هل يمكن قيام أخلاق وجودية؟» وكان مقالى بعد رسالتى الجامعية عن «المصادفة»، بداية تمردى واشتباكى الفكرى مع الفلسفة الوجودية على المستوى الثقافى العام، فى وقت كانت هذه الفلسفة قد أخذت تنتشر فى الفكر العربى ويترجم بعض أصولها الفرنسية، الأدبية منها والنظرية، وخاصة كتابات «سارتر» و«كامو»، على أنى ما خرجت فيما كتبت وأكتب حتى اليوم عن تقديرى العميق للدكتور عبد الرحمن بدوى، سواء بالنسبة لشخصه أو لفلسفته الوجودية، أو لجهوده الجليلة - حقا- فى تحقيق تراثنا الفلسفى القديم أو ترجماته ودراساته لعيون الثقافة الأوروبية. وفى مدخل هذا المقال عن «الأخلاق الوجودية»، ذكرت أن «الوجودية» أصبحت - بفضل راعيها الأكبر فى مصر الدكتور عبد الرحمن بدوى - تياراً فكرياً ينتظم طائفة من المثقفين، متخذاً من تاريخنا الروحى العربى - غير الأصول الأوروبية - ومن التصوف الإسلامى مصدراً يصدر عنه فى مذهبه الوجودى العربى الذى يريد الدكتور بدوى إقامته فلسفةً شاملةً لجيلنا فى هذا العصر، على حد تعبيره»^(٨). ولقد تبينت - فى تحليلى لمفهوم الفعل والعلاقة مع «الآخر» فى رسالته الصغيرة عن الأخلاق فى الوجودية - أنه مفهوم إطلاقى يختلف عن مفهوم الفعل عند سارتر ويقترب من مفهوم الفعل العشوى عند الأديب الفرنسى أندريه جيد ولا يكاد يقيدته التزام أو تحدّه مسئولية، بل لا نرى فيه أى اشتباك بين الذات الذى نجده فى فلسفة سارتر الوجودية، فالفرد عند الدكتور بدوى فى هذه الرسالة أكثر انعزالا ونفورا وتوحداً. ولا يعدو الآخرون - بالنسبة إليه أن يكونوا إلا مجرد أدوات لتحقيق إمكانيات الذات وإثراء تجاربها، ولهذا كان من الطبيعى أن ينتهى الدكتور بدوى إلى إقامة قطيعة مطلقة بين الموقف الوجودى والأخلاقى، على خلاف الفلاسفة الوجوديين الكبار الذين لم يستبعدوا الجانب الأخلاقى من خبرتهم الوجودية الحية.

وبرغم هذه القطيعة الأخلاقية مع الأخلاق فى فلسفة بدوى الوجودية، فإنه لا يلبث أن يكشف عن موقف أخلاقى لا يختلف فى شىء عن قيم أخلاق السادة عند «نيتشه»، مثل الغزو والانتصار والتعالى، فضلا عن أفعال الأمر والوجوب والتفضيل

والأخلاقية إلى غير ذلك، مما يكشف عن عدم تماسك داخلي في بنية دعواه الوجودية اللاأخلاقية.

على أنني لاحظت ملاحظة أخرى - في رسالته هذه - هي أن النتيجة التي توصل إليها حول العلاقة بين الوجودية والأخلاق تكاد تكون نتيجة منطقية مستخلصة استخلاصاً استدلالياً شكلياً من مقدمات محددة، وليست نابعة من خبرة وجودية حية. فهو يرى أن الأخلاق تعنى الارتباط بمعيار عام ثابت، وهذا المعيار الثابت ليس من صنع الذات الفردية، أي أنه خارج عنها. ولما كانت الوجودية هي الفردية المنعزلة، المنفصلة عن الأغيار، المقضى عليها بالحرية المطلقة، فإن فبين الموقف الوجودي والأخلاقى قطيعة مطلقة. ولعل هذا الاستدلال المنطقي الشكلي لاستخلاص هذه النتيجة الوجودية أن يكون امتداداً لعقلية الدكتور بدوي للمقولات الوجودية في كتابه «الزمان الوجودي»، الذي سبق أن أثار غضبنا - عباس أحمد وأنا - عندما كنا نتبنى الوجودية فكراً ونعيشها كتجربة حية، كما سبق أن ذكرت. على أنني قد لاحظت، فيما بعد، عند قراعتي المتعمقة لكتاب «الزمان الوجودي» أن أغلب أحكامه ونتائجه تقوم على عملية استدالية منطقية شكلية خالصة، كما سنوضح في فقرة قادمة. على أن مقالى هذا الذى انتقدت فيه رسالة الدكتور بدوي حول الأخلاق الوجودية لم يقف عند هذه الحدود، بل انتقل إلى نقد الفلسفة الوجودية عامة من حيث إنها فلسفة فردية مغرقة في فرديتها، تتنكر للحقيقة الموضوعية للواقع الإنسانى. فليس الفرد - كما ذكرت - إلا جزءاً من نسيج اجتماعى وتاريخى عام دون إنكار لفرديته. وانتهى المقال إلى القول «إن الوجودية ليست هي الفلسفة التي نريدها في شرقنا العربى، وإنما نتطلع إلى فلسفة تعكس إيماننا بالعلم وقوانينه الموضوعية وتعكس احترامنا للتاريخ الإنسانى الجليل»^(٩).

وفى أواخر عام ١٩٥٨ دعيت لإلقاء محاضرة عن (الحرية والالتزام عند سارتر) فى نادى المعلمين بالقاهرة، فوجدت البوليس يحاصر المكان ويمنع إلقاء المحاضرة. وكان ذلك مقدمة لاعتقالى بعد أسابيع قليلة فى فجر اليوم الأول من عام ١٩٥٩، لقد نشرت هذه المحاضرة بعد ذلك فى كتاب «معارك فكرية» الذى صدرت طبعته

الأولى فى أواخر الستينيات عن دار الهلال. والمقال نقد تفصيلى لمفهوم الحرية والالتزام فى فلسفة سارتر.

ومن عام ١٩٥٩ حتى عام ١٩٦٤ فرض على السجن التوقف عن الكتابة. وعندما عدت إلى الحياة العامة عام ١٩٦٤ كانت أولى كتاباتى مقال فى يولييه ١٩٦٤ بمجلة المصور، أعلق فيه على ترجمتين إلى العربية: لكتاب «ألبير كامو»، «أسطورة سيزيف». كان عنوان المقال «الصخرة التى لم تعد تسقط» وكان هذا المقال - فى ذاته - نقداً ونقيضاً للأسطورة التى تقول بأن آلهة اليونان حكمت على سيزيف بأن يدحرج حجراً من سفح الجبل حتى قمته، فإذا وصل الحجر إلى القمة سقط منه إلى السفح، فيعود سيزيف ليدحرجه مرة أخرى وهكذا إلى أبد الأبدى. والأسطورة يعبر بها ألبير كامو تعبيراً رمزياً عن اللاجوى واللامعقولة واللاقيمة، فضلاً عن أنها دعوة إلى التمرد المطلق على القيم السائدة واصطناع كل إنسان لقيمه ولحريته الخاصة. ولقد عقب على أسطورة «سيزيف» فى هذا المقال قائلاً: «إننا ونحن نرحب بترجمة أسطورة سيزيف إلى العربية، ما أحوجنا إلى أن نؤكد كذلك أن «سيزيف الإنسان» قد استطاع أن يضع الصخرة فوق قمة الجبل فى أكثر من منطقة فى العالم دون أن تسقط الصخرة ودون أن يسقط الإنسان. واستطاع الإنسان أن يدحرج الصخرة من فوق قمة الجبل ذاتها ويجعلها تطير من غير أجنحة فى الفضاء الرهيب»^(١).

وعندما أقرأ هذه الكلمات اليوم، أتساءل: ألم تسقط العديد من الصخور طوال السنوات الماضية - وما تزال تسقط - فوق رؤوس أكثر من سيزيف فى أكثر من مكان ووطن؟! وأقول: نعم هذا صحيح، ولكن ليس بقدر لا يُقهر، وإنما بفعل الإنسان نفسه، لجشعه وتسلطه وعدوانيته. ولكن الإنسان لم يتوقف عن مسيرة عمله وسيطرته على كل ما يقيد خطواته المجاهدة من أجل الحرية والسيطرة على قوانين وجوده.

وفى أبريل ١٩٦٥ كتبت مقالا بعنوان «الدكتور بدوى: هل يسير فى طريق مسدود؟»، قلت فيه إن الدكتور عبد الرحمن بدوى «ظاهرة من أندر الظواهر فى حياتنا الفكرية المعاصرة. فهو بإنتاجه وحده يمثل دار نشر كاملة. ومهما اختلفنا معه

فى الرأى أو الموقف فما يملك الإنسان إلا أن يقف من جهوده موقف الإجلال والإكبار بل الرهبة» ثم عرضت - بشكل عام - لبعض ما أصدره من كتب ووقفت طويلاً عند كتابه «دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى» الذى أبرز فيه دور العرب فى المحافظة على التراث الهللىنى القديم، فضلاً عن إضافتهم إضافة جلية فى مجال الفكر عامة والعلم بوجه خاص. على أنى رأيت فى كتابه هذا أنه قد أبرز - بشكل كاف - الجانب الخاص بمحافظة العرب على التراث الهللىنى، أما فيما يتعلق بالجانب العلمى فقد قام بعرضه عرضاً تجزيئياً فيه من التفاصيل أكثر مما فيه من الاتجاه الأساسى العام. ورأيت أن الإضافة الحقيقية للفكر العربى إنما تكمن - أساساً- فى الاتجاه العقلى وفى توكيد المنهج العلمى التجريبى عامة. كما انتقدت موقفه من ابن خلدون الذى رأى فيه أنه صاحب منهج تطبيقى وليس صاحب نظريات عامة فى الدولة والنظم السياسية والنماذج العامة للمجتمع الإنسانى. على أنى انتهيت من المقال إلى القول: «ما أروع أن تصبح طاقات هذا الفكر الكبير القادر فى خدمة الفكر العلمى والثورة الاجتماعية، ما أروع أن يتم لقاء داخل نفسه وفكره بين الفكر والمجتمع، بين الفكر والواقع، بين النفس والمادة، بين الكيف والكم، أن يتم اللقاء بين التناقضات التنازعية والثنائيات المتنافسة، سيكون هذا مكسباً كبيراً للفكر والحياة وللدكتور عبد الرحمن بدوى نفسه»^(١١)

وفى مارس عام ١٩٦٧ جاء سارتر إلى مصر، وألقى فى القاهرة محاضرة حول العلاقة بين المثقف والسلطة. وفى زيارته لأسوان، أقمنا ندوة ثقافية معه عرضت فيها رأى الذى يخالف رأيه فى العلاقة بين المثقف والسلطة، وقد نشرت هذا الخلاف بينه وبينى فى مقال فى مجلة المصور فى مارس عام ١٩٦٧، ثم فى كتاب «معارك فكرية» بعد ذلك، على أنى فى مدخل هذا المقال عرضت - بشكل سريع - لحكايتى مع الوجودية قبل أن أختلف معها، وذكرت «أنى عشت مع الوجودية وبها رحلة فكرية عاصفة، وبعد مرحلة طالت مع نيتشه وبرجسون، وجدت فيها إيجابية ذاتية خلاقة، وعشتها معاشة أقرب إلى معاشة المتصوفين، ثم قلت «عندما تفتحت على حقائق الأوضاع الاجتماعية فى بلادى، وجدت فى هذه الذاتية موقفاً سلبياً خانقاً لا يفضى

إلى موقف حقيقي.

وهكذا تحولت من الوجودية إلى الفكر العلمي فلسفةً وسلوكاً وموقفاً اجتماعياً» وقلت: «أحسست بمنطق الحياة من حولي أقوى من منطق الوجودية» وقلت «الذي لاشك فيه أن كل اختيار ينبع من الذات كما تقول الوجودية، ولكن الحرية لا تتحقق بالذات، وإنما بالاشتباك مع الموضوع، بالوعي بالموضوع، بتغييره لمصلحة «الإنسان - المجتمع» ثم «الإنسان - الفرد» بعد ذلك. وفضلاً.. عن ذلك فإن الاشتباك مع الموضوع لا يتم فردياً وإنما يتم بالحركة الجماعية أى يتم موضوعياً» وهكذا اختلف طريقي مع الوجودية، ولا أدري هل اختلف طريقي مع فكر «جان بول سارتر» أم مع الفكر الوجودي في بلادنا بوجه خاص، وكان - وما زال - يعبر عنه أستاذنا الدكتور عبد الرحمن بدوي»^(١٢).

وفى نوفمبر ١٩٨٩ نشرت في مجلة الهلال مقالا بعنوان «هذا الفيلسوف المؤسسة»، بينت فيه أن عبد الرحمن بدوي ليس مجرد مفكر بل هو فيلسوف. وعرضت لفلسفته في رسالته «مشكلة الموت في الفلسفة الوجودية» و«الزمان الوجودي». ولقد لاحظت - في عرضي ذلك - أن الاستدلال المنطقي الشكلي يكاد يسود في النتائج التي ينتهي إليها في أكثر من قضية من قضايا هذين الكتابين. ولقد أشرت - في نهاية العرض - أن الدكتور بدوي قد ذكر في تلخيصه لكتابه «الزمان الوجودي» في معجمه بأنه «الخطوط العامة لمذهب في الوجود جديد، سنجعل مهمتنا في الحياة تفصيل أجزاءه، إلا أنه في الحقيقة لم يتمكن من الوفاء بهذا الوعد وأنه اتجه - بكلية - إلى مجال الدراسات والتحقيقات والترجمات في مجال الفلسفة بشكل عام، والفلسفة العربية الإسلامية بشكل خاص، وإن كنا نستطيع أن نتبين فلسفته الوجودية في اختياره الخاص لما يترجم وفي عنايته بالجانب الصوفي والإشراقي والأفلاطوني والأفلوطوني في تراثنا الفلسفي القديم وفي الكثير من تعقيباته وتعليقاته وآرائه حول بعض جوانب هذا التراث. ثم تساءلت: هل توقفت طاقته الإبداعية الفلسفية بعد الانتهاء من رسالتيه الجامعيتين؟! أم أن فلسفته الوجودية كانت مجرد ثمرة ثقافية خالصة لقراءته في الفلسفة الألمانية، وكانت منبئة

الصلة بحياته وبواقعه السياسى والاجتماعى كما يقول بعض الناقدین لفلسفته؟

ولقد رأيت أن الدكتور عبد الرحمن بدوى عندما كتب رسالتيه الجامعيتين كان متأثراً بالفعل تأثراً ثقافياً عميقاً بالفلسفة الوجودية الألمانية المثالية، وخاصة «هايدجر». ولكن هذا التأثير لم يكن منبث الصلة بواقع خبرته الحية السياسية فى المجتمع المصرى آنذاك. ورحت أبين علاقته بحزب مصر الفتاة بين عامى ٣٧ - ١٩٤٠ هذا الحزب الذى كان يسير على خطى المفاهيم والقيم الفلسفية والمثالية اللاعقلانية للحزب النازى، فضلا عن تلاقيها بشكل سطحي وإن اختلفت دلالة الالتقاء فى العداء لإنجلترا التى كانت تحتل مصر آنذاك. وعندما حصل الدكتور بدوى عام ١٩٤٤ على درجة الدكتوراه عن رسالته «الزمان الوجودى» كان عضواً فى اللجنة العليا للحزب الوطنى الجديد الذى كان امتزاجاً بين حزب مصر الفتاة والحزب الوطنى القديم. وعندما كانت ثورة يوليه ١٩٥٢ وكان هناك تقارب بينها وبين عناصر من الحزب الوطنى، اختير الدكتور بدوى عضواً فى لجنة لوضع دستور جديد للبلاد عام ١٩٥٣ ثم اختير مستشاراً ثقافياً ومديراً للبعثة التعليمية فى برن بسويسرا بين عامى ٥٦ - ١٩٥٨.

لقد أردت أن أبرز - بهذا - أن فلسفة الدكتور بدوى الوجودية منذ أواخر الثلاثينيات لم تكن مجرد صدى لثقافته الفلسفية وتأثره بالفلسفة الألمانية المثالية، بل كانت - كذلك - تعبيراً عن خبرة فكرية وسياسية حية غير منبثة عن بعض ظواهر المجتمع المصرى آنذاك.

كما أردت أن أبرز - كذلك - أن هزيمة النازية والفاشية عام ١٩٤٥ واحتدام الصراع الوطنى والاجتماعى فى مصر وخاصة عام ١٩٤٦ بتشكيل (اللجنة الوطنية للطلبة والعمال)، ثم قيام ثورة يولية عام ١٩٥٢ وبروز مشروعها التحررى التقدمى القومى، قد أسهمت كل هذه الأحداث فى خلخلة الركائز الفكرية والموضوعية والاجتماعية لإمكانية تنمية المشروع الفلسفى الوجودى الذى بشر به الدكتور عبد الرحمن بدوى فى رسالتيه، وهكذا توقف المشروع الوجودى لا لتوقف القدرات الفلسفية للدكتور عبد الرحمن بدوى وإنما لتغير الأوضاع السياسة والاجتماعية

والفكرية والموضوعية عامة من حوله، ولهذا راح الدكتور بدوى يكرس طاقاته الإبداعية فى مجالات الدراسات والتحقيقات والترجمات. على أننى فى هذا المقال قدمت ملاحظتين: الأولى حول العلاقة بين فلسفته الوجودية التراثية، والثانية تتعلق برأية السلبى فى الفلسفة الإسلامية، التى لا يرى لها قيمة فلسفية حقيقية، رغم كل ما بذل من جهود فائقة فى جمع وتحقيق ودراسة ونشر كل ما يتعلق بهذه الفلسفة الإسلامية من مصادر وتأثيرات ودلالات واتجاهات.

وليس هنا مجال للتفصيل فى هاتين الملاحظتين. على أنى أنهيت المقال قائلاً «فلنختلف مع الدكتور عبد الرحمن بدوى كما نشاء، ولكن لا خلاف حول ما يمثله من قيمة علمية كبيرة نادرة فى حياتنا الثقافية المعاصرة»، ودعوت إلى ضرورة تنادى الجمعيات الفلسفية العربية والمنظمة العربية للثقافة لعقد أسبوع فلسفى على شرف الدكتور عبد الرحمن بدوى اعترافاً بفضله العلمى^(١٣).

وفى نوفمبر ١٩٩٥ نشرت فى مجلة «إبداع» مقالاً بعنوان «عبد الرحمن بدوى.. ذلك المجهول». وكان المقال رداً على مقال سابق فى المجلة نفسها للدكتور مراد وهبه بعنوان «رؤيتى لعبد الرحمن بدوى» تساعل فيه عن: «لماذا توقف كل من بدوى وهایدجر عن استكمال بنائه الفلسفى؟» وفسر هذا بأنهما كانا يعنتقان الفكر النازى ولهذا عندما انتحر هتلر توقفا عن استكمال بنائهما الفلسفى. ويحاول الدكتور مراد وهبه التدليل على ذلك بعلاقة الدكتور بدوى بحزب مصر الفتاة منذ أواخر الثلاثينيات حتى أواخر الخمسينيات. ولقد سبق أن عرضت لهذه المسألة فى مقال سابق أشرت إليه فى الفقرة السابقة من مقالى هذا، وأبرزت فى هذا المقال - الذى أورد فيه على الدكتور مراد وهبه - أنه كان هناك داخل إطار الموقف الوطنى العاطفى المصرى تيار يرى فى النظام النازى النظام النموذجى الذى يتيح التمثل به والتحالف معه القدرة على مواجهة الاحتلال البريطانى والتحرر منه وإقامة دولة مصرية مستقلة، تتجاوز تخلفها وتبعيتها، وكان هذا الموقف يتبناه العديد من القوى الوطنية العربية كذلك، بل تتعاطف معه آنذاك الجماهير الشعبية. ولهذا فإنها مرحلة من حياة وفكر الدكتور عبد الرحمن بدوى غير منعزلة عن واقع مصر السياسى والاجتماعى المحتدم

أنداك. ولهذا كان توجهه الفكرى توجهها مصرى عاطفياً انفعالياً شوفينياً ذا طبيعته بورجوازية صغيرة مغامرة، وأنه كان يتطلع مع بعض أبناء جيله إلى ثورة روحية وتجديد معالم ذاتيتهم وهويتهم الخاصة. ولهذا كانت قطيعة الدكتور بدوى مع حزب مصر الفتاة ومحاولته تنمية فلسفته الوجودية تنمية ذاتية داخل تراثه العربى الإسلامى. وما أكثر الدلائل على ذلك فى بعض كتبه وخاصة فى تصديره لكتابه «من تاريخ الإلحاد فى الإسلام» و«الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى» ومقدمته لكتاب أبى حيان التوحيدى «الإشارات الإلهية» إلى غير ذلك.

وعلى هذا فإن وجودية الدكتور عبد الرحمن بدوى - كما ذكرت فى هذا المقال - وإن تكن ذات أصول فى تجربته الأولى التى ارتبط فيها سياسياً بالفكر النازى، فإنها ليست دليلاً على استمرار هذا الفكر النازى فى فكره الوجودى، بل لعلها كانت منطلقة لاكتشاف طريقه الفلسفى الخاص الذى له - بغير شك - جذور أوروبية، ولكنه استطاع أن يضيف إليها وأن يمتد بها إلى جذور تراثية عربية إسلامية أشد عمقاً. وفضلاً عن هذا فلم يتوقف الدكتور عبد الرحمن بدوى عن بناء فلسفته الوجودية بعد انتحار هتلر كما يقول الدكتور مراد وهبة^(١٤).

* * * *

هذا هو كشف حسابى الفلسفى مع أستاذى الجليل الدكتور عبد الرحمن بدوى. بدأت به رحلة عمرى الفلسفية، ثم اختلفت رحلتى واختلفتُ معه، ولكن دون أن يقلل هذا - أبداً - من عميق تقديرى ومحبتى له: أستاذاً ملهماً وعالماً منقطعاً متفانياً تقانياً صوفياً للبحث العلمى، وظاهرة فكرية بارزة نادرة فى ثقافتنا العربية المعاصرة. أضاف - وما زال يضيف - وهو فى الثمانين من عمره كنوزاً إلى مكتبتنا الفلسفية العربية.

على أن هناك فى نفسى ما هو أكبر من ذلك... لست أتردد لحظة فى القول - بغير تزمّت أو معاندة أو استعلاء - إن الجدلية - سواء كانت مادية أو تاريخية - ما تزال منذ أن خرجت على الوجودية وتناقضت معها هى منهجى ورؤيتى العقلانية العلمية النقدية، ورؤيتى للعالم والعلم والثقافة والحياة والإنسان والمستقبل عامة، بل

لعلها تزداد فى فكرى وخبرتى الحية كل يوم تعمقاً وتجديداً..
على أنى أعترف - بعد هذه المرحلة الطويلة التى عبّرت فيها عن قطيعتى مع
الوجودية واختلاقى معها وتنامى منهجيتى ورؤيتى الجدلية تنامياً متصللاً - أن
الوجودية - فكراً وأدباً - ما يزال لها فى نفسى هذا الرفيف الروحى الذى يشكل
عمقاً من أعماقى الباطنية. وأتساءل: لماذا؟ وأجيب: ربما لأن دعوة الحرية فى
الوجودية مهما كانت مطلقة أو عشوائية، فإنها - فى النهاية وفى الجوهر - دعوة إلى
تأكيد وتعميق ذاتية الإنسان الفرد وخصوصيته الشخصية ولا أقول فرديته فحسب!
وأنه ليس ثمة عقلانية أو علمانية أو موضوعية مهما كانت صرامتها، بغير سند من
هذه الأعماق الذاتية الباطنية التى تضىء على الصرامة العقلانية والموضوعية
وتضيف إليها نبضها الإنسانى. وأقول فى النهاية لأستاذى الجليل الدكتور عبد
الرحمن بدوى أخلص وأعمق التمنيات لك بالصحة والعافية والسعادة، ومواصلة
البحث والإبداع وأن نراك بيننا فى مصر إلى أرفع مستوى من التقدير والتكريم.

الهوامش

- ١- الرحلة إلى الآخرين مؤسسة روز اليوسف ص ٥٢ وما بعدها. ١٩٧٤
- ٢- المرجع الموضح السابق
- ٣- المرجع الموضح السابق
- ٤- المرجع الموضح السابق
- ٥- فلسفة المصادفة دار المعارف صفحة ١٠ سنة ١٩٧٠
- ٦- المرجع السابق ص ٦
- ٧- في الثقافة المصرية: دار الفكر الجديد - بيروت ١٩٥٥
- ٨- المرجع السابق ص ٩١ - ١٠٣
- ٩- المرجع السابق ص ١٠٣
- ١٠- معارك فكرية: دار الهلال - الطبعة الثانية ١٩٧٠ ص ٢٢٣ - ٢٢٥
- ١١- الإنسان موقف: دار قضايا فكرية للنشر والتوزيع ١٩٩٤ ص ١٢٣ وما بعدها
- ١٢- معارك فكرية: المرجع السابق ص ٢٩٥
- ١٣- مفاهيم وقضايا إشكالية دار الثقافة الجديدة ١٩٨٩ ص ١٧٧ وما بعدها
- ١٤- مواقف نقدية من التراث: دار قضايا فكرية للنشر والتوزيع ١٩٩٦ ص ١٧٣ وما بعدها

عبد الرحمن بدوى

كيف تكون الفلسفة

أنور عبد الملك

obeikandi.com

كيف يكون المدخل إلى رجل لا يقبل التصنيف المسبق؟، ماذا لو كان مناظلاً وطنياً، ومفكراً تنقيبياً، وكذا شاعراً هائماً معنياً بالتراث، موسوعى المعرفة، عقلياً علمياً عصرياً يجمع بين الشرق والغرب، وإنما أركان شخصيته وفكره تفوص فى أعماق الوجدان والحضارة التى ولد وعاش فى قلبها؟
ما السبيل، أو بالأحرى: كيف تكون المداخل، إلى ظاهرة تنكر لها جيل بعد جيل من الأميين، وعجز من أدر كها عن إضاءة معالمها؟

على هذا النحو، تراكمت التساؤلات بين إشراق الذكريات وجراح المسيرة، وعندما شاعت الظروف أن يعود اسم أستاذنا الجليل عبد الرحمن بدوى - رويداً رويداً - إلى قلب الاهتمام الثقافى والوطنى والقومى فى مصر والعالم العربى والإسلامى بعد طول غياب، لعله كان تغييباً.

التقى جيلنا - جيل الأربعينيات - باسم عبد الرحمن بدوى أثناء الحرب (١٩٣٩ - ١٩٤٥) تارة من خلال التلقى أو الاصطدام لتحرك «مصر الفتاة» و«الحزب الوطنى»، وتارة من خلال كلام جاغنا من أروقة جامعة القاهرة (جامعة فؤاد الأول آنذاك) تشير إلى عدد من نخبة فكرية وعلمية متميزة، من العميد إلى المعيد - على مصطفى مشرفة وبولس جالينوجى ومراد كامل وعلى إبراهيم وحسين فوزى وسامى جبرة وأحمد فخرى، كوكبة لامعة سطعت فى سماء مصر - آنذاك - ثم أسماء شابة من بينها من سمعنا أنه شاب يعنى بالفلسفة عبر دروب غير مألوفة، قيل إنها «وجودية»، وأحياناً «صوفية».

تنوعت مداخل التلقى، حتى جاء «الزمان الوجودى» (١٩٤٥) رسالة الدكتوراه التى تأكد فيها لكل قارئ جاد أن صاحبها يمثل بالفعل بعداً جديداً فى الطموح الفلسفى والجرأة الفكرية، والقاهرة تنن تحت الأحكام العرفية، وإطفاء الأنوار مساءً، فى حرب لم نكن فيها طرفاً، إنما اتخذت من بلادنا قاعدة لقوات الغربيين فى الشرق الأوسط.

لم يكن أمامنا أن نسعى إلى لقاءات، فالكل منهمك فى تأسيس التنظيمات الوطنية.

والتقدمية الثورية على أرض مصر، إيماناً منا أن الحرب سوف تؤدي إلى انكسار النظام القائم آنذاك، وأن الثغرة سوف تمكننا من تحرير الأرض والتحرك صوب النهضة.

هكذا، تأخرت مرحلة الدراسة الجامعية عشر سنوات، فكان أن اخترت الالتحاق بكلية الآداب جامعة إبراهيم باشا الكبير (جامعة عين شمس فيما بعد) - بفضل تدخل أستاذنا العميد الدكتور طه حسين وزير التعليم آنذاك، في سبتمبر سنة ١٩٥٠ يوم تأسسها مختاراً قسم الفلسفة، إعجاباً باسم عبد الرحمن بدوي، وتشوقاً إلى التلمذ على يديه، وقد استحسن الأستاذ العميد طه حسين، هذا الأستاذ آنذاك، ورأى فيه تشابك الأجيال بشكل ربما لا يتفق مع أبعاده المستقبلية.

هنا، بدأت علاقة فكرية ووجدانية وإنسانية كانت، - ولاتزال - محوراً تكوينياً رئيسياً لما تعلمناه، وما استطعنا أن نهم به في مجال الفكر الفلسفي ابتداء من تساؤل طلاب كواد الحركة الوطنية التقدمية المصرية في نهاية الموجة الفكرية السلفية المضادة «بلاش فلسفة».

ومادام المجال هو إضاءة نواح من سيرة ورسالة أستاذنا الجليل، لا تدوين صفحات من حوليات الجيل المغيب، فلعل الأوفى أن يكون التركيز على محاور محددة، يمثل كل منها ناحية من الرسالة التي أداها أستاذنا الجليل عبد الرحمن بدوي أستاذاً ومعلماً رائداً لكل من تتلمذ على يديه وأحاط به عبر مسيرة مصر الطويلة المشرقة رغم المأسى.

* * *

الدرس الأول الذي تعلمناه من عبد الرحمن بدوي إنما هو خصوصية الأستاذية لمن يتصدى إلى هذا المقام. فقد رأس قسم الفلسفة بجامعةنا الفتية منذ إنشائها بدرجة الأستاذ المساعد رغم ما كان له من عديد من المؤلفات آنذاك، احتراماً منه للوائح التدرج الوظيفي في سلم الأستاذية بالجامعة، وقد استحضر من أوروبا وجامعات مصر لقيف من كبار الأساتذة يكبرونه سناً ومقاماً - «دييس» و«ارنلدين» ويوسف مراد ومصطفى زيور وحلمى مراد وغيرهم... إلخ -، همّ الأول أن يمنح

طلابه أرقى مستوى من المعارف الفلسفية والعلمية، وكانه رئيس أركان حرب لجيل جديد يعدّه للوطن بعيداً عن الشكليات.

كان أسلوب التدريس هو ذلك الذى قرأنا عنه: فمن ناحية، الإملاء دون مذكرات، ومن ناحية أخرى، فتح النقاش من أوسع الأبواب فى كل محاضرة ولمدة عشرين دقيقة، ثم وكأننا نجمع بين أسلوب الأروقة والمشائين، جلسات يومية تمتد نصف ساعة، أو ساعة كاملة فى مكتبه - بعد المحاضرات - مع من سيأتيه من طلابه من النقاش والسؤال والاشتباك الفكرى أحياناً. وقد أفدت من ترحابه اليومي عبر سنوات الدراسة، أسأل، وأجادل، أنتفض، وأنبهر، وهو دائم المنح، واسع الصدر. وأذكر أنه التفت إلينا فى عديد من المناسبات، مستفزاً بسؤال كله تحد: «وأين رأى الماركسيين ترى؟». وقد حدث أنه فى إحدى المحاضرات، وأمام صمت الماركسيين - وكانوا اثنين الصديق المرحوم فيليب جلاب وكاتب هذه السطور - قرّر رفع الجلسة وإنهاء المحاضرة احتجاجاً على امتناعنا عن مجادلته، وعندما صعّدت إلى مكتبه فى الطابق الأول، لامنى لوماً مرأ، وندّد بموقفنا على أنه يمثل السلبية الفكرية، ورفض ممارسة حق الطالب فى تحصيل العلم وانتزاع المعرفة بمناقشته، بل والتصدى له.

ولا داعي - بطبيعة الأمر - للتأكيد على أن هذا الموقف كان يقتضى منا قدراً عالياً من متابعة طبقات الفكر الفلسفى المتدفق، دعنا من القدرة على مجادلة أستاذنا الموسوعى.. ولكننا حاولنا أربع سنوات، بفضل ترحابه وإصراره، فكانت سنوات لا مثيل لها فيما رأيته فى أقسام الفلسفة فى معظم جامعات الغرب، بل والعالم، فى مستوى الليسانس أو البكالوريوس.

كان أستاذنا - ولا يزال - يعادى الماركسية والشيوعية عداءً جذرياً - إيماناً وعلمانياً - وإن كان ومنذ اليوم الأول يحترم فى التوجه الاشتراكي للفكر المصرى، الأصالة والجدية والقدرة على التضحية، بينما اختفى الانتهازيون والمرتزقون أذعاء الثورة، ومنهم من أثرى على حسابها، باحتقار الواجب.

لم تكن المحاضرة مجرد إلقاء لتحليل الموضوع، وإنما كانت دوماً، ترتكز على جزء وافر من المراجع بكافة اللغات، يجبرنا على نقلها - كما أجبرنا على تعلم اللاتينية

واليونانية - لكي لا نتصور أنه صاحب الأفكار التي يطرحها، وأنه ليس صاحب
الرأى الوحيد الصائب، إذ لا بد لمن يريد أن يتعلم أن يمسك أولاً بمفاتيح مصادر
المعرفة على تنوعها واختلاف مساراتها.

أخذ عليه البعض القسوة ورفض المجاملة، فقد بلغ عدداً في السنة الأولى في
قسم الفلسفة ستة وخمسين طالباً، وأصبحنا أحد عشر طالباً في السنة الرابعة، وإذا
به يصرح في المحاضرة الأولى في شهر سبتمبر ١٩٥٢ أنه لن ينجح منا أحد، لأن
مادة «المنطق الصوري» سوف تشمل «المنطق الرياضى»، وأن أحداً منا لن يتمكن من
فك طلاسمه، وقد اهتمت إلى أن ذلك التهديد جاد، فقررت أن أنكب على دراسة
المنطق الصوري وإهمال المنطق الرياضى كلية، بينما رأى زملائي وزميلاتي أن
يجمعوا بين الاثنين. وفي يوم الامتحان استطعت أن أقلت من المذبحة بالإجابة عن
السؤال الأول دون الثاني، فكان أن حصلت على درجة اليسانس في يونيو ١٩٥٤
بدرجة جيد جداً، وكنت الوحيد في هذه الدفعة الأولى، مما أحرز قلبى، فقد كان معنا
لفيف مرموق من خير الزملاء أطاحت بهم معادلات المنطق الرياضى. وإن كانت القوة
والتشدد من منطلق علمى بلا شك، كم كان بودى أن يحنّ قلب أستاذى الجليل
لزملائي وزميلاتي في تلك الدفعة الأولى التى مرتّ بخير والحمد لله فى ملحق
سبتمبر.

وقد درسنا على يديه عدة مواد: «المدخل إلى الفلسفة العامة» و«علم المعرفة»
و«مناهج البحث» و«تاريخ الفلسفة الإسلامية» و«تاريخ الفلسفة الأوروبية الحديثة
والمعاصرة» و«فلسفة الأخلاق والتاريخ والسياسة». وقد عرض علينا - منذ السنة
الثانية - بحث سنوى يتراوح بين عشرين وأربعين صفحة فى موضوع يختاره كل
منا، وذلك ليدرّبنا - منذ البداية - على الكتابة الفلسفية، وبعدها لمرحلة الماجستير
والدكتوراه فيما بعد. وقد كان من شأنى فى إحدى السنوات أن أنكبت شهوراً
طويلة على دراسة محاورة «فيليبوس» لأفلاطون وجوهرها ومسألة الثنائية وتناقض
الأضداد، ولعله أراد أن يمتحن قدرتى على التعمق فى فهم الجدلية التى كنت أعتقد
مذهبياً - آنذاك - ومازلت.

وقد لفت أنظارنا أنه كان يقيم البحوث السنوية بصدر رجب على عكس الامتحان النهائي، وكأنه يريد أن يعترف بأن الجهد المتصل يستحق التشجيع والمساندة - درس من الدروس العديدة لمعنى الأستاذية في أرقى مستوياتها.

كنا نسأله على نويات متتالية: لم «الوجودية»؟ وما قصة الوضعية المنطقية التي كان يرفضها، ونحن معه، من زوايا أخرى؟ أردنا أن نعرف لماذا كرس نفسه شهوراً عديدة لتقديم «رابعة العدوية» فهل الهيام طريق إلى التفلسف، أو التصوف؟ أدركنا أنه يعشق الحب، وله فيه صفحات هيامية في مؤلفاته «رابعة العدوية» و«شطحات الصوفية» وكتاب سيرته الذاتية العاطفية «الحدود والنور»، كان البعض يعيب عليه أحياناً اللا-تاريخية، والحق أنه ليس كذلك، بل كان أقرب منا تأكيداً لتأصيل الوجود التاريخي، كما جاء - مثلاً - في التلخيص الساطع الذي قدمه لفكره في «موسوعة الفلسفة» (الجزء الأول، بيروت ١٩٨٤):

«وجود أولاً لا وجود، تلك هي المسألة، هنا أيضاً فإن كان وجوداً، فلا بد من الزمان، وأما من دون الزمان، فليس ثمة وجود، ولا واسطة بينهما. أما عن الأوليّة بين آتات الزمان، فالرأى بإزائها قد انقسم - كما هو طبعي - إلى ثلاثة مذاهب: مذهب يقول بفكرة الحاضر السرمدي. ولذا يجعل الأوليّة والأوليّة - معاً - للحاضر، ومذهب يجعلها للماضي، وإليه ينسب المؤرخون وأصحاب النزعة التاريخية بوجه عام، ومذهب يجعلها للمستقبل ويمثله أصحاب النزعة الدينية، خصوصاً كيركجور وهيدجر. أما نحن فلا نذهب إلى القول بتفضيل أن على أن، بل نوكد وحدة الآتات الثلاثة وحدة تامة في تكوينها الزمانية الأصلية الحقيقية. أما الزمانية الزائفة فهي تلك التي تتعلق بأحد هذه الآتات دون الأخرى. ذلك أن فكرة التوتر في الوجود تقضى علينا بهذا.

ومن هذا البيان لطبيعة الزمان قد انتهينا إلى الكشف عن حقيقتين رئيسيتين: الأولى أن لا وجود إلا مع الزمان وبالزمان، وأن كل موجود لابد متزامن بالزمان، وتلك هي ما نسميه تاريخية الوجود. والثانية أن كل أن من آتات الزمان مكيف بطابع إرادي عاطفي خاص، فالزمانية إذن كيفية. وهاتان الحقيقتان معاً هما ما نعبر عنه بقولنا إن الوجود ذو كيفية تاريخية».

أعترف، بكل تواضع وصراحة، أننا لم نكن ندرك عمق الجذور التاريخية لفكر عبد الرحمن بدوى - آنذاك - فقد دفعت بنا الأيديولوجية إلى الابتعاد عنه مادام أنه يستعمل عبارة «الوجودية»: بينما «الزمان الوجودي» من نسيج آخر، يقرب إلى مسار كبير فلاسفة هذا الجيل «مارتن هيدجر» الذي طالما كان يحدثنا عنه ونحن نتأفف أمام رسائل «مدخل إلى الميتافيزيقا» ثم هناك الرسالتان اللتان كان يطيب له أن يفتتح بهما محاضراته، كأنه يستفزنا إلى التصدى لأهوال العمر: «اعلموا أن أصعب ما فى الحياة إنما هو الاستمرار فى الحياة».

مقولة الزمان كانت تبدو لنا معقولة وإن كانت غير مقبولة لشباب يتصور أنه محق فى كل شىء.

أما المقولة الثانية، فقد كانت ترمز إلى أبعد من مجرد الحياة الجسدية، إذ تشير إلى المشاق النفسية والأخلاقية والذهنية والروحية كلما اقترب الإنسان من مرحلة النضج ثم العمر المتقدم فالشيخوخة إلى نهاية الطريق.

من أين، ترى، هذه الصعوبة الشاقة؟ أفليست الحياة نهراً أزلياً أبدياً، ينتهى، نعم، ولكنه يتدفق دون إبطاء فى كافة المراحل؟

وقد علمتنا الحياة حكمة هاتين الرسالتين. أسئلة. تساؤلات. إشكالية الفكر التقييى فى عصر الحرب الأوروبية الثانية وقد امتدت فجاءة إلى المحيط الهادى وإلى الصين واليابان. كنا على يقين وكان هو على طريق. وكنا - معاً - نبحث عن «مناهج الألباب المصرية» علنا نحقق الحلم الكبير. تحرير مصر، استقلال إرادتها، نهضتنا المصرية والحضارية.

لعله من المفيد لمن يتصدى إلى الأستاذية فى عصرنا وبلادنا أن يتعلم من أستاذنا الجليل عبد الرحمن بدوى هذا التواضع الفكرى والحرص على إتاحة المجال للحوار الجدلى ومسارات الإجابات الممكنة، فى الوقت عينه الذى تتدفق فيه المعرفة الفلسفية سيلاً جارفاً ابتداءً من التحصيل الدوب الدقيق المتصل عبر السنوات والعهد. فلا مجال للأستاذية إلا إذا قبل الأستاذ، بادئ ذى بدء، أن يتواضع ويدرك حدوده ويتعلم يوماً بعد يوم بالاحتكاك بواقع عالمنا المتغير وكذا أفكار طلابه المتأججة أو الشاردة.

لا مجال للاستاذية دون التساؤل الفلسفى.

* * *

ثم كان الدرس الثانى، يصب هذه المرة فى جوهر وقلب الوطن والحركة الوطنية من أوسع الأبواب.

كانت الأولوية - ولاتزال - فى معرفة الفكر والمجتمع المصرى والعربى والأفريقى والإسلامى والشرقى هى تعاليم وكتابات علماء الغرب ومفكره، وكان الذات المصرية والعربية والأفريقية والإسلامية والشرقية لا تصلح منبعاً ولا تتيح المجال لبروز فكر إبداعى ذاتى، وكأنا على موعد مع التبعية - بالأصالة أو بالمولد - وهو الموقف الفكرى المنهجى الذى فندناه بشكل جذرى فى دراستنا عن «الاستشراق فى أزمة» (مجلة ديوجين، أليونسكو ١٩٦٢)، فكانت دعوة لتفكيك الاستشراق، وكان لها فيما بعد وحتى اليوم أثر واسع فى تحديد مسار العلوم الإنسانية والاجتماعية منذ الستينيات.

سود إلى الدرس الثانى، فلنذكر - أولاً - منهج أستاذنا عبد الرحمن بدوى فى تعليمنا الفلسفة الإسلامية. فقد استند إلى رسالة أستاذه، أستاذنا الكبير الشيخ مصطفى عبدالرازق فى كتابه الوجيز عميق الدلالة «تصهيد تاريخ الفلسفة الإسلامية» (القاهرة ١٩٤٥): «وهو الكتاب الذى يشتمل على بيان لمنازع الغربيين والإسلاميين مما فهم فى دراسة الفلسفة الإسلامية وتاريخها. والباحثون من الغربيين كأنما يقصدون إلى استخلاص عناصر أجنبية فى هذه الفلسفة، ليردوها إلى مصدر غير عربى ولا إسلامى، ومن هنا جاء المنهج الجديد الذى «يتوخى الرجوع إلى النظر العقلى الإسلامى فى سذاجته الأولى، ويتتبع مدارجه فى ثنايا العصور وأسرار تطوره». أى أن المصدر لمعرفة الفكر والفلسفة إنما هو بالتنقيب عن جذورها التاريخية الذاتية، لا بمقارنتها بمسارات الفكر الفلسفى فى البيئات الثقافية والحضارية الأخرى باعتبارها المرجع والقاعدة والأصل.

لم أكن أدرك - آنذاك - أثر هذا المنهج على ما تم فيما بعد عندما لبى دعوته الأولى للعشاء فى «كازينو بديعة» على النيل فى يوليو ١٩٥٤، بعد تخرج أولى دفعات

قسم الفلسفة بجامعة عين شمس لعرض موضوع دراسة الماجستير. كنت - آنذاك - أتجه إلى فلسفة التاريخ عند هيجل. فإذا به يرفض ويشجبني بعنف متسائلاً عما فى وسعى أن أضيفه إلى سيل المؤلفات حول هيجل وفلسفة التاريخ لديه، وخاصة وأنى كنت آنذاك لا أعرف اللغة الألمانية. وأضاف أنه يتشكك فى جدوى مثل هذه الدراسة بالنسبة لشباب المفكرين المصريين، مؤكداً - بإصرار بالغ التشدد - أن الواجب يقضى أن ينكب الجيل الجديد من مفكرى مصر على دراسة الفكر المصرى فى إطاره الحضارى المتخصص - وإلا فمن الذى يقوم بهذه المهمة؟ وكان من جراء هذه السهرة والصدام بين رؤيتى أننى بدأت أراجع نفسى، فرأيت أولاً أن أنكب على دراسة الفكر المصرى المعاصر، واتفقنا على تأجيل الموضوع على وجه التحديد، ثم جاءت مرحلة «الصراع فى الظلام» التى أثارها أصحاب فكرة التناقض بين «أهل الثقة وأهل الكفاءة»، فكان أن قررت قيادة الثورة بعد أزمة ربيع ١٩٥٤، واشتدادها فى مرحلة الصراع مع رفض الولايات المتحدة لتمويل السد العالى وقرار الرئيس جمال عبد الناصر للذهاب إلى باندونج، أن بدأت حركة قمع اليسار المصرى دون مقدمات، أو أسس قانونية، بشكل متصل وسرى بين عام ١٩٥٤ - ١٩٦٤، تخللها الجبهة الوطنية المتحدة من يوليو ١٩٥٦ حتى ديسمبر ١٩٥٨، ثم من ١٩٦٥ حتى ١٩٧٠.

وكان من سوء حظ كاتب هذه السطور أن يُزج به إلى معتقل «أبوزعبل» للحاق بطليعة الفكر والعمل التقدمى فى ١٠ أبريل ١٩٥٥ مدة ١٤ شهراً. نترك القصة والذكريات ونعود إلى الفلسفة، كان التساؤل الفلسفى فى أبى زعبل «ما الذى جاء بنا إلى هذا الوضع المفزع؟»، ثم «من أين هذا الصراع بين قوى، مختلفة، نعم، ولكنها تصبو إلى الهدف التحريرى الوطنى التنموى النهضوى نفسه؟»، وهى، أى هذه القوى المتباينة، تكاد تكون متجانسة من حيث انتمائها إلى شرائح الطبقة المتوسطة والبرجوازية الصغيرة وطلائع الحركة العمالية والطلابية والفكرية. «ما معنى هذا الصراع فى الظلام؟»، فإذا كان واقع الأمر كما ذكرنا، أصبح التحليل الطبقي قاصراً.

وإن قلنا بأولوية البعد السياسى، لكان من الممكن استبعاد المعارضة دون شراسة الاعتقال والاضطهاد وأهوال ما تم. كان لابد - إذن - من البحث عن توجه آخر، عن مستوى أعمق فى عمق أعماق أمتنا المصرية لعله يفسر - وإن كان لا يبرر - ذلك الذى حدث وكانت نتيجة إضعاف الجبهة الوطنية المصرية حتى انكسار ٥ يونيو ١٩٦٧.

من هذا الوضع الملتهب، وتلك التساؤلات الجذرية، عدت إلى تعاليم أستاذنا عبد الرحمن بدوى: أفلا يكون التوجه واجباً نحو التنقيب عن الجذور الفكرية فى مختلف قطاعات المجتمع المصرى وحركتنا الوطنية؟ أفلا يكون من اللازم علينا أن ندرس الصياغة التاريخية بمختلف مدارس الفكر والعمل فى مرحلة نهضة مصر منذ انتخاب محمد على والياً على مصر (١٨٠٥)؟ وكان هناك عند النخبة إدراك بأن ثمة تبايناً بين المناخ الفكرى للقوى السياسية المختلفة. ولكن الشعور باختلاف المناخ شىء، والتنقيب العلمى عن أسباب ونوعية ذلك التنوع شىء آخر. من هنا كان قرارنا - عملاً بتوجيه أستاذنا إلى دراسة الفكر المصرى - بتكريس جهدى سنوات البحث العلمى - بعد المعتقل - لدراسة صياغة الفكر المصرى المعاصر. فكانت رسالة الدكتوراة الأولى فى علم الاجتماع «الفكر السياسى العربى المعاصر»: مصر (باريس - السوربون ١٩٦٤)، ثم رسالة دكتوراه الدولة فى الآداب عن «تكوّن الأيديولوجية فى نهضة مصر القومية» (١٨٠٥ - ١٨٩٢) [الجامعة نفسها ١٩٦٩] - وهو المؤلف الذى أصدرته الهيئة المصرية العامة للكتاب فى القاهرة فى طبعة مطورة، بعنوان «نهضة مصر» (القاهرة ١٩٨٢).

هكذا أمكن التوصل إلى جذور المدرستين الرئيسيتين للفكر والعمل: مدرسة التحديث الليبرالى ابتداءً من رفاعة الطهطاوى، ثم، وبعد بداية توغل الإمبريالية، مدرسة الأصولية الإسلامية حول محمد عبده، وقد دلت الدراسة على أن ظروف مصر الجيو - سياسة، وتوالى الهجمات الإمبريالية لتفتيتها من الداخل ومحاصرتها من الخارج لم تمكن طلاب مصر الفكرية والسياسية أن تصوغ دائرة صهر هذين التوجهين بشكل كافٍ من التماسك والتجانس إلى مستوى التركيب، فظل التأليف

التركيبى الغالب بدلا من الوحدة المتجانسة - وهو الأمر الذى امتد إلى حياتنا فى نهاية القرن العشرين، فازداد بشكل ملحوظ تحت تأثير الإعلام الكونى المضلل، وتسرب ثقافته الرأسمالية الريعية، والسفسافية غير المنتجة، والصهيونية العدمية، إلى قطاعات من أركان حياتنا الاجتماعية.

موضوع كبير يستدعى مضاعفة الجهد العلمى والفكرى والفلسفى لرأب الصدع وبلورة مشروعنا القومى والحضارى الجديد فى مرحلة صياغة العالم الجديد الذى نحياه.

لعلنا أطلنا - بعض الشيء - فى الجمع بين هذا الدرس الثانى وإحدى ثماره الميدانية، ولكننا لابد من أن ندلل على مغزى الدرس بآثاره وثماره. وهنا، مرة أخرى، يرجع الفضل إلى أستاذى فيما حاولنا أن نحققه فى هذا المجال المتعين من الإنتاج الفكرى الفلسفى.

يتساءل البعض، وأحيانا بنوع من السخرية: كيف أن المفكر الموسوعى العصرى عبد الرحمن بدوى بدأ يتوجه منذ سنوات إلى دراسة الفلسفة الإسلامية والإسلام حضارة ورسالة فى كتاباته الأخيرة؟! التساؤل نفسه الذى قام بالنسبة لأستاذنا الكبير زكى نجيب محمود فى المرحلة الأخيرة الفنية من مؤلفاته. وهنا، مرة أخرى، موقف اغتراب عديد ممن يتصدون للفكر والثقافة والفلسفة فى مصر وأمتنا العربية، بالنسبة لحدورنا الحضارية، وكان دراسة الإسلام والعروبة - بل وعند قطاع بدوى يتصاعد، حضارتنا التاريخية العظمى، فى مصر الفرعونية، وكذا حضارات ما بين النهرين والشام - أمر غريب، على المصريين والعرب. وكان إعادة فتح أبواب البيت، أبواب بيت أسلافنا وأبائنا وأخوتنا وأبنائنا، أمر غريب، مادام الغير هو الأساس، عودة إلى مقولة على الاستعمار: إن بلاد مصر خيرها لغيرها.

يقول أستاذنا الجليل ومن حوله كوكبة مفكرينا وفلاسفتنا: بل إن مصر خيرها لأبنائها، وأمة العرب خيرها لأولادها، وحضارتنا الإسلامية والشرقية ملك لبنائها وأبنائها أجمعين، على تنوع قومياتهم ودياناتهم ومذاهبهم الاجتماعية.

ثم يأتى الدرس - التمسك بالريادة الأخلاقية - الثالث ولعله تجميع لما سبق، وإن كان يبدو متخصصاً فى الزمان والمكان والوقائع والأفراد. تحدثنا عن «الحرب فى الظلام» وعن مأساة (معتقل أبى زعبل) ومن بعده (الواحاحات). قد شاعت الظروف أن

قسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة عين شمس قد أعلن في «الأهرام» في صيف ١٩٥٥ عن حاجته إلى معيدين بالقسم. وقد شاعت الظروف أن يكون أول دفعة خريجي كلية الآداب جامعة القاهرة إسماعيل المهدي، وكتاب هذه السطور يشاركه الشرف بالنسبة لأول دفعات كلية الآداب جامعة عين شمس، أن يكونا من نزلاء «أبي زعبل».

وكان أن وصلت نسخة «الأهرام» إلى المعتقل بالطرق المتعارف عليها في مثل هذه الظروف، فرأينا أن نتقدم بطلب رسمي وعليه ورقة التمتع إلى الكلية، وكنا - آنذاك - في أهوال لا نودّ العود إلى ذكرها أو تذكرها. وقد نهانا مأمور قسم التأديب بالمنع عن هذا العمل وقال: «إن هذين الطالبين، لو تم تحريرهما سوف يصلان إلى الكلية وعليهما أختام مأمور قسم التأديب بليمان أبي زعبل، ثم مدير الليمان، ثم مدير المكتب المختص بانبوليس السياسي، ثم وكيل وزارة الداخلية والأمن العام، وربما من يعلوه مرتبة، فكيف إذن يكون تصرف الكلية؟»، ولكننا تمسكنا بحقنا الدستوري: أفلم نكن أول دفعة الفلسفة بآداب القاهرة وآداب عين شمس؟ وبالفعل حررنا الطالبين، ووصلت الأوراق مملوءة بالأختام إلى رئيس قسم الفلسفة، الدكتور عبد الرحمن بدوي.

ثم كان ما كان، وما كان يجب أن يكون، احتراماً لتقاليد الجامعة والمعايير العلمية المعمول بها، (...) وبالفعل لم يتم تعييننا، ثم - وبعد الإفراج عنا - علمنا أن الدكتور عبد الرحمن بدوي قد ترك العمل في رئاسة القسم بالكلية وتم انتدابه مستشاراً ثقافياً في سفارة مصر بسويسرا أربع سنوات. ومن بعدها كانت رحلته إلى جامعات ليبيا والكويت حتى استقر به المقام - بعد سن التقاعد - في باريس، وقد اختارها مكاناً للإقامة، يقطع من غرفته في الفندق كل صباح - في السابعة والنصف - حتى نهاية اليوم يعمل في المقعد المخصص له - منذ سنوات - في «دار الكتب الأهلية» بباريس، وينتج كتاباً تلو الآخر، بمعدل كتابين كل عام، إلى جانب الموسوعات المتخصصة.

وشاعت الظروف أن تقترن هذه الفترة بنهاية عمله أستاذاً مديراً للأبحاث في

«المركز القومي للبحث العلمي» في باريس، والتركيز على عملنا الموازي في آسيا خاصة، منسقاً لكبرى المشروعات العلمية في «جامعة الأمم المتحدة، في طوكيو»، بحيث لم يسعنا أن نكون إلى جانبه بشكل متصل.

ورغم هذا، فقد جرت العادة، أن يرحب بنا أستاذنا، كلما أمكن ذلك، وقد تنوع مكان الاجتماع في فندقى المحبب ومنزلنا السابق في باريس، حتى استقر على المقهى الذى يطيب له أن يجلس فيه وقت الإفطار يوم الأحد أمام نهر «السين».

الكلام هنا يقودنا إلى باب آخر، باب المراجعات والذكريات لآمال المشروع وإجهاض المشروع، لم يتغير الرجل في أصالته وموقفه وتوجهه في أستاذيته. يشجبنى دوماً على ما لا يرضاه فى، موقف سياسى تطور فى سياق متسق، ولكنه يسعد باتصال العمل والأداء، يستنكر فترات الإحباط، ويستنكر التوقف عن الأداء أحياناً من ناحيتنا، يميز بدقة بالغة بين الوطنى الأصيل ومدعى الوطنية والثورية الساعين إليه.

باب جديد نرجو أن يمتد السنة تلو السنة وأن يتيح الله عز وجل لأستاذنا عمراً مديداً زاخراً بالإمداد والعطاء.

ولعل من طرائف الأمور أننى عدت إلى دراسة «هيدجر» - بشغف - منذ عشر سنوات، فتذكرت - بندم وسخرية - كيف كنت أفتقد موقف أستاذنا. صارحته فى ذلك فابتسم وضحك طويلاً وقال: «أخيراً، أخيراً وصلت... منبع عميق وصعب ولكن الحمد لله».

لا أستطيع أن أختتم هذه السطور القلائل عن مغزى رسالة أستاذنا الجليل دون استخلاص ما أراه أنه - حقاً - تقصير من مصرنا المحروسة فى حق أمتنا وشعبنا وحضارتنا.

إننا نعيش - نحن معشر المصريين والعرب المسلمين - فى عصر ارتفع فيه لواء الفكر الفلسفى فى مستوى ما كان عليه فى عصر «ابن سينا» و«ابن رشد» و«الفارابى» و«ابن خلدون» بفضل كوكبة من الأساتذة، وعلى رأسهم، وفى مقدمتهم، عبد الرحمن بدوى.

أتساءل، وتساءل جميعاً: أين مصر؟ أين دولتنا، وحكومتنا، وجهاتنا ومجالسنا المختصة، ووزراؤنا؟

كيف لا تدرك مصر أن فى عنقها - بل فى عنقنا جميعاً - ديناً عظيماً، لهذا المفكر العَلم الذى كَوّن جيلاً بعد جيل من كبار الأساتذة والمفكرين فى أرضنا المصرية والعربية، وأثرى حضارتنا المصرية والعربية المعاصرة بمكتبة موسوعية على أرفع مستوى؟

أفلا يحق لمصر أن تلتفت إلى ذاتها فيكرم رئيس الدولة الأستاذ الجليل عبد الرحمن بدوى بأرفع الأوسمة، وهو الذى جمع فى شخصه أصالة الوطنية، وعمق الريادة الفكرية، واتصال العطاء والمنح منذ الشباب حتى سنوات العمر المتقدمة؟
والحق أن أرفع الأوسمة، بل وإنشاء جائزة خاصة به، تمنح باسمه - فيما بعد - إلى العاملين فى سبيل الفكر المصرى والعربى والإسلامى، بمناسبة مؤتمر عالمى تقيمه مصر للاحتفال بابنها العظيم على أرض الوطن وفى قاهرة المعز، إن هذه الأمور وما يواكبها، أصبحت لزاماً علينا - جميعاً - عملاً بقول صديق مصر العظيم «شواىلى، رئيس وزراء الصين و صديق جمال عبد الناصر منذ باندونج:

«فلنذكر من حفروا الآبار إذ نشرب من مائها».